المملكة الليبية
وزارة الانباء والارشاد

ليبيا قبل المحنة وبعدها



حسن أبوبكر الليبي

المملكة الليبية
وزارة الانباء والارشاد

سلسلة الكتاب الليبى (٢)

طبع بمصلحة المطابع - طرابلس


بسم الله الرحمن الرحيم

حسن أبو بكر الهويشي

من وزارة الانباء والارشاد

منذ سنوات مضت شهدت بلادنا حركة ادبية ناهضة قدم خلالها مجموعة من الكتاب الشباب عدة مؤلفات ادبية، دللت بصدق على اصالة شعبنا فى مجالات الفكر والثقافة . واماطت اللثام عما تزخر به بلادنا من امكانيات وما تعج به ارضنا الطيبة من براعم ، لو قدر لها ان تتفتق لاتت باطيب الثمار ... وبالتالى برهنت هذه الحركة على ان فترات الاحتلال وسنى الاستعمار لم تستطع بالرغم من طولها عزل هذه الامة عن مواكبة ركب الثقافة العربية، ولم تتمكن بكل ما لديها من اساليب، من قتل روحه العلمية الخلاقة..

الا ان هذه الحركة بدلا من ان تزدهر وتأخذ فى التطور، بدأت تقل شيئا فشيئا حتى كاد اليأس يسيطر على بعض النفوس، وبدأت اقلام كثيرة خلال السنوات التى اعقبت توقف هذه الحركة، تسلط الاضواء على الاسباب التى ادت الى هذه الوقفة، وتحاول فى صدق تشخيص العلاج الناجح لها.

ولم تكن وزارة الانباء والارشاد بمعزل عن هذا ، وانما كانت تتحسس معها فى اخلاص الطريق المستقيم لبعث هذه الحركة الادبية، ودفع عجلة سيرها الى امام.. وكان من اسباب ما يعوق هذه الحركة ارتفاع نفقات الطبع، وصعوبة التسويق، وعجز الكتاب الليبى عن منافسة الانتاج الخارجى.

لذلك اعلنت وزارة الانباء والارشاد عن عزمها على تحمل نفقات الطبعة الاولى للمؤلفات الوطنية، علاوة على استعدادها لدفع مكافات مالية قيمة لاى كاتب يقبل انتاجه، من طرف اللجان المختصة التى تشكل لهذا الغرض، وبذلك تحقق الوزارة تشجيع حركة التأليف من جهة، وتستطيع وضع المؤلف الليبى فى يد مختلف طبقات الشعب من جهة اخرى.

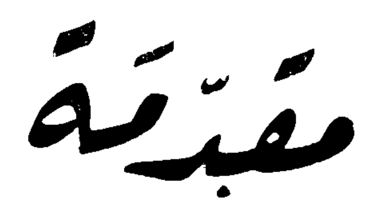
« وليبيا قبل النكبة وبعدها » اول كتاب تقدمه الوزارة ضمن سلسلة الكتاب الليبى ، وذلك بعد ان تمت عليه المصادقة من اللجنة المكونة من الاساتذة مدير عام المطبوعات صالح السنوسى، راسم قدرى، احمد صدقى الدجانى، رجب الماجرى.

على ان وزارة الانباء والارشاد وهى تضع هذا الكتاب امام القارىء العزيز وتكبر فى الاستاذ المؤلف هذا الاهتمام بتاريخنا المجيد لا يفوتها ان تؤكد انها ليست مسئولة عن صحة الوقائع التاريخية التى يحويها الكتاب، ولا تسلسل حوادثه، ولا عما قد يكتب عنه من نقد او تقريظ بعد ان اقرته لجنة محايدة مختصة ، وانها عندما تنشر اى كتاب انما تهدف من وراءه الى تنشيط حركة التأليف فى البلاد وتشجيع المؤلفين على الانتاج .

واذا كانت حركة التأليف قد نشطت فى فترة لم تكن فيها امكانيات الدولة لتسمح بتشجيع هذه الحركة كما لم تكن هناك خطط مدروسة لتنمية وعى الجماهير الشعبية وتبصيرها بقضاياها الاساسية وربطها بتاريخها ومقومات وجودها وتوجيهها الى رسالة الحياة الحقيقة، فان عهد الوحدة المباركة، وعزم الدولة الاكيد على تشجيع هذه الحركة وثقتنا فى تعاون الكتاب الوطنيين ومقدرتهم تجعلنا نؤمن بان الحركة الادبية ستزدهر من جديد وستكون بعون الله باعثا لنهضة شاملة، تواكب ركب التقدم الصاعد فى كل الميادين، تحت رعاية وارشاد مولانا الملك المعظم، اطال الله عمره ومتعه بالصحة والعافية، ورعى سمو الامير ولى عهده.

وبالله التوفيق ، وعليه الاتكال　　　　　　وزارة الانباء والارشاد

* * * * *



لا ابالغ اذا قلت انه لم يكن من السهل على جمع المعلومات والاخبار التى يحتوى عليها هذا الكتاب بين دفتيه، وذلك لقلة المصادر التاريخية الصحيحة، ولان المعلومات اما ان تكون مجهولة فى ثنايا بعض الكتب النادرة ،او مبعثرة فى بعض المذكرات والوثائق والصحف القديمة، وليس بالأمر الهين - بطبيعة الحال - البحث عنها، والعثور عليها، وترجمتها، وتنقيتها من الشوائب واختيار النافع منها ،ثم تنسيقها ووضعها فى المكان الملائم لها، وهذا كله يحتاج الى صبر ومثابرة، ويتطلب مجهودا باذلا وعملا مضنيا.

وعلى الرغم من الصعوبات الجمة التى واجهتها فقد بذلت ما فى وسعى ليظهر هذا الكتاب فى اطار يمتاز باحكام العرض، وأمانة الرواية، ودقة تأتى السرد معمراعاة البساطة والسهولة فى التعبير، وهدفى الأول ان يكون هذا المجهود المتواضع لونا جديدا يعطى صورة دقيقة صادقة لتاريخ بلادنا المجيد قبل المحنة وبعدها.

هذا ولم اجد ما يمكن ان اقدم به كتابى هذا، للقارىء الكريم، احسن من اقوال بعض الكتاب والادباء الذين اطلعوا عليه، قبل طبعه، وتكرموا بابداء رأيهم فيه.

جاء فى رسالة بعث بها الى الاستاذ الاديب السيد خليفة التليسى - سكرتير عام مجلس النواب -، بتاريخ ٨/٦/٦٣، قوله:

«أسعدنى جدا ان اقضى لحظات ممتعة فى قراءة كتابكم عن مرحلة هامة من مراحل التاريخ الليبى الحديث، والحق ان كتابكم يمثل مجهودا عظيما ومشكورا، ويساهم مساهمة فعالة فى القاء الضوء على هذه المرحلة الهامة من تاريخناالقومى الحديث . وقد كان شعورى دائما ان هذا المجال الهام فى حاجةالى

المزيد من الدراسات، التى يؤدى عمقها وتوفرها الى توسيع القاعدة التى تقوم عليها حقيقة التاريخ الليبى الحديث.

واشهد انى قد وجدت فى كتابكم ما كنت افتقده فى كثير من الكتب التاريخية، التى اتيح لى الاطلاع عليها فى اللغة العربية، وأعنى بذلك دراسة هذه المرحلة الاستعمارية، من خلال الواقع الايطالى نفسه. وقد ألقت دراستكم ضوءا كاشفا على كثير من الاشياء التى كنا نلتقى بها فى خطوط عامة غير محددة الملامح والصفات. وتلك نتيجة اتيحت لكم بحكم اتصالكم بالدراسات التاريخية الايطالية. وقد كنت وما زلت اعتقد ان الدراسات نافذة عريضة، لا بد أن يطل منها المؤرخ الحديث على واقع هذه المرحلة الهامة، والا جاءت دراساته ناقصة تستند الى التعميم والتفسير القاصر للاحداث.

واشهد مرة ثانية ان كتابكم قد عرفنى بأشياء كثيرة كانت تخفى على وخاصة فيما يرتبط بشخصية السياسى الايطالى « جوليتى » ودوره القوى الحاسم فى التخطيط للاستعمار الايطالى وتنفيذه.»

وورد فى رسالة رقيقة بعث بها الى الاستاذ السيد سيف النصر عبد الجليل، وزير الدفاع ، بتاريخ ١٩٦٣/٦/١٤ قوله:
« ان المكتبة العربية تفتقد بنوع خاص ما يتعلق بالتاريخ الليبى المعاصر الذى يبدأ بالغزو الايطالى لليبيا وما تلا ذلك من احداث جسام اهمها الكفاح المستميت فى الدفاع عن البلاد والذود عن حياضها ضد الدولة المعتدية. ولعل ابرز ما فى هذا الكفاح الدور البارز الذى لعبته الدعوة السنوسية المباركة فى لم شتات الأمة حول عقيدة الايمان بالله وبالوطن والحرية.

ان هذا الكتاب يعتبر محاولة ناجحة لسد النقص فى تاريخنا الحديث ولا شك فى انها ستؤتى ثمارها فى اضاءة الطريق امام الباحثين والمهتمين بالتاريخ الليبى المجيد.

وهذا الكتاب يحتوى على تحليل للظروف التى كانت تحيط بكل من ايطاليا وتركيا وليبيا فى تلك الحقبة من الزمن بالاضافة الى السرد التاريخى المدعم بالوقائع والارقام المستقاة من الوثائق الرسمية او من مذكرات الساسة الايطاليين الذين كان لهم اتصال مباشر بالغزو الغادر او كانوا من مؤيديه والعاملين على تحقيقه.»

وقال الزعيم الاستاذ نورى الصديق اسماعيل ـ رئيس اركان الجيش الليبى ـ فى رسالته التى بعث بها الى بتاريخ ١٩٦٣/٦/٢٣، ما يلى:

« عندما يطلع القارىء على هذا الكتاب الذى يقص عليه باسلوب مدعم بالحجج والبراهين، تاريخ ليبيا المجيد الملىء بالبطولات والمفاخر، يجد نفسه مندفعا الى التعمق فى القراءة والى المزيد من المعرفة لتتبع سلسلة الحوادث التى مرت ببلاده.

لقد اعجبت ببراعتكم فى الاستهلال وفى دقة السرد وبساطة الاسلوب بحيث يكون الكتاب فى مستوى فهم وادراك الجميع.»

هذا وجاء فى رسالة وزارة الانباء والارشاد الموقرة، التى بعثت بها الى بتاريخ ٦٣/٨/٣١، لتعلمنى فيها بموافقتها الكريمة على طبع هذا الكتاب على نفقتها ما يلى:

« لا يفوت هذه الوزارة ان تكبر فيكم اللفتة الموفقة نحو تاريخنا الخالد راجية لكم اضطراد التقدم ومضاعفة الجهود فى هذا المضمار الحيوى الذى نحرص جميعا على النهوض به.»

ونتيجة لهذا التشجيع الكريم الذى لقيته من نخبة كبيرة من الكتاب والادباء ومن بعض المسئولين، اصبحت مشبعا بالتفاؤل ومحدوا بالامل فى ان يكون كتابى هذا لونا جديدا من الوان المعرفة العامة التى تعرف تعريفا صحيحا بتاريخنا المجيد.

هذا وآمل ان اتمكن من انجاز الجزئين الثانى والثالث من هذا الكتاب فى اقرب وقت ممكن باذن الله.

وبهذه المناسبة يطيب لى ان اشكر جميع الذين تكرموا بتشجيعى ادبيا ومعنويا وزودونى بنصائحهم الغالية وآرائهم الصائبة.

والله اسئل ان يوفق الجميع لما فيه خير البلاد.

خليفه المنتصر

البيضاء، ١ أكتوبر ١٩٦٣.



كلمة الاستاذ حسين الغناى ـ الوزير المفوض بوزارة الخارجية:

ان التاريخ فى مفهومه العلمى هو التسجيل الامين لحوادث اليوم واحداث الامس التى تمضى الى الوراء مع تحرى الترتيب لدولاب الزمن. وما ندونه الان فى مفكرة لحادث او عمل معين يصبح بعد انقضاء فترة محدودة حادثا او عملا تاريخيا. والتدوين هو ضبط الحوادث بامانة حتى لا يتسرب اليها عامل النسيان بعد فوات الاوان او تتعرض للشك فى صحة الوقائع مع توافر الاقوال والروايات.

واصح السندات التاريخية هى تلك التى تصدر عن الاشخاص وباقلامهم فتكون بذلك جزءا سليما من الماضى لا يرقى اليه الشك. كما انه الراجح فى التدوينات والاقرب الى التسليم بصحتها هو ما يكتبه الشخص عن نفسه وبنى عصره واوضاع بـلاده.

وقد علمتنا كتب التاريخ ان الروايات التى وردت فيها كانت تقوم فى الغالب على الشائع والمتوافر وقلما كانت تنهض على الاسناد الصحيح، الامـــر الذى يذهب بالمطلع فى كثير من الاحيان الى التخمين والتأويل بل قد يسوقه الى عدم اليقين بتاتا عما يقرأ ويقوى عامل الشك فى النفس لافتقار الاثر لدعامة الاثبات والتأكيد.

وقد كتب الكثيرون عن أحداث الحرب العالمية الاولى واختلطت الروايات بما توفر للمؤرخين من مصادر عديدة وكانت جميعها لا تختلف فى الجوهـــر والمعنى بسبب ان الذين عاصروا تلك الحرب كانوا يدونون حوادثها باقلامهم من واقع حياتهم اليومية، كما ان العديد من الكتاب وضعوا المؤلفات والبحوث

العلمية الصحيحة عن الحرب العالمية الثانية مستندين الى ما سطرته اقـــلام المؤرخين لانفسهم في مذكراتهم الخاصة، حتى اصبح التاريخ اليوم اقرب الى المعقول والمقبول واضحى ما يقرأ عن حوادث الامس منذ اكثر من قرن مدعما بالصحيح من الكتابات والمذكرات الشخصية.

وهذا الكتـاب الذى وضـعه الاسـتاذ خليفة المنتصر المستشار بوزارة الخارجية عن تاريخ الغزو الايطالى لليبيا خلال الحقبة التى تبدأ بعام ١٩١١ وتنتهى بعام ١٩٤٢ يعد فى الحقيقة سبقا تاريخيا مدعما بالوقائع ومستندا الى دواوين ومفكرات اولئك الذين مهدوا للغزو وعملوا على تحقيقه فى وقت نامت فيه الهمم وتلوثت فيه الذمم.

وقد غاص المؤلف فى تحقيقه الى قاع الزمن واستخلص الوقائع بما لم يأت بها غيره من المؤرخين عندما بدأ كتابته بلمس الاسرار واجتلاء الافكـــار التى كانت تهيمن آنذاك على عقول بعض زعماء ايطاليا لغرض احتلال ليبيـــا، وما ظهر من ارهاصات فى جو العالم كانت تنذر بما يبيته اولئكم الزعماء من تدابير ومؤامرات سياسية غاية فى الدقة والدهاء لتحقيق ذلك الاحتلال.

وقد حرص المؤلف على نقل وايراد بعض العبارات التى دونها الزعمـــاء الايطاليون حينذاك فى مذكراتهم حتى يمكن اعطاء الدليل وابراز البينة التى تدين اولئك المستعمرين وتصمهـــم بوصمة الخزى والعار والفضيحة وتقدمهم لدراس التاريخ المعاصر فى اهاب الحيوانات الضارية المفترسة المتعطشة الى سفك الدماء والفتك بالآمنين الابرياء.

ولا شك فى ان هذا الكتاب بما احتوى عليه من حقائق ومواقف تاريخية تتصل ببلادنا العزيزة واهمال حكومة الباب العالى آنذاك لمسئولياتها تجاه هذا القطر العربى الاسلامى وتسليمها للبلاد لقمة سائغة فى ذلة وانكسار للطليان بعد مساومات رخيصة يندى لها جبين الانسانية حتى بلغ الامر ان عرضت بيعها مقابل سفينتين حربيتين لشيىء يوجب الكثير من التأمل والاعتبار ويبعث على الاسف والرثاء، كما يدعو ابناء ليبيا المغاوير فى الحاضر والمستقبل الى اليقظة والتحرز والانتباه الى رفع مستوى الجيش بتقوية واستكمال جميع مقوماتـه فى البر والبحر والجو وذلك لرد الغوائل والمحافظة على كيان الوطن فى الميدان العسكرى. وليس من قبيل المبالغة فى الحيطة ان تضاعف الدولة عنايتهـــا

بوسائل دفاعها رغم ان العلاقات الدولية فى العصر الحاضر قد ابعدت عن العالم ذلك الشعور بالخوف من الاعتداء بفضل هيئة الامم المتحدة والمبادىء الانسانية التى نص عليها ميثاقها، فقد ثبت من مجرى التاريخ ان الهيئات الاممية كثيرا ما تتعرض لامتحانات قاسية تؤدى الى انفلات الزمام من يدها وتسوق الى ازمات وحروب تقاس معاييرها بمقدار ما تملكه الدولة من قوة وسلطان.

والظاهر كما يبدو من كتابة هذا المؤلف ان الاستاذ خليفة المنتصر قد استخدم اسلوبا بارعا فى تصوير الاحداث وسرد الوقائع، ويبدو ذلك جليا فى ضغطه على بعض المواقف المعينة التى كانت اعصابه لا تحتملها فيوسمها ما يراه مناسبا من اوصاف الازدراء والاشمئزاز حتى ليبدو وكأنه يعالج امرا من الواقع الحى وليس شيئا طواه التاريخ فى بطن الزمن واصبح فى ذمة الماضى.

والكتاب الذى بين يدينا يعتبر القسم الاول من تاريخ الغزو الايطالى اذ ينتهى بالاحتلال عام ١٩١١ وتوقيع معاهدة لوزان (اوشى) سنة ١٩١٢، اما القسم الثانى فانه سيتناول حركة المقاومة الليبية والجهاد الوطنى ضد الغاصب بقيادة سيد البلاد الادريس العظيم حتى انتهاء هذه الحركة باعدام شيخ الشهداء المرحوم عمر المختار. اما القسم الثالث والاخير فيصور الحقبة التى مرت بها البلاد بعد ان استتب لايطاليا الامر وينتهى بخروجها من ليبيا مذمومة مدحورة فى اعقاب هزيمتها النكراء قبيل انتهاء الحرب العالمية الثانية.

ونحن لا ندعى بان الاستاذ خليفة المنتصر قد بلغ الشأو البعيد فى الكتابة عن هذه الحقبة المجهولة والتى لم يتطرق اليها غيره من المؤرخين الا النزر اليسير من الكتاب ممن نظروا اليها من زاوية محدودة، ولكن المجهود الذى بذله فى انتقاء وربط الحوادث بالاستناد الى مذكرات الساسة الايطاليين انفسهم يعد فى الحقيقة عملا رائعا وخدمة ممتازة يقدمها لبلاده يستحق عليها كل تقدير واعجاب.

وانى لا اقدم لحضرته بالمعنى المعروف عند الادباء ولكنى ارى من واجبنا جميعا تشجيع هذا العنصر العامل من ابناء الوطن بتقدير كتابه هذا الذى يعد باكورة طيبة لانتاجه فى حقل التأليف، وارجو له من المولى تعالى كل توفيق ونجاح.

حسين الغناى

متى نشأت فكرة الغزو ...

يعتقد الكثيرون ان ايطاليا قد فكرت في غزو ليبيـا لتسلبها حريتهـا واستقلالها وتفرض عليها سلطاتهاوتربطها بنيراستعمارها البغيض فى نفس السنة التى نفذت فيها تلك المؤامرة الاجرامية الدنيئة ، أى سنة ١٩١١ ، عندما أرسلت اساطيلها لتدك بنيران مدافعها الثقيلة المدن الليبية وتنشر فى ربوعها الهدم والخراب والدمار، ولتنزل الجنود ليهرقوا الدمـاء ويفتكـوا بالأبرياء ويقترفوا أبشع الجرائم.

وربما يعتقد البعض ان مرحلة تدبير تلك المؤامرة العدوانية قد سبقت تنفيذها بسنة او سنتين .

ويدفع على تبرير هذين الاعتقادين الخاطئين عدم وجود مصدر تاريخى يحدد بدقة وبصورة واضحة الزمن الذى نشأت فيه فكرة استعمار ليبيا فـى رءوس الساسة الايطاليين الغزاة .

هذا ولكن الواقع الذى تثبته الظواهر البارزة فى سلسلة الحوادث والاحداث التى مرت بايطاليا خلال الثلث الاخير من القرن التاسع عشر ، وفى أوائل القرن العشرين ، وفى تطورات السياسة الايطالية غير المستقرة فـى ذلك الوقت ، يؤكد بصورة قاطعة لا تقبل الشك او الريب ، ان ايطاليا كانت تنوى غزو ليبيا ، وأن سياستها الاستعمارية كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بفكرة التوسع فى شمال أفريقيا بصورة عامة ، وفى ليبيا بصورة خاصة ، وذلك قبل قيامها بحملتها العدوانية عليها بعشرات السنين .

واذا جمع شتات المعلومات التاريخية المبعثرة هنا وهناك ، وفى بعـض كتب التاريخ وفى مذكرات بعض الساسة والقادة الايطاليـين ، وفى المقالات

التى نشرتها الصحف التى كانت تصدر فى ذلك الاوان ، يتضح جليا أن جميع الدلائل تؤكد انايطاليا كانت تعد العدة للغدر بليبيا والعدوان عليهاحتى قبلان تستقر اوضاعها الداخلية وتتخلص مما كانت فيه منبلبلة وفوضى واضطرابات بسبب الازمات السياسية والاقتصادية الخانقة التى كانت تهدد كيانها المتصدع بالتفكك والانهيار ٠

وحيث أن الوقوف على ما سبق ذلك الغزو الاجرامى المشئوم ، الذى تم سنة ١٩١١ ـمن مؤامرات دنيئة ودسائس خبيثة، ونوايا سيئة وتدابير ماكرة ، واستعدادات عدوانية ـ له أهمية كبيرة بالنسبة للتاريخ الليبى ، تجدر الاشارة هنا الى أن الساسة الايطاليين بدأوا يفكرون جديا فى الاستيلاء على ليبيا منذ سنة ١٨٧٣ م٠

ومنذ ذلك التاريخ كان رؤساء الحكومات الايطالية المتعاقبة يحلمون بالتوسع فى شمال أفريقيا، وعلى حساب ليبيا بالذات، وكانوا يبذلون الجهود والمساعى لتحقيق ذلك الحلم ، وهؤلاء الرؤساء حسب الترتيب الزمنى لتوليهم منصب الرئاسة هم :ـ

الاسم		تاريخ تولى الحكم
منقيتى	(Minghetti)	١٨٧٣
دى بريتس	(Depretis)	١٨٧٦
كريسبى	(Crispi)	١٨٨٧
رودينى	(Rudini)	١٨٩١
جوليتى	(Giolitti)	١٨٩٢
زانا رديلى	(Zanardelli)	١٨٩٣
كريسبى	(Crispi)	١٨٩٣
رودينى	(Rudini)	١٨٩٦
بيلــو	(Pelloux)	١٨٩٨
ساراكـو	(Saracco)	١٨٩٩
زانا رديلى	(Zanardelli)	١٩٠١
جوليتى	(Giolitti)	١٩٠٣
فورتيس	(Fortis)	١٩٠٥

الاسم		تاريخ تولى الحكم
سونينو	(Sonnino)	١٩٠٦
جوليتى	(Giolitti)	١٩٠٦
سونينو	(Sonnino)	١٩٠٩
لوزاتى	(Luzzati)	١٩١٠
جوليتى	(Giolitti)	١٩١١

ورغم اختلاف اتجاهات هؤلاء الرؤساء السياسية وتباين مبادئهم الحزبية، فانهم كانوا يتلاقون على صعيد واحد ويتفقون فى الرأى حول وجوب توسع ايطاليا على حساب افريقيا ،وكانو يعملون ،الواحد بعد الاخر بعزم وحزم لتحقيق تلك الفكرة الاستعمارية والخروج بها من حيز السلبية الى حيز الايجابية.

فرسان الاستعمار الثلاثة ...

هذا وقدكان كل سياسى ايطالى ممن تقلدوا منصب رئاسة الحكومة منذ سنة ١٨٧٣ ، يكرس جهوده ، وجهود اجهزة حكومته ، سرا وعلانية ، حسب الظروف المحيطة به ، لتنفيذ فكرة التوسع وذلك بدافع الاعتقاد ان التوسع الاستعمارى سيكون عاملا أساسيا فى حل المشاكل المزمنة المستعصية التى كانت تجثم على صدر ايطاليا ، ووسيلة فى تخليصها من أزمات البطالة والانهيار الاقتصادى التى كانت تعصف بحكوماتها وتهزها هزا عنيفا ٠

وعلى الرغم من أنهم كانوا متساوين فى النزعة الاستعمارية ، وفى الرغبة فى تحقيق التوسع ، ومتفقين على وجوب العمل للوصول الى تلك الغاية ، ومتشابهين فى المناداة بالشعارات الاستعمارية ، التى كانت تتردد اصداؤها مدوية من شمال ايطاليا الى جنوبها ، اذ كانوا يتفننون فى تنسيق عباراتها ومعانيها ، ومنها : «التوسع ضرورة لتشغيل اليد العاملة» ، «وجوب توفير مكان تحت الشمس للشعب الايطالى»، اقتفاء اثار روما الخالدة استرجاع مجد الاجداد» ، الا أنهم كانوا يتفاوتون فى الجدية والحماس لتنفيذ المخططات العدوانية ، ومن بينهم من كان ينادى بتلك الشعارات الاستعمارية لمجرد تقليد سابقيه ، أو مجاراة التيار ، أو لاستغلال الظروف لكسب شعبية تفيده فى الانتخابات أو تعينه على استبقاء الثقة بحكومته، وفى عهد هؤلاء «المترددين الخائفين» كما وصفهم خصومهم ، تجمدت الفكرة الاستعمارية وانحصرت فى التصريحات والخطب والمقالات لغرض الاستغلال وتخذير الشعب والهائه ٠

ولكن كان من بين هؤلاء الساسة من كان يعمل بجد وعزم وحزم وتصميم واصرار لتحقيق السياسة الاستعمارية ويكرس لها كل الجهود ويجند لها العباقرة من الساسة والقادة ، وذلك لعمق تاصل النزعة الاستعمارية فى قلبه

ولحبه للشر والعدوان ، وفى عهد هؤلاء سارت المخططات الاستعمارية خطوات واسعة نحو التنفيذ ٠

ومما لاشك فيه ، حسبما تثبته الوقائع التاريخية فى الفترة بين ١٨٧٣ـ ١٩١١ ، ان أكثر رؤساء الحكومات الايطالية اصالة وتشعبا بالنظرية الاستعمارية ، وأعمقهم نزوة للعدوان ، وأعرقهم فى البغض والتسلط ، كانوا: «كريسبى» (Crispi) الذى تولى الرئاسة مرتين ، و «جوليتى» (Giolitti) الذى تولاها أربع مرات، والجنرال «بيلو» Pelloux). الذى تولاها مرة واحدة٠

هذا ولحب هؤلاء الثلاثة للاستعمار والعدوان والبغى والتسلط ، فقد اشتهروا بدعاة الحرب ومناصرى الاستعمار حتى ان جريدة «كوريرى ديلاسيرا» كانت تصفهم بلقب «فرسان الاستعمار الثلاثة» ٠

سياسة الأيدي النظيفة ...

يلاحظ المتتبع لتطورات السياسة الايطالية خلال ثلث القرن الماضي وفي أوائل القرن الحالي ، ان ظواهر أحداثها تدل على أن زعماءها قد لعبوا ادوارا مختلفة على مسرحها، وان تلك الادوار كانت متباينة متناقضة ، حسب تباين وتناقض وجهات نظر لاعبيها .

وعلى أساس ذلك التباين والتناقض والاختلاف يمكن تقسيم الساسة الايطاليين في تلك الحقبة من الزمن الى ثلاث طبقات :

طبقة قوية تميل بطبيعتها الى العنف والتسلط، وتتجه بفطرتها الى تبرير كل وسيلة ، ولو كانت الغدر والظلم والعدوان ، اذا كانت توصل الى الغاية . وهذه الطبقة هي التي نشأت في رؤوس المنتسبين اليها فكرة التوسع الاستعماري وتغلغلت في نفوسهم تغلي وتفور وتتفاعل حتى طبقوها في شيء من الارتجال والتهور المفرط والاندفاع الجنوني، ابتغاء المجد والنجاح ومن هؤلاء «كريسبي» **(Crispi)** «جوليتي» (Giolitti) و «بللو» (Pelloux) .

وطبقة ثانية يمكن القول عنها بانها « بين بين» ، اذ كانت تؤيد التسلط واستعمال القوة والعنف ، اذا ضمنت ان ذلك لا يعود عليها بالخسارة والضرر، والى هذه الطبقة ينتسب المترددون بين الاقدام والاحجام ، والذين كانوا يجارون التيارات لكي لا تجرفهم ، ويهدفون دائما الى غايات معينة محددة تسير بهم الى تحقيق النجاح والوصول الى القمة ، مع توخي حسن العاقبة والسلامة ،

ومن هؤلاء «زانارديلي» (Zanardelli) ، و «ساراكو» (Saracco) ، و«فورتيس» (Fortis) ، و «سونينو» (Sonnino) و «لوزاتي» ، (Luzzati)

وقد كانت مواقفهم المائعة المتأرجحة بين السلبية والايجابية سببا في قصر حياة حكوماتهم .

اما الطبقة الثالثة فقد كانت تختلف اختلافا كليا عن الطبقتين السابقتين ، اذ أنها كانت تعارض بقوة وجرأة السياسة الاستعمارية،وتستنكر مبادئها،ولا تقر الظلم والتسلط والعدوان ، ولا تجارى ولا تصانع وتتمسك بمبادئها وتعلنهـــا صريحة خالية من شوائب التأثير والتقليد ، ولا تهمها المناصب ، وهدفهـــا الرئيسى الذى كانت تعمل من أجله بجد وفى صمت وبدون صخب وضجة هو تحقيق الاهداف المثالية التى تدين بها والتى تتلخص فى عدم الاعتداء وعـدم استعمال القوة والعنف ، وقد كانت أهدافهم النبيلة هى السر فى متاعبهم وفى عدم وصولهم الى كرسى الرآسة ، رغم أنها أنزلتهم منزلة رفيعة فى نفوس العقلاء الذين يفكرون بتعقل ويخضعون تفكيرهم لموازين المنطق الصحيح ·

والى هذه الطبقة ينتمى «كايـــرولى» (Cairoli) و «ريـكوتى» (Ricotti) فى الدرجة الاولى و «ماليانى» (Magliani) فى الدرجة الثانية ·

اما «كايرولى» (Cairoli) فقد اشتهر بأنه يبغض من كل قلبه الاستبـداد والتعسف والعدوان ، وبالتالى الاستعمار بجميع أشكاله والوانه ، ولا يقبل أى عذر فى تبريره . ولذلك رفض سنة ١٨٧٨ عـــرض انجلتـــــرا على حكومة ديبرتيس (Depretis) المتعلق باحتلال تونس ، وقال فى رفضه «ان ايطاليا يجب أن لا تلوث أيديها بالاستعمار ويجب أن تحافظ على أيديها نظيفة مـــن أدرانه» · وقد كان لرفضه هذا الفضل الاول فى عدول ايطاليا عن الاعتداء عـلى تونس الذى كان من المؤكد أن تصيب شروره ليبيا بدون شك ان عاجلا أو آجلا ·

اما «ريكوتى» فقد كان موقفه أقل جرأة من «كايرولى» اذ أنه عرضت عليه رآسة الحكومة بعد سقوط حكومة كريسبى سنة ١٨٩٦ ولكنـــه اعتذر، وجاء فى اعتذاره الذى نشرته جريدة «البعث» (Risorgimento) قوله: «على الرغم من أننى لواء فى الجيش لا أقبل أن أتحمل وزر استمرار الحملـــة الاستعمارية فى الحبشة كرئيس حكومة يرسم سياسة البلاد ، أما اذا أمـرت كجندى فما على الا تنفيذ الاوامر بطاعة واخلاص مهما كانت الظروف والعواقب» وعلقت عليه بطابع السخرية ، قائلة ان من لا يستطيع تحمل مسئولية المنصب القيادى فى السياسة لا يستطيع حتما قيادة الجيوش فى المعارك ·

أما «ماليانى» فقد عارض «كريسبى» فى مشاركة بريطانيا فى الحملة على مصر ، رغم أنه كان أحد أعضاء وزارته ، وكانت معارضته عاملا فى ارغـــام الحكومة الايطالية على عدم الاشتراك فى العدوان على مصر ، ومما لاشك فيــه أنه لو تمكنت ايطاليا من وضع اقدامها فى مصر لاتجهت بمطامعها الى ليبيا فى تلك السنة أو بعدها بقليل ٠

وحيث أن العناصر الطيبة لا تسلم أبدا من نقمة وحقد الذين يضمرون الشر ويحبون التسلط والعدوان ، فقد تعرض هؤلاء الثلاثة لحملات متتابعة من التجريح والتشهير وكان بعض الكتاب والخطباء ينتقدون بتهكم وسخريـــة سياسة «الايدى النظيفة» ويصفون صاحبها «كايرولى» بالخائن والمجرم الـــذى ضيع على ايطاليا فرصة احتلال تونس ٠

هذا وقد اتهم الجنرال «ريكوتى» بالجبن وعدم الكفاءة لحمل رتبة جنرال٠ اما «ماليانى» فقد نسبت معارضته على المشاركة فى احتـــلال مصر الى سياسة عقيمة تتلخص فى خوفه من رد الفعل الذى سيحدثه ذلك الاشتراك فى الاوساط السياسية الفرنسية ، نظرا لانه كان محبا لفرنسا وميالا لتأييــــد سياستهـــا ٠

هزيمة الفارس الأول ...

كان «كريسبى» ينتهج سياسة متطرفة يغلب عليها طابع العنف والاستبداد، وكان لا يخفى رغبته فى التوسع فى شمال أفريقيا ، وينادى دائما بوجـــوب تحقيق السيطرة عليها لتتمكن ايطاليا من توفير مجال فسيح لعمالها ومزارعيها وتستطيع فتح أسواق جديدة لبضائعها ومنتوجاتها الصناعية ·

وقد كان «كريسبى» يغار من فرنسا ويحسدها على «نجاحها الكبير فى الاستيلاء على مساحات شاسعة فى أفريقيا»·

وعلى الرغم من توسع فرنسا المتزايد فى أفريقـــيا فان « كريسبى» كان يعتقد أن تونس وليبيا والحبشة وقسما من السودان ستكون من نصيب بلاده، بل كان يعتبر أن خضوع تلك البلدان لسيادة ايطاليا أمر مفروغ منه ، حتى انه لما علم أن فرنسا تنوى الاستيلاء على تونس احتج عليها احتجاجا شديدا جاء فيه قوله «يجب على فرنسا أن لا تخون» «اختها اللاتينية» ، وان لا تتنكر للصداقة التقليدية التى تربطها بها، وأن لا تحتل تونس تحت ستار الوصاية المزعومة، لان تونس وليبيا هما حصة ايطاليا فى شمال أفريقيا وذلك لكى لا يختل «توازن القوى فى حوض البحر الابيض المتوسط»·

ومن هذا يتضح جليا ان ايطاليا كانت تبيت العدوان على ليبيا وتعتبـــر احتلالها أمرا لابد من تحقيقه ، وفى هذا الموضوع كتبت مجلة «دوتش ريفيو» (Deutch Revue) الالمانية فى عددها الصادر فى فبراير ١٨٨٢ ما يـــلى :ـ «ان ايطاليا كانت تفكر فى احتلال تونس وليبيا منذ زمن بعيد ، وذلك تنفيــــذا للسياسة الاستعمارية التى يتبناها «كريسبى» ـ السياسى المتطرف ـ ولكنها تريد أن يتم لها ذلك على الطريقة «النابليونية» اى أن تحارب العدو وتحتـــل أراضيه بالاموال التى تسلبها منه ، وتمهيدا لتطبيق هذه السياسة الخبيثـــة

ضاعفت هجرة عمالها ومزارعيها الى شمال أفريقيا وشـــجعت استثمار بعض رؤوس الاموال الايطالية هناك وذلك لتتم لها السيطرة الاقتصادية الى أن يحين وقت الاحتلال العسكري، ولكن اتفاقية «باردو» المعروفة التى تمكن «جول فيرى» (Jules Ferry) من ابرامها ضيعت عليها الفرصة وأطاحت بجميع مشاريعها».

ولم يتراجع كريسبى عن رأيه فى أحقية ايطاليا باستعمار تونس ، حتى انه بلغ به الحقد والتهور والغرور ، ان وقف خطيبا فى الحفلة التى أقيمـــت فى باليرمو سنة ١٨٨٢، بمناسبة الذكرى المئوية لتأسيس منظمة «الدبابير» (Vespri) وقال بحماس يدل على مدى تهوره واستهتاره ما معناه : ـ كان من واجب فرنسا أن لا تعتدى على حقوق «اختها اللاتينية» فى تونس أما الان وقــد فعلت فاننا نطالبها بأن تصحح غلطتها ، وتترك تونس لايطاليا صاحبة الحق.. لان البحر الابيض المتوسط الممتد بين ايطاليا وشمال أفريقيا ـ تونس وليبيا ـ يشكل بحيرة يجب أن تكون بحيرة ايطالية خالصة .

هذا وجاء فى مقال نشرته جريدة «المنبر» *Tribune* بقلم «كريسبى» قوله ان تونس تصلح لان تكون قاعدة قوية للتوسع فى شمال أفريقيا لقربهـــا من جزيرة صقلية ..

والمقصود هنا بطبيعة الحال ليبيا لانها البلد الوحيد الذى كان حرا مــن سيطرة الاستعمار فى شمال أفريقيا .

كما أن «كريسبى» قال فى احدى خطبه فى مجلس النواب أن حكومتـــه ستعمل على احتلال الحبشة وجنوب السودان وليبيا لتربط ايطاليا بالبحــــر الاحمر عن طريق برى يكون له مستقبل عظيم فى الاتصال ببلدان الشرق الادنى والاقصى دون الحاجة الى المرور من السويس ..

وقد بذل «كريسبى» جهودا جبارة ليصل الى أهدافه ويحقق غاياتـــــه الاستعمارية وكاد يقوم بالاعتداء على ليبيا ، الا أن سراب التوسع فى الحبشة قد ألهاه عنها بعض الوقت ، اذ كان يفكر أنه متى تم له احتلال الحبشة سيكون من السهل عليه الاستيلاء على ليبيا ، ولكن هزيمة جيوشه فى «عدوه» سنـــة

١٨٩٦ كانت صفعة أليمة على وجه سياسته الاستعمارية الغادرة وضربـــة قاضية على مشاريعه التوسعية فى ليبيا ، كما كانت سببا فى نهايته كرجـــل سياسة وزعامة يعتمد عليه عند الشدائد ٠

وتتلخص هزيمة «عدوه» التى كانت سببا فى ردع ايطاليا ولو لمدة قصيرة عن تنفيذ مشاريعها المتعلقة بغزو ليبيا فيما يلى حسب ما كتبه الكاتب الفرنسى «هوبرت دى لاقارد» Huber Delagarde بعد ان تم لايطاليا الاستيلاء على مقاطعة ارتيريا بمساعدة النجاشى «منليك» لم ينس «كريسبى» عادة بلاده الخبيثة فى نكران الجميل والغدر بالحلفاء ، وأمر جنوده بالاعتداء على «منليك» حليـــف الامس، الذى ساعد ايطاليا على تثبيت أقدامها فى أفريقيا الشرقية، ليفتك به ويسلبه بلاده، ولكن «منليك» تنبه لخدعته ولقنه درسا لن ينساه وأذاق جنوده مرارة الهزيمة وغنم أسلحتهم ٠

وكتب المؤرخ ا٠ سافيلى (A. Savelli) فى نفس الموضـــوع ما يلى : ـ «ان هزيمة «عدوه» كانت نتيجة لتهور «كريسبى» ورعونته واستهتاره وعدم خبرته وجهله بشئون الحرب، اذ أنه أساء تقدير قوة الاحباش ، ولم يعرف مـــدى صلاحية الجندى الايطالى ، واستعداده للقتال ، ونتيجة لهذا الجهل والغـــباء منيت ايطاليا بأشنع هزيمة عسكرية وسياسية ـ تعتبر حقا كارثة على مستقبلها ووصمة عار ،وخسارة فادحة لا تعوض ـ خسرت ستة الاف بندقية وعددا ضخما من المدافع الثقيلة والخفيفة٠٠ان هزيمة «عدوه» ذنب اقترفه« كريسبى» ولن تغفره له الاجيال القادمة»٠

لاقوة بغير تسلط ...

جاء الجنرال «بيلو» (Pelloux) الى كرسى رآسة الحكومة بروح استعمارية عنيفة متطرفة ، تزيدها عمقا ورسوخا نشأته العسكرية ، التى أكسبته جرأة وجسارة وارادة قوية ، ونزعته الفطرية الميالة الى الاستبداد والتعسف ، حتى ان أعماله وتصرفاته كلها كانت تدل على أنه عنيف يؤثر الرهبة والشدة والظلم على الحق والعدل والانصاف وكان يعتقد كما جاء فى تصريحاته المحمومة «انه لا حق بدون قوة ٠٠ ولا قوة بدون تسلط وقهر وعدوان ٠٠» ٠

تسلم «بيلو» مسئوليات رآسة الحكومة فى الوقت الذى كانت اصداء هزيمة «عدوه» لا تزال تتردد فى اجواء ايطاليا،ولا يزال هولها يخيم على أوساطها الشعبية، وذكر ضحاياها لا يزال يثير الحسرة والمرارة، كما كانت الاضطرابات تسيطر على البلاد بشكل مخيف لكثرة الاضرابات، وتفشى البطالة، وانهيار الاقتصاد، ونتيجة لهذه المشكلات واجه «بيلو» صعوبات كبيرة لم يستطع التغلب عليها رغم الجهود المضنية الجبارة التى بذلتها حكومته للخروج من مستنقعات أزماتها الخانقة ٠

ونظرا لان بيلو كان من «دعاة الحرب» كما كان يصفه الصحفيون والمعلقون السياسيون ، فقد هداه تفكيره السقيم الى القيام بمغامرة استعمارية يستطيع احراز نصر فيها يدعم مركزه المتداعى ، ويساعده على اكتساب عطف الرأى العام الايطالى، وبذلك يتمكن من ايجاد حل لاكثر الازمات والمشاكل، وقبل هذا كله كان هدفه الاول ان يحقق انتصارا كاسحا يمسح به وصمة عار هزيمة «عدوه» التى خلفت فى تاريخ الجيش الايطالى صفحة من المذلة والهوان٠

ولتحقيق تلك الغاية جند «بيلو» خيرة رجاله العسكريين الذين يثق فيهم وكلفهم بوضع دراسة وافية لاحتلال ليبيا ، «الصحراء القاحلة التى تركتها

الدول القوية الجريئة التى فازت بالكسب والغنيمة» حسب تعبيره ..
وانكب العسكريون على اعداد الخطط التى تضمن نجاح الحملة ، بأقل خسائر ممكنة ، وكانت كل تقديراتهم ودراساتهم منصبة على القوى التركية الموجودة فى ليبيا ولم يحسبوا لمقاومة الليبيين أى حساب.

ولم ينته العسكريون من دراساتهم وتقديراتهم حتى فوجئوا بالجنرال «بيلو» يقرر القيام بمغامرة استعمارية فى الشرق الاقصى ، اذ أمر بارسال قوات ايطالية الى الصين لتحتل جزءا منها يكون قاعدة توسع فى المستقبل وكان يعتقد ان الشعب الصينى مفكك وضعيف ولا يقوى على الدفاع عن أراضيه وبالتالى يكون من السهل على الجيش الايطالى التغلب عليه واحراز النصر المنشود .

وحيث أن «بيلو» لم يأخذ رأى السياسيين فى تلك الحملة ، هاجمته الصحف وانتقلت القضية الى مجلس النواب، فكانت موضع جدل شديد، واتهمت المعارضة سياسته بالعقم والسقم والتدهور ، ووصفته هو شخصيا بأنه غمر لا يعرف من السياسة شيئا ، وانه مغامر يريد أن يلقى بالبلاد فى أتون حرب قد تكون سيئة العواقب وربما تكون نتيجتها هزيمة للجيش الايطالى أشد واقسى من كارثة «عدوه» .

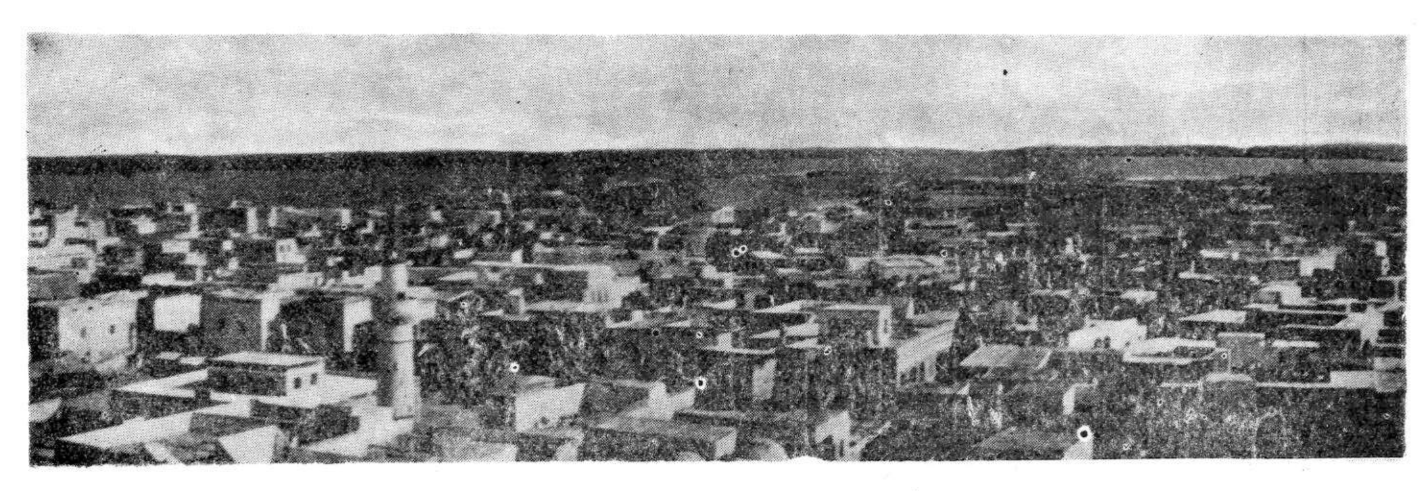
وحاول «بيلو» الدفاع عن وجهة نظره وزعم أن النصر سيكون حليف الجيش الايطالى ، لانه درس الحملة من جميع نواحيها ومهد لها تمهيدا عسكريا صحيحا يضمن نجاحها ، ولكن على الرغم من تأييد «كريسبى» و «جوليتى» له تغلبت عليه المعارضة واتخذ مجلس النواب قرارا غريبا بالنسبة للاكثرية التى تنزع الى تأييد الاستعمار ،ويظهر ان هزيمة «عدوه» كان لها اثر فعال فى اتخاذه، وقد جاء فى ذلك القرار ما نصه : «ان المجلس لا يقر سياسة الاستعمار، ويستنكر العدوان ويهيب بالحكومة أن توجه عنايتها وجهودها وامكانياتها الى معالجة أمور البلاد الداخلية لا أن تورطها فى مغامرات حربية مشكوك فى عواقبها ».

وحاول «بيلو» حل مجلس النواب والاستمرار فى تنفيذ مشاريعه الاستعمارية ، ولكنه لم يوفق ، ولما فشلت جميع مساعيه اضطر الى الانسحاب

من حملة غزو الصين انسحابا مخزيا وصفته الصحافة انذاك بقولها «انه انسحاب غير مشرف ولا كريم الظواهر»·

ولما كثر اللوم على «بيلو» واشتدت عليه وطأة المعارضة ، وانتقدته الصحافة بشدة متناهية حتى قالت :ـ ان «بيلو» يتبع سياسة تكتنفها الطلاسم ويسيطر عليها الغموض بصورة لا تخلو من الغباوة والبلاهة لذلك فهي تبعث على اليأس أكثر من الرجاء ·· انه عسكرى متصلب فى رأيه ومتزمت تستهويه المغامرات والمجازفات وأرعن يسير بالبلاد نحو الهاوية»·

وكثرت الصعوبات فى وجه «بيلو» ولكنه حرص على البقاء فى الحكم حتى يستطيع تحقيق «النصر المنشود» فى ليبيا بعد أن فشل فى الصين ، ولكن المعارضة والصحافة لم تهادنه ، وضيقت عليه الخناق ، ووجد نفسه أعزلا بسياسته المتصلبة وتفكيره العسكرى بين مجموعة قوية من محترفى السياسة ، فلم يستطع اثبات قوته على الصمود أمام ذلك التيار الجارف فاستقال واعتزل الميدان السياسى ، وكانت نواياه الاستعمارية السيئة طالع نحس ووبال على حياته السياسية الفاشلة وهكذا كفى الله ليبيا شر عدوانه ·



منظر عام مدينة طرابلس في سنة ١٩١١

فهبة أمل ... واصرار ...

اما الفارس الثالث ، وهو «جوليتى» (Giolitti) الذى تولى رآسة الحكومة أربع مرات وفى كل مرة يعد العدة لغزو ليبيا ثم يفشل حتى تحقق له ما كان يريد خلال توليه الحكم للمرة الرابعة ـ فقد كان أكثر تصميما وأعمق نزعة ، وأخطر تدبيرا ، وأشر تفكيرا وأجرأ تنفيذا من زميليه فى الفروسيةالاستعمارية وهما «كريسبى» (Crispi) و «بيلو» (Pelloux)

كان أول عمل قام به «جوليتى» بعد توليه الرآسة لاول مرة سنة ١٨٩٢ ، ان اتجه تفكيره الى المستعمرات فى أفريقيا الشرقية ، فعزز حامياتها بقوات ايطالية جديدة ، كما أمر بفتح باب التجنيد امام المواطنين والمرتزقة من البلدان المجاورة ، وكان قصده من تلك السياسة هو المحافظة على حدود المستعمرتين ، أرتيريا والصومال ، وتكوين قوة لا تكون قادرة على الصمود فى وجه أى اعتداء فحسب، بل تكون بمثابة «ترامبولينو» (Trampolina) «خشبة قفز» تقفز من فوقها قواته على البلدان المجاورة، اى الحبشة والسودان وذلك بعد أن يتم اعداد الخطة المرسومة وتحين الفرصة المناسبة .

وبعد أن اطمأن على سلامة تدابيره تجاه افريقيا الشرقية ، واعتقد ان المستعمرتين الايطاليتين هناك اصبحتا بمأمن من أى خطر خارجى، صار يتطلع الى ليبيا ، وأخذ يعمل على تنفيذ خطة ماكرة ترمى الى التمهيد لاحتلالها وهى تتلخص فى ارسال بعض الخبراء العسكريين والسياسيين تحت أسماء مستعارة ووراء ستار رجال الاقتصاد والاعمال ، وكانت المهمة الحقيقية الموكلة اليهم هى التجسس على البلاد وشراء الذمم وتركيز بعض العملاء ، وذلك ليوافوه بالتقارير الوافية المفصلة عن حالة البلاد وعن مدى تجاوبها لفكرة الاحتلال الايطالى .

هذا وقد قدم «جوليتى» مشروعا الى مجلس النواب يرمى الى استثمار رؤوس الاموال الايطالية فى ليبيا . وتمكن من اقناع المجلس بوجاهة مشروعه واستطاع ان ينتزع منه قرارا بالموافقة .

وكان «جوليتى» يعلن عما كان يضمره نحو ليبيا تدريجيا ، كأن يقول فى تصريحاته بانه «يجب على ايطاليا أن تأخذ حصتها فى الاراضى الافريقيـــة» ، «وانه على ايطاليا أن تجد لها فرجة فى شمال أفريقيا وشرقيها لتضمن موارد طبيعية توفر لها الخير والرفاهية» ٠

هذا وقد كان «جوليتى» مترددا محجما عن القيام بغزو ليبيا فى ذلـــك الوقت ، رغم أنه كان يعد له العدد ويرسم له الخطط ، ولم يكن مرجع تردده واحجامه الى تغير فى سياسته الاستعمارية ، أو عزوفه عن مبادئه العدوانية ، او عدوله عن الاتجاهات الشريرة التى تستند على الظلم والبغى والتسلط، ولكن السبب الرئيسى فى ذلك التردد والاحجام هو خوفه من التورط فى مغامـــرة حربية قد تكون فاشلة وتعود على بلاده بالهزيمة والخسران ٠

ولم يكن خوف «جوليتى» وليد أوهام ، أو نتيجة للتشاؤم أو التخاذل بل كان مبنيا على عمق التفكير وسلامة التقدير ، اذ انه لم يكن واثقا من مقـــدرة الجيش الايطالى وكفاءته للقيام بحملة غزو على ليبيا ، ولكن ذلك الخوف لـــم يمنعه من التصريح فى عدة مناسبات ان حكومته تنوى احتلال مستعمرة «لتقدمها هدية للشعب الايطالى لتوفر له العمل وتحقق له بذلك حياة أفضل ومستقبـــلا أكثر ازدهارا ورفاهية» ٠

وتنبه النواب الذين كانوا يتزعمون المعارضة فى مجلس النواب الى ما كان ينوى «جوليتى» تنفيذه من مغامرات استعمارية ، فاستغلوا تصريحاته ، التـــى وصفوها بانها «نذير حرب »، فى مهاجمته لاقصائه عن كرسى الرئاسة ٠ ولم ينكر «جوليتى» اتجاه نية حكومته الى التوسع فى أفريقيا واينما يكون التوسع ممكنا بدون خسائر وبدون اراقة دماء، ولم تقبل المعارضة تبريره لموقف حكومته وهاجمته بعنف وقوة حتى أن أحد النواب «كولاينى» (Colajanni) صرخ فى وجهه قائلا : «ان الشعب لا يريد الحرب ، انه يريد الخبز ٠٠ ان الشعب يريد أن يرى أولاده يحملون الفأس والمطرقة ليعملوا فى الحقل والمصنع ، ولايحملون السلاح ليعتدوا ويموتوا ٠٠»

ودافع «جوليتى» بحرارة وحماس عن سياسة حكومته، ولكن بلاغته فـــى التعبير ، وفصاحته فى الالقاء ، ومقدرته على الاقناع لم تجده نفعا ، كما لم تجده مؤازرة وتأييد «كريسبى» له ٠

والغريب هنا ان «كريسبى» كان يؤيد «جوليتى» بحرارة فى سيـــاسته الاستعمارية ، رغم العداوة التى كانت متأصلة بينهما ، والتى وصفها محــــرر

«الكوريرى ديلاسيرا» (Caorriere della Sera) بانها «عداوة عميقة متغلغلة فـي القلوب لم تنفع جميع الوسائل فى جلاء صدئها» •

وأسباب تلك العداوة هو اختلاف وجهات نظرهما السياسية وتنافسهما الشديد على الزعامة، والدليل على ذلك أن «جوليتى» استقال من وزارة«كريسبى» لينضم الى صفوف المعارضة فى سنة ١٩٨٠ وليعمل على تحطيم الحكومة التى كان عضوا فيها •

والحقيقة أن تأييد «كريسبى» لعدوه «جوليتى» كان يهدف ـ حسب تفسير البعض ـ الى تشجيع «جوليتى» واستدراجه الى التورط فى مغامرة حربية توردة موارد الفشل والخيبة لكى يتخلص من منافسته ، ويعتقد البعض أن تأييده كان صادقا لان سياستة الاستعمارية تتواءم مع سياسة عدوه .والمهم عنده هو الوصول الى الهدف وهو تحقيق مستعمرات لايطاليا ، ولا يهم من يحقق تلك الامنية •

ولكن الفشل فى قاعة مجلس النواب لم يثن «جوليتى» عن الاستمرار فى تدبير خطته بصورة سرية، وكاد يفاجىء بلاده بنبأ تحقيق الامل المنشود وهو غزو ليبيا ، لو لم تبرز فى حكومته فضيحة ضج لها الرأى العام وكانت موضوع جدل عنيف فى مجلس النواب والشيوخ، وهى تتلخص فى اكتشاف اختلاس يبلغ ستين مليونا من الليرات سكت فى انجلترا بناء على طلب «بانكا رومانا» (Banco di Roma)، ولما بدأ التحقيق فى هذا الاختلاس الكبير ضبطت الشرطة أربعين مليونا أخرى من الليرات كانت مرسلة من بريطانيا الى«البانكا رومانا»فى صناديق كتب عليها انها تحتوى على جعة «بيرة»•

وتحرج موقف «جوليتى» على اثر تلك الفضيحة وانصرفت جميع جهوده الى انقاذ سمعة حكومته من تلك الوصمة المشينة التى زعزعت أركانها وحطمت دعائمها ولما فشلت جميع محاولاته قدم استقالته •

ومن المتناقضات فى مواقف «كريسبى» انه كان أشد المعارضين فعالية فى مهاجمة «جوليتى» والتشهير به ، واتهامه بجسارة وصراحة أنه مشترك فى اختلاسات « بانكا رومانا »•

وعلى الرغم من أن «جوليتى» لم يبق فى رآسة الحكومة الا سنة واحدة ، من نوفمبر ١٨٩٢ الى نوفمبر ١٨٩٣ الا أنه استطاع فى هذه الفترة القصيرة أن يحقق الكثير من مؤامراته ودسائسه للغدر بليبيا والعدوان عليها •

انتهازية ... وغدر ...

تعرضت حكومة «زاناردیلی» (Zanardelli) فى النصف الاول من سنة ١٩٠٣ ، الى هزات عنيفة زلزلت أركانها ، واضعفت ثباتها ، وقللت من هيبتها، والسبب فى ذلك يرجع الى فشلها فى حل المشاكل المستعصية التى وقفت فى طريقها وعرقلت أعمالها والى اخفاق جميع جهودها فى التغلب على تلك المشاكل.

ومن أشد تلك المشاكل وطأة على الحكومة والتى كانت سببا فى تأزم موقفها تبرز فى الدرجة الاولى مشكلة الامراض التى تفشت فى البلاد بشكل وبائى ، والتى لم توفق الحكومة فى توفير العلاج الناجع للقضاء عليها او الحد من توسع أخطارها الفتاكة، ومشكلة تفشى البطالة وكثرة الاضرابات.

هذا وكانت مشكلة اضراب اليد العاملة فى القطاع الزراعى أقوى المشكلات عصفا بأركان الحكومة ، اذ امتنع العمال عن حصد الزرع ، رغم أن موسم الحصاد كان على وشك الانتهاء ، الشىء الذى هدد المحصول بالضياع ، وتمسكهم برأيهم فى استمرار الاضراب حتى تحقق لهم الحكومة مطالبهم التى تتلخص فى تحسين وضعهم الاجتماعى ورفع اجورهم.

ومما زاد فى تعقيد الموقف بالنسبة للحكومة ان الصحافة ـ خصوصا اليسارية المتطرفة ـ ركزت هجماتها وانتقاداتها على اضراب عمال الزراعة وعلى ما ينتج عنه من خسارة فادحة قد تهدد البلاد بالمجاعة والافلاس .

وتطورت المشكلة واتسع نطاقها فتلقفها نواب المعارضة واتخذوا منها وسيلة لمهاجمة الحكومة ، فكانت سببا فى مشادات عنيفة بينها وبين النواب ، ودارت حولها مناقشات حامية عنيفة قام «جوليتى» فيها بدور فعال فى الدفاع عن الحكومة بصفته وزير الداخلية أى المسئول الاول عن الاستقرار فى البلاد.

ويقول خصوم «جوليتى» ان دفاعه القوى فى مجلس النواب كان يهدف من ورائه الى غايتين ، الاولى هى ضياع الوقت بحيث ينتهى موسم الحصاد وتضيع المحاصيل ويكون ذلك سببا فى سقوط الحكومة ، والثانية هى أن يظهر بمظهر الوزير القوى الذى لا يتراجع فى رأيه ويتغلب على المعارضة بمناوراته السياسية ودهائه ومقدرته ·

ولما اشتدت الازمة وبلغت مرحلة الخطر تقدم بعض الشيوخ باقتراح يرمى الى استخدام الجيش فى عملية الحصاد ، حتى لا تضيع المحاصيل نتيجة لاصرار العمال على استمرار الاضراب مالم تلب مطالبهم ، وتقدم الشيخ «فاينا» (Faina) بهذا الاقتراح ، ولكن «جوليتى» تصدى له ورفض الاقتراح مستندا فى رفضه على ثلاثة اسباب فسرها بما يلى : —

١ـ لانه لا يؤمن بمشروعية اتخاذ ذلك الاجراء من الناحية القانونية ·

٢ـ لانه يرى أن تسخير الجيش فى أعمال خاصة كهذه يخرج عن دائرة اختصاص الجيش ولا تقره سياسة الدولة·

٣ـ لانه لا يعتقد أن حصاد الزرع الخاص بأفراد أو هيئات خاصة يدخل فى نطاق مفهوم الصالح العام ·

وحاول «فاينا» الدفاع عن الاقتراح قائلا بان المحصول الزراعى يشكل ركنا رئيسيا من أركان الاقتصاد الوطنى ، لذلك، يعتبر صالحا عاما ، ولكن جوليتى فند هذه الحجة بقوله ان حصاد الزرع لا يمكن ان يعتبر صالحا عاما لان القانون لا ينص على معاقبة من يهمل حصد زرعه ويتركه للتلف بينما يعاقب من يقوم بأعمال تضر بالصالح العام ·

وبعد مناقشة طويلة استغرقت مدة طويلة استطاع «جوليتى» ان يتغلب على الشيخ «فاينا» ومؤيديه ·

ولما اشتدت الازمة نصح «جوليتى» رئيس الحكومة «زانارديلى» بأن يقدم استقالة حكومته ، ولكن هذا الاخير رفض الاقتراح ، اعتقادا منه أنه لا ينطوى على الاخلاص وحسن النية، بل يشوبه الكثير من المكر والتآمر·

واستناء «جوليتى» لرفض اقتراحه وطرأ على علاقته برئيس الحكومـــة شىء من الفتور ،وأطلت بوادر الخلاف بينهما سافرة، حتى يوم ٢١-٦-١٩٠٣ قدم جوليتى استقالته ، ومما زاد فى حدة الازمة وفى ارتباك الحـــكومة أن «جوليتى» رجع الى مقعده بين صفوف المعارضة.

وعلقت بعض الصحف التى كانت تصدر فى ذلك الوقت ومنها «البعث» (Risorgimento) على استقالة «جوليتى» بقولها: -« لقد اختار جوليتـــى الوقت المناسب ليصرع الحكومة بالضربة القاضية ويرغمها على الاستقالـــه ليشق طريقه نحو الرآسة والمجد».

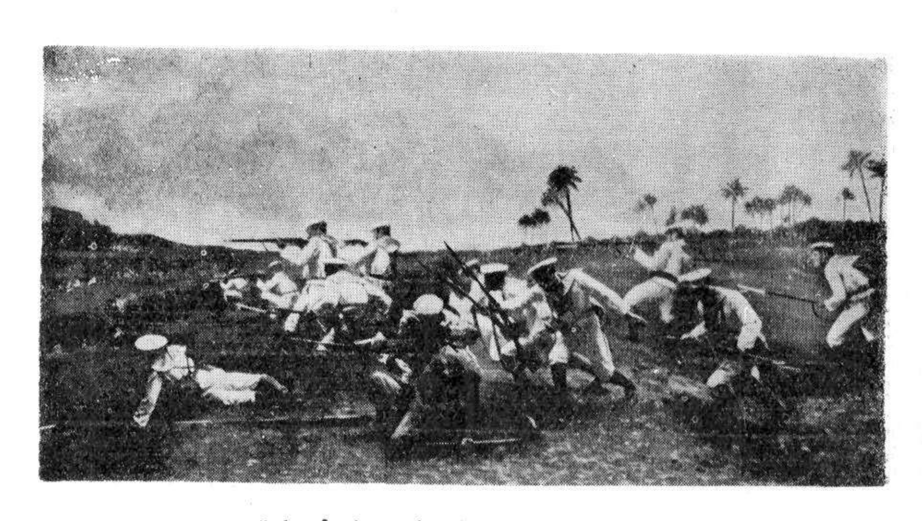
ويبدو أن تنبؤات الصحافة فى تعليقها كانت تستند على اساس من الصحة اذ ان الحكومة تعثرت فى خطواتها ثم سقطت ضحية هجمات المعارضة بعد أن تخلى عنها «جوليتى» فى احرج مرحلة من مراحل مدة حكمها واكثرها دقـــة وحساسية.

ولكن«جوليتى» نفى عن نفسه تهمة التآمر على الحكومة التى كان عضوا فيها، وزعم ان استقالته كانت ترجع فى اساسها الى رفض اقتراحه.

وجاء تأييد زعمه هذا فى مذكراته حيث كتب حول تلك الاستقالة ما يلـى: «حيث انه لم يعمل بنصيحتى، قدمت استقالتى منفردا، وكان ذلك التصـــرف صحيحا من الناحية الدستورية».

« Il mio consiglio non essendo stato seguito, io detti le dimissioni per conto mio. L'occasione era costituzionalmente corretta. »

ولكن استعراض الوقائع لا يبعث على تصديق ادعاء «جوليتى» بل يقيم الدليل على غدره بزميله «زانارديلى» وعلى عمله على ازاحته من مقعد الرآسة ليخلفه فيه وهكذا كان ، اذ بمجرد ان قدمت الحكومة استقالتها فى اكتوبر ١٩٠٣، كلف «جوليتى» فورا وبدون مشاورات، بتشكيل الحكومة الجديدة وهذا ان دل على شىء فانما يدل على ان الامر كان مدبرا ومتفقا عليه من قبل، كما انه يدل من ناحية اخرى ان «جوليتى» كان انتهازيا يغدر باصدقائه لتحقيق غاياته ويتنكر لهم فى سبيل الوصول الى المجد.



مشهد لاول معركة يخوضها البحارة
الايطاليون الغزاة مع المجاهدين الاحرار بعد نزولهم فى طرابلس



فضيحة ... وانتحار ...

شكل «جوليتى» حكومته الجديدة، واستطاع ان يحل جميع المشاكل التى تركتها له الحكومة المستقيلة، والتى اخفقت هذه الاخيرة فى حلها لتآمره عليها وخذلانه لها فى الوقت المناسب تنفيذا لمؤامراته وخطته المرسومة.

وحاولت المعارضة ان تعرقل أعماله ، ولكن السياسة الجديدة التى استنها والتى كان فيها الكثير من الخداع والمراوغة والتمويه ، وتطغى عليها روح «الدكتاتورية» والبطش والارهاب كانت عاملا رئيسيا فى صموده امام تيار المعارضين ، كما أن بلاغته وفصاحته وبراعته فى التخلص وقدرته على الاقناع كانت من أهم عوامل نجاحه فى الحصول على تأييد الاغلبية فى المجلس.

وبينما كان «جوليتى» ماضيا فى تدبير خطط سياسته الاستبدادية فى الداخل والخارج ، اذ أنه كان يتبع سياسة القمع والارهاب للحركات المناوئة لسياسته فى الداخل ،ويدبر المؤامرات العدوانية ضد ليبيا ويعد العدة لغزوها، هبت عليه عاصفة جديدة فى مجلس النواب، اذ ان عدوه اللدود «كريسبى» قدم الى المجلس استجوابا حول مبلغ كان«بيترو روسانو» (P. Rosano) وزير مالية حكومة «جوليتى» قد قبضه من أجنبى يدعى «برقاماسكى»(Bergamaschi) روسى الجنسية ــ مقابل دفاعه عنه فى قضية رفعها ضد قرار تعسفى اتخذته ضده وزارة الداخلية وكسب له القضية وادعى «كريسبى» ان «روسانو» قبض ذلك المبلغ الضخم على أساس رشوة بصفته نائبا وله نفوذ كبير فى وزارة الداخلية ، وكان قصد «كريسبى» واضحا هو ان يشكك فى أمانة وزير المالية واخلاصه لبلاده لان العميل أجنبى ، وفى الوقت نفسه يشهر بخصمه «جوليتى» وينسب اليه تهمة التواطىء لانه كان وزيرا للداخلية عند رفع القضية .

ودافع «جوليتى» بقوة وعنف عن وزير ماليته «روسانو» ولكن هذا الاخير لم يحتمل أن يوجه اليه الاتهام بالخيانة والرشوة فى مجلس النواب وعلى صفحات الجرائد، وفضل الانتحار.

وقبل ان ينتحر «روسانو» ترك لصديقه «جوليتى» رسالة مقتضبة جاء فيها ما يلى : —

«عزيزى «جوليتى». لقد كان لى — كما تعلم — حتى هذه الساعة شجاعة أوفر ، ولكننى الان لا أستطيع الاحتمال أكثر ، اننى أتركك وأنا برىء» .

« Caro Giolitti — Ho avuto, devi convenirne, un coraggio superiore sinora, ma ora non resisto più. Cedo e sono innocente. »

وكان هذا الحادث صدمة «لجوليتى» لانه فقد صديقا عزيزا عليه وعنصرا كان يعتمد عليه ، ولكن انتحار ذلك الصديق كان سببا فى خلاص الحكومة من مهاجمات «كريسبى» اذ بموت «روسانو» ماتت تهمة الرشوة والخيانة التى كانت موجهة اليه ، والتى كانت ربما تتسع لتشمل بوزرها حتى «جوليتى» نفسه.

وهذه القضية وما نشأ عنها من مضاعفات ليست لها علاقة مباشرة بتاريخ ليبيا ، الا أنها كانت سببا فى الهاء «جوليتى» لمدة طويلة عن متابعة جهوده فى حياكة المؤامرات ضد ليبيا الآمنة المطمئنة .

شراء الذمم والضمائر ...

وبعد ان وجد «جوليتى» (Giolitti) خلفا لوزير ماليته المنتحر فى شخص صديقه «لوزاتى» (Luzzati) بدأ يعمل من جديد على تحديد معالم السياسة التى رسمها خلال حكومته السابقة ، وعلى رأس تلك السياسة تأتى مسألة التوسع فى شمال أفريقيا ، أو أفريقية البحر الابيض المتوسط ، كما كان يسميها هو ، والتى كانت شغله الشاغل منذ ان دخل الميدان السياسى كعضو فى مجلس النواب سنة ١٨٧٧ ، كما يعترف بذلك فى مذكراته اذ يقول :

« Che io mi rendessi conto dell'importanza del problema dell'Africa Mediterranea e della necessità che l'Italia non fosse esclusa dalla sua soluzione, l'avevo dimostrato sino da quando ero entrato nel Parlamento. »

«أما اننى أقدر اهمية مسالة افريقية البحر الابيض المتوسط وضرورة عدم استثناء ايطاليا عند حلها ، فهذا شيء جاهرت به منذ أن دخلت مجلس النواب»

هذا وكان «جوليتى» يعمل بجد واجتهاد وفى سرية تامة ليحقق غايته فى احتلال ليبيا وتقديمها هدية للشعب الايطالى على حد تعبيره ، ولكن ظروف بلاده المالية والاقتصادية كانت ترغمه على أن يؤجل المرة بعد الاخرى تنفيذ الغزو هذا من جهة ولان هزيمة «عدوه» أثرت فيه وجعلته يفضل الحذر والتريث وتحين الفرصة السانحة على التهور والاندفاع من جهة أخرى.

وعلى الرغم من حذر «جوليتى» وكتمانه لمشاريعه الاستعمارية فقد فطنت المعارضة الى مناوراته وتدابيره الاستعمارية وهاجمته هجوما عنيفا على الصحف الحزبية، وطلب بعض النواب المعارضين عقد جلسة طارئة للمجلس ليناقشوا فيها سياسة الحكومة الخارجية ، ولكن «جوليتى» لم يمهلهم واستطاع اقناع الملك بضرورة حل مجلس النواب كما يقول :

«وهكذا اقترحت على «التاج» حل المجلس وتم حله».

« Così proposi alla Corona lo scioglimento della Camera e la Camera fu sciolta. »

ولكن حل المجلس لم يعط لجوليتى النتيجة المرجوة اذ فاز فى الانتخابات التى اجريت فى نوفمبر ١٩٠٤ المحافظون بصورة ساحقة ، وهم أشد المعارضين لسياسته ولا ترتكز معارضتهم على عدم رضائهم على التوسع الاستعمارى ، بل ترتكز على خلافات حزبية بين المحافظين والاحرار.

ونظرا لان «جوليتى» أخفق فى نيل غايته ولم يجن الثمار التى كـــان ينتظرها من حل المجلس ، لم يقف موقف المتفرج او المستسلم ، وعمل من وراء الكواليس ليضمن التوازن بين الحكومة والمعارضة فى المجلس ، واستطـــاع بمناوراته السياسية البارعة ان يزيح النائب «بيانكيرى» (Bianchieri) من رآسة المجلس لانه كان رئيسا قويا وان يأتى بالنائب «ماركورا»(Marcora) الى كرسى الرآسة، ونجح بذلك فى تخفيف وطأة المحافظين على حكومته، لان «ماركورا» حسب وصفه له «رجل ذو شخصية سياسية أقل بروزا وتتحلى بروح المسالمـــة ».

« una persona di meno spiccata personalità politica e che rappresentasse piuttosto uno spirito di conciliazione. »

ولما استتب الامر «لجوليتى» جدد نشاطه فى تحقيق سياسته الاستعمارية واستغل زيارة رئيس جمهورية فرنسا «لوبيه» (Loubet) ووزير خارجيتها «ديلكاس» (Delcasse) لايطاليا فى سنة ١٩٠٤ ، وتمكن من الحصول عــلى تأكيد الوعد السابق التى قطعته له فرنسا على نفسها اثناء حكومته السابقـــة سنة ١٨٩٣ ، والذى يتلخص فى أن فرنسا تعطف على ايطاليا وتعترف بحقوقها ومصالحها فى ليبيا .

واستطاع «جوليتى» فى تلك المحادثات ان يزيل ما علق بعلاقات ايطاليا بفرنسا من شوائب أدت الى الفتور والتى كان سببها سياســـــة «كريسبى» المرتجلة على حد قوله .

ولما اطمأن «جوليتى» على تأييد فرنسا لمخططاته الاستعمارية اتجه الـــى كسب موافقة الدول الاخرى ،فزار المانيا وقابل فى مدينة «هامبورج»(Hamb.) الامير «بولو» (Bulow) وبعد ان تحدث معه فى شتى المشاكل السياسية التى كانت تشغل الدول والرأى العام، فى ذلك الوقت، تطرق الى الحديث عـــن مشروعات حكومته فى التوسع فى افريقيا الشمالية واستطاع ان ينتزع مـــن الامير «بولو» بدون عناء تعهد المانيا بعدم التدخل فى حالة قيام ايطاليا بحملـة عسكرية لغزو شمال افريقيا وهو ليبيا بطبيعة الحال ٠

وبينما كانت مساعى «جوليتى» السياسيةوالدبلوماسية تسير سيرا حثيثاً فى سبيل الوصول الى هدفه، كانت مؤامراته وتدابيره واستعداداته الاستعمارية تواكب تلك المساعى بخطوات أوسع ٠

هذا واستطاع جوليتى أن ينفذ الكثير من مؤامراته فى ليبيا ، اذ أرسل بعثات كثيرة ، فنية فى ظاهرها وسياسية فى باطنها ، وأمر بفتح فروع «بنك روما» (Banco di Roma) لشراء ذمم وضمائر ذوى النفوس المريضـــة ، وتمكن من أن يجند له فرقة من الجواسيس والعملاء داخل ليبيا ٠

خطة فى ثلاثة مراحل ...

ولما انتصر «جوليتى»، أو خيل له انه انتصر، على خصومه وظن انه اصبح فى مأمن من مضايقات المعارضين فى مجلس النواب، الذين كانوا يعرقلون ــحسب اعتقادهــ تنفيذ سياسته الاصلاحية ويقفون حجر عثرة فى طريق مشروعاته، اندفع بقوة وعنف نحو الوصول الى تحقيق غايته المنشودة وهى احتلال ليبيا.

ونظرا لانه من ابرع الذين يتقنون المناورات وحياكة المؤامرات، والذيــن يعرفون كيف تستغل الظروف وكيف تنتهز الفرص،فقد اتبع سياسة جديدة فى الحكم تختلف عن التى كان يتبعها خلال فترة رآسته السابقة وتمتاز عليها بما تتسم من دكتاتورية واستبداد وغدر وخيانة.

لقد استطاع «جوليتى» ان يشل نشاط مجلس النواب، وان يجمد المعارضة فيه، وهكذا اتسعت دائرة مطامعه واصبح يتجه نحو نظام «الحكم الدكتاتورى المطلق».

وفى نشوة وزهو الانتصار وغمرة الاندفاع جدد «جوليتى» نشاطه الرامى الى تحقيق التوسع الاستعمارى ،وكان نصيب ليبيا من ذلك النشاط نصيب الاسد، اذ انه، أى «جوليتى»، كان يعتقد ان الاوان قد آن لتصفية قضية ليبيا، التى كانت تشغل باله فى المرتبة الاولى، خصوصا وان فشله فى تنفيذ خطة غزوها، عدة مرات، قد أثر تأثيرا عميقا فى نفسيته.

وقد كانت تلك العوامل ــاى الاعتقاد بضرورة تصفية القضية الليبية والفشل فى تحقيقها ــ من اهم الاسباب التى جعلت «جوليتى» يقدم على اتخاذ اجراءات جريئة فى سلسلة طويلة من التدابير المعقدة الماكرة، كلها تدور حول محور واحد هو غزو ليبيا والاستيلاء عليها مهما كانت الوسيلة ومهما كان الثمن.

وتطبيقا لتلك المؤامرة قسم «جولتيى» العمل على بلوغ غايته فى احتلال ليبيا الى ثلاثة مراحل وهى:ـ

١:ـ بث الجواسيس والعيون فى جميع انحاء ليبيا.

٢ـ بذل الاموال فى سبيل شراء الضمائر لخلق فئة من العملاء والخونة .

٣ـ القيام بحملة دعاية مركزةلتهيئة الرأى العام لتقبل عملية الغزو بتأييد.

ولتنفيذ المرحلة الاولى كلف «جوليتى» قلم المخابرات بان يختار مجموعـة من اقدر الجواسيس الموثوق فيهم ومن الذين برهنوا على الكفاءة والامانـــة والاخلاص فى العمل، واشترط ان يكونوا من الاذكياء والاقوياء الذين يستطيعون تحمل المتاعب وشظف العيش فى ليبيا، ليوافوه بتقارير عن كل شىء فيها.

ولم تمض الا بضعة ايام حتى جهـز قلم المخابرات شبـكة دقيقـة من الجواسيس الذين سبق لهم العمل فى الجوسسة فى بعض بلدان الشرق الاوسط ومن الذين يتكلمون العربية بحكم اقامتهم فى تلك البلدان.

وفى سبتمبر ١٩٠٤ بدأ الجواسيس الايطاليون يتسللون الى ليبيا، تحت اسماء مستعارة ووراء مهمات مختلفة فمنهم من ادعى انه مهاجر لطلب العيش وزعم انه فنى فى التجارة أو الحدادة او البناء او تصليح الاسلحة، ومنهم من بلغت به الوقاحة والصفاقة ان زعم انه قرأ الكثير عن الدين الاسلامى فاستهواه وفضل ان يدخل فيه ليكون من زمرة المهتدين.

وانتشر الجواسيس فى عدة مدن ليبية فى مقاطعة طرابلس الغرب وكانوا يحملون معهم مبالغ كبيرة من النقود ،ومزودين بتعليمات دقيقة تتلخص فى ان يندسوا بين طبقات الشعب وان يحتكوا احتكاكا مباشرا بالشخصيات ليجسوا نبضها لمعرفة موقفها من ايطاليا ومدى تعاونها معها فى حالة قيامها بغزو ليبيا.

وبدأ الجواسيس العمل فى شكل خلايا كل واحدة ترجع الى رئيسهـــا وتتلقى منه التعليمات، ويتولى رؤساء الخلايا ارسال المعلومات، التى تردهم من الخلايا، بعد تنقيحها الى قلم المخابرات فى ايطاليا الذى كان يتولى عرضها على رئيس الوزراء شخصيا، وبذلك اصبح «جوليتى» يعرف كل شىء عن الليبيين،

عاداتهم، تقاليدهم ، علاقتهم بالحكام الاتراك، ومدى تذمرهم من تصرفات اولئك الحكام ،وعن الخلافات الناشئة بين العائلات والقبائل، وعن مستوى ثقافـــة الكثيرين منهم ومدى نفوذهم على مواطنيهم.

وبعد ان حقق «جوليتى» بهذه الخطة الماكرة شيئا من النجاح الذى كان يتوق اليه، ارسل بعض السياسيين من وزارة الخارجية، تحت رئاسة القنصل «قالو» (Gallo) ليتأكدوا من صحة المعلومات التى وردت من الجواسيس وليواصلوا الاتصالات بالعملاء والخونة ،وليوافوا الحكومة بتقارير مفصلة عـن الاوضاع فى البلاد.

وما ان وصل «قالو» ورفاقه الى ليبيا ــ مقاطعة طرابلس ــحتى انهالت التقارير على «جوليتى» تؤكد وجود عناصر مستعدة للتعاون مع ايطاليا ،وفى هذا الموضوع كتب «جوليتى» ما يلى:ــ

« ان تقارير قناصلنا لفتت انتباهنا الى انه لا يخلو بين الزعماء ذوى النفوذ من أظهر انه موافق على التفاهم معنا.»

« I rapporti dei nostri consoli avevano richiamato la nostra attenzione al fatto che non mancavano dei capi influenti . . . che si mostravano alieni all'affiatarsi con noi. »

وعلى هذا الاساس ارسل «جوليتى» الى « قالو » تعليمات جديدة طلب منه فيها ان يعمل كل ما من شأنه ان يساعد على اتساع شقة الخلاف بين الليبيين والاتراك كما ورد فى مذكراته :

« للاستفادة من الخصومات والخلافات السياسية ومن تذمر الزعمـــاء المحليين من السلطات التركية ».

« per profittare dei conflitti e dissensi e malumori politici dei capi locali con le autorità turche. »

وتقضى تعليمات «جوليتى» ان يقوم «قالو» عن طريق العملاء بحملة تشهير بالحكومة التركية وبنظامها المتاخر الرجعى مصحوبة بحملة ترمى الى الاشادة ــ من طرف خفى ــ بايطاليا وبدبمقراطية الحكم فيها، وذلك للايحاء بان ليبيا لو كانت تحت الحكم الايطالى بدلا من الحكم التركى لكانت أحسن حالا وأكثر ازدهارا ورخـــاء.

هذا وقد نجح « قالو » فى تنفيذ خطط « جوليتى » الاستعمارية واستطاع كسب صداقة بعض العملاء من ذوى الضمائر الميتة والنفوس المريضة ، الذين تعنيهم المناصب التى لوح لهم بها « قالو » والعطايا التى اغدقها عليهم اكثر مما تعنيهم كرامتهم ووطنهم ٠

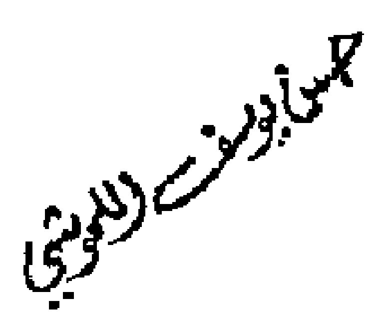
ولكن الذى لاشك فيه ان هؤلاء الخونة كانوا قلة وكان اغلبهم من المرتزقة الذين وفدوا الى ليبيا طلبا للرزق ٠

وفرح «جوليتى» لانتصار سياسته ونجاح مؤامراته فى مرحلتين من مخططه الاستعمارى الغادر ، وفكر ان مهمة الجواسيس قد استنفذت غرضها وذلك بعد ان توفر العملاء والخونة وامر بارجاع الكثيرين منهم ٠

وبعد دراسة التقارير التى قدمها له « قالو » الذى حضر لمقابلته خصيصا لهذا الغرض ، استقر رايه اى « جوليتى » على فتح فروع لبنك روما فى ليبيا على ان تكون خاضعة بصورة سرية فى جميع اجراءاتها للقنصل « قالو » الذى كلف بادارتها لمد العملاء والخونة بالمال اللازم لتنفيذ خططهم المنحطة الدنيئة٠

هذا وقد كان « لبنك روما » نشاط مريب ومتشعب اهمه العمل على وضع البلاد تحت سيطرة الايطاليين اقتصاديا ، ويليه فى الاهمية شراء الذمم والضمائر بصورة لاتلفت الانظار ولاتثير الشكوك ٠

وهذه الحيلة الجهنمية ــ وهى فتح فروع البنك فى ليبيا ــ التى انطلت على اكثر الليبيين لانهم كانوا يظنون ان البنك جاء ليستثمر امواله فى اعمال تجارية ــ اقتصادية شريفة ــ تبين بجلاء ووضوح الى اى حد وصل «جوليتى» من المكر والغدر والخيانة فى سبيل تنفيذ مؤامرته العدوانية على ليبيا وشعبها الامين ٠



الدعاية المسمومة ...

وبعد ان انتهى « جوليتى » من تنفيذ القسم الاكبر من مؤامرته الاجرامية الاثمة الذى استغرق منه وقتا طويلا ، وكلفه الكثير من الاموال والجهود والتضحيات ، ظن ان كل شيء قد اصبح على اهبة الاستعداد لخوض المرحلة الحاسمة التى يجب ان تسبق ـ حسب اعتقاده ـ الغزو العسكرى ، وهى ان يهيء الرأى العام الايطالى ليتقبل نزوات عقليته الاستعمارية بالرضوان والاستسلام ، وبذلك يستطيع ان يسد فى وجه المعارضة اية ثغرة تحاول التسلل منها ويخمد بقية صوتها الخافت من التسلط والاستبداد والانتقام ، واذا ارتفع ذلك الصوت فانه سيقابل من قبل الشعب حسب تدبيراته الماكرة بالهزء والسخرية والاستخفاف ·

ومن اجل تحقيق تلك الغاية ، اى السيطرة على الرأى العام وخنق صوت المعارضة واقامة السدود فى طريق المعارضين ، حشد « جوليتى » عددا ضخما من الصحفيين المأجورين الذين استطاع اشتراء ضمائرهم قبل اقلامهم، وكلفهم بأن يقوموا بحملة دعاية مغرضة تستهدف التشهير بليبيا والليبيين ·

وقد نجحت خطة « جوليتى » بفضل دهائه ومكره وبفضل المبالغ الضخمة التى كان يوزعها على هؤلاء الصحفيين المغمورين، والمتطفلين على الصحافة ممن جعلوا من اقلامهم الصديئة مصدرا للارتزاق، ووسيلة دنيئة للانتهازية والاستغلال ، واصبحت الصحف تنشر الافتتاحيات والمقالات الطويلة ، التى تعتمد على المغالطة وقلب الحقائق والتهريج والتضليل تمعن فى وصف ليبيا بكل اوصاف التخلف والتأخر والهمجية والوحشية حتى وصلت ببعضهم السلاطة والصفاقة الى ان كتبوا زاعمين ان ليبيا قطعة صحراء قاحلة يسكنها بعض الرعاة الملونين الذين لايعرفون من المدنية شيئا ولايزالون يعيشون عيشة البداوة وكانهم فى العصر الحجرى ·

ولما تأكد « جوليتى » ان حملة التشهير بليبيا قد اتت بالنتيجة المرجـــوة واصبح الايطاليون يعتقدون ان ليبيا ارض صحراوية يسكنها شعب صغير هو من اكثر الشعوب تأخرا وتوحشا ، وينظرون اليها والى سكانها بعين الاحتقار والاشمئزاز ، هداه تفكيره الخبيث الى العمل على تغيير تلك النظـــرة بحيث تصبح مشبعة بالكراهية والبغضاء والرغبة فى الانتقام ، لذلك اصدر تعليماته الى ارباب الاقلام المأجورة بحيث يضفوا على الشعب الليبى البرىء ثوبا اخـــر من زورهم وبهتانهم ليصوروه للشعب الايطالي بصورة العدو رقم واحد الذى يجب القضاء عليـــه ٠

وسرعان ما تغيرت لهجة المقالات فى الصحف واصبحت محشوة بالشتائم والمسبات للشعب الليبى الهمجى المتأخر ـ حسب رأيهم ـ وصارت تضج من تصرفاته التعسفية الغاشمة ضد الجالية الايطالية والاوروبية المسالمةوتطالب بحمايتها ، وما تلك الجالية التى يطالبون بنصرتها الا شرذمة الجواسيس التى بثها « جوليتى » فى مقاطعة طرابلس ٠

وكانت الصحافة المأجورة تتفنن فى الافتراء والتجنى على الليبيين وفـــى اختلاق الاكاذيب عنهم وتلفيق التهم لهم حتى ان بعض المحررين، ادعوا انهـم سافروا الى ليبيا وعادوا لينشروا الحقائق عنها ،فمنهم من قال انه لايوجد فى ليبيا قانون يردع المعتدين ولا توجد سلطة حاكمة تحد من طمع الطامعين، ومنهم من ادعى ، زورا وبهتانا ، ان الليبيين يقتلون الايطاليين والاوروبيين لاتفـه الاسباب ، وينتهكون حرماتهم ويغتصبون اموالهم ، وقال فى تبرير تلـــك الاوضاع المختلقة المزيفة بان الليبيين همج لايردعهم شىء لانهم تنقصهـــــم المدنية والسيطرة القانونية والضمير الانسانى الحى٠٠٠

هذا وكلما لاحظ « جوليتى » ان حملة دعايته المغرضة المسمومة كــــانت تخف او تميل الى الفتور، كان يغـذيها بتصريحاته المسعورة، التـى لا تستند على الحقيقة فى شيء، ولكن ذلك كان لا يهمه اذ ان غايته المنشودة هى ان تقوى وتتغلغل فى عقول السذج ويكون لها تأثير اكبر واوسع فى نفوسهم ٠

والغريب حقا ان تصريحات «جوليتى» كانت مركزة تركيزا بارعـا، بحيث تضرب على الوتر الحساس وتحرض على بغض وكراهيـــة الليبيين وعـــلى الانتقـام منهـــم ٠

وحيث ان «جوليتى» كان يعلم على مايبدو من تصريحاته ـ انبرقةستكون مركز الثقل فى المقاومة للغزو الايطالى فانه كان يكيل لها النصيب الاكبر من تهجماته الكاذبة ومنها قوله :

« لاتزال احوال التخلف تسيطر على ليبيا بصورة غريبة ، ويكفى للتدليل على ذلك ان نذكر ان فى بنغازى لاتزال تمارس تجارة العبيد ، الذين يختطفون بالقوة من اواسط افريقيا ويباعون بعد ذلك فى اسواقها ومن المستحيل السكوت على بقاء وصمة مثل هذه على ابواب اوروبا »

« Nella Libia prevalevano ancora condizioni straordinariamente arretrate, basti ricordare di tali condizioni che a Bengasi c'era ancora il commercio degli schiavi che venivano presi con la violenza nel centro dell'Africa e venduti su quel mercato. Era impossibile che una simile infamia fosse tollerata alle porte dell'Europa. »

وبالغت الصحف فى وصف تجارة الرقيق ووسعت نطاقها الذى حدده لها «جوليتى» فى تصريحه اذ أنه حصره فى العبيد الذين يختطفون من أواسط افريقيا وادعت ان الليبيين يختطفون بنات ونساء البيض ليبيعوهن فى الاسواق ليشتريهن الاغنياء ويضموهن الى حريمهم الذى يحتوى على المئات حسب ادعاءاتها الكاذبة المزورة.

وبعد ان بلغت الحملة الصحفية اشدها من العنف والتجنى والتضليل اراد مديرها الاكبر « جوليتى » ان يتجه بها اتجاها جديدا لكى تصبح ليبيا عدوة لايطاليا ولكى يطالب الايطاليون بالانقضاض عليها لتأديبها على ظلمها وضغطها على الجالية الايطالية المزعومة .

وتنفيذا لتلك الخطة المرسومة اصبحت الصحف تنشر المقالات التى تندد بالحكم السائد فى ليبيا وتستنكر تصرفاته العدوانية على الجاليات الاوروبية بصورة عامة والجالية الايطالية بصورة خاصة ، وبلغت بها المغالاة فى التضليل حتى انها نشرت اخبارا مختلقة تؤكد ان العرب فى ليبيا يمنعون المسيحيين من ممارسة شعائرهم الدينية وينتهكون حرمة الكنائس ويعتدون على الرهبان والمبشرين بالشتائم والاهانات والضرب .

ولزيادة التأثير فى الرأى العام وتوسيع هوة العداوة التى حفرها بين ليبيا وايطاليا عمد « جوليتى » الى التصريح بان مصالح ايطاليا الاقتصادية

مهددة بالخطر وان الجالية الايطالية التى كانت ترعى تلك المصالح اصبحت مهددة اما بالجلاء عن البلاد وترك كل شيء او الخضوع لحياة الذل والامتهان والاضطهاد ٠

وعلى هذا الاساس شنت الصحف حملة قوية معبرة عن راى الشعب ــ حسب ادعائها ــ مطالبة بتصفية القضية الليبية فى اسرع وقت ممكن ٠

« ان الاعتبار العام لمصالحنا فى افريقية البحر الابيض المتوسط ، بالاضافة الى الانباء التى تفيد ان تلك المصالح اصبحت فى خطر ، والخطر هنا ليس على المصالح الاقتصادية فحسب بل انه يتناول حتى هيبتنا وكرامتنا الوطنية ، كانت من العوامل التى ادت الى قيام حملة حقيقية فى قسم كبير من صحافتنا طالبت فيها بتصفية القضية الليبية بدون تردد ، وكانت تلك الحملة برضاء وتأييد الراى العام ٠ »

« La considerazione generale dei nostri interessi nell'Africa mediterranea, congiunta a quelle notizie che dimostravono essere in pricolo, non solo gli interessi economici, ma anche il prestigio e la nostra dignità nazionale, finirono per determinare una vera campagna in molta parte della nostra stampa, che chiedeva la soluzione della questione libica, con largo consenso da parte della pubblica opinione. »

ونظرا لان « جوليتى » كان يولى جل اهتمامه لتنفيذ خططه الاستعمارية من اجل تحقيق الاهداف التى رسمها لسياسته التوسعية ويسخر جميع اجهزة الدولة : من التى يثق فيها لاعداد الدراسات والمشروعات التى تتجه الى تلك الغاية ، فقد ارتبكت الحكومة فى سياستها الداخلية رغم الصرامة والقوة والعنف التى كانت تستعملها ، ومما زاد فى ارتباكها عدم تعاون الشخصيات التى تنتمى الى احزاب مناوئة لحزب « جوليتى » وبذلك افلت من يدها الزمام فى الداخل واندلعت المظاهرات فى كل مكان وكثرت الاضرابات بين جميع القطاعات العاملة وانتهز خصومها هذه الفرصة وصاروا يذكون نار الشغب والاضطرابات ويوسعون شقة الخلاف بينها وبين الشعب ، ومن المعتقد ان هدفهم الاول كان استفزاز « جوليتى » بحيث يلجأ الى العنف ليلقى نهايته ٠

ونجحت خطة المعارضين وانزلق « جوليتى » وسقط فى الشرك اذ انه قابل العنف بعنف اقوى منه ، وامر الشرطة بان تقمع اية حركة بكل شدة وان تفرق المظاهرات بكل قسوة وان تقضى على الاضرابات بكل الوسائل ٠

وتفاقم الامر وزاد بطش « جوليتى » العمال عنادا واصرارا ، واستعملت الشرطة الاسلحة فى « سردينيا » وقتلت بعض العمال ، وكان ذلك العمل كافيا لان تتسع المظاهرات والاضرابات وانتشر السخط على الحكومة والتذمر من تصرفاتها التعسفية فى كل مكان ٠

ولم يستسلم « جوليتى » وزادته انباء المظاهرات واعتداء المتظاهرين على الشرطة عنادا فى التمسك بموقفه ، واخيرا لجأ الى الجيش ، بعد ان اتضح له ان الشرطة غير قادرة على السيطرة على الموقف كما يريد . واعلن الاحكام العرفية فى « جينوا » (Genova) و « نابولى » (Napoli) و« ساردينيا » (Sardegna) وزيادة فى الارهاب بعث الى موانىء تلك البلدان بعض السفن الحربية .

وعلى الرغم من ان « جوليتى » كان يدعى ان تلك التظاهرات وتلك الاضرابات كانت تافهة وانها من تدبير فئة قليلة من المتطرفين كما ورد على لسانه :

« ان المتطرفين من الحزب الاشتراكى بالتعاون مع بعض العناصر الثورية عملوا بجد لدفع المضربين على العنف .

« Gli estremisti del partito socialista, insieme ad altri elementi rivoluzionari, lavoravano constantemente a spingere gli scioperanti alla violenza.»

ولكن الحقائق اثبتت ان تلك الفئة المتطرفة او الثورية ، كما وصفها جوليتى» استطاعت ان تجعل حركتها المناوئة للحكومة تتفاعل وتزداد قوة حتى هددت البلاد بنشوب حرب اهلية .

واستمرت الاضرابات تجتاح البلاد من جهة الى اخرى حتى شملت عمال المرافق الحكومية، وكان اشد تلك الاضرابات وطأة على الحكومة هو اضراب عمال سكة الحديد الذى ادى الى شلل المواصلات والحركة التجارية فى البلاد.

ولما لاحظ « جوليتى » ان حكومته ستتهاوى تحت ضربات معاول المعارضة الهدامة ، قرر الانسحاب بصورة تحفظ عليه ماء وجهه ، وتبقى له على بعض الشىء من ذخيرته الشعبية ونفوذه الحزبى ، فادعى المرض وقدم استقالته يوم ٤-٣-١٩٠٥ .

ولكى لايظهر بمظهر المغلوب المهزوم اعلن ان استقالته غير ناتجة عن الازمات التى كانت تضيق الخناق على حكومته بل ترجع لاسباب صحية محضة اذ قال :

« ان انسحابى ناتج عن اسباب شخصية محضة ترجع الى اسباب صحية»

« Il mio ritiro era cosa affatto personale e dovuto a ragioni di salute. »

وسواء كانت استقالة « جوليتى » انسحابا اختياريا وترجع اسبابها الى المرض كما ادعى، او ازاحة اجبارية ترجع الى الفشل والاخفاق، فان الشىء المهم انه لم يستطع ان يغزو ليبيا حتى خلال حكومته الثانية وكفاها الله شر مؤامراته ومكائده ودسائسه .

ضحية النبيذ ...

ولما استقال « جوليتى » (Giolitti) مرغما او مختارا على حد سواء دون ان يوفق فى تنفيذ مخططات سياسته الاستعمارية، خشى ان تضيع جميع الدراسات والمشروعات الاستعمارية التى خططها ورسم معالمها وتذهب كل الجهود التى بذلها هباء منثورا ، سعى - بطرقه الخاصة الى ترشيح احد اصدقائه لتشكيل الحكومة ، وذلك لكى يستمر ذلك الصديق فى السير على نهج سياسته الاستعمارية ، ووقع اختياره على النائب « فورتيس » (Fortis) وهو من اصدقائه الخلص الذين يستطيع التأثير عليهم وتوجيههم كما يريد .

وحيث ان « جوليتى كان حظيا عند الملك وقويا فى مجلس النواب فلا يستبعد ان يكون هو الذى رشح « فورتيس » ووضعه على كرسى الرئاسة ليكون دمية فى يده حيث انه قال :

« لقد اقترحت ان يعين « فورتيس » رئيسا للوزراء ووزيرا للداخلية على ان يحتفظ بمجلس الوزراء كما كان »

« Io proposi che si nominasse alla Presidenza ed al Ministero degli Interni l'On. Fortis mantenendo pel resto il gabinetto quale era. »

وسواء كان ماقاله « جوليتى » حقيقة واقعة ام ادعاء وتمويها ، فان الدلائل تشير الى ان فى قوله الشىء الكثير من الصحة ، اذ ان « فورتيس » نفذ فكرة سلفه بحذافيرها واحتفظ لنفسه بوزارة الداخلية الى جانب الرئاسة وترك بقية الوزراء كما كانوا . والادهى والامر انه اتبع السياسة التى رسمها له « جوليتى » وطبقها تطبيقا دقيقا حتى الناحية الاستعمارية منها .

ويبدو واضحا من مجرى الحوادث وتسلسلها ان « فورتيس » كان يستشير « جوليتى » فى جميع شئون الدولة ، وكان يحرص على تنفيذ

توجيهاته بدقة وامانة خصوصا في الامور المهمة ـ وعلى راسها قضية ليبيا .
وكان «جوليتى»لا يخفى انه رسم السياسة التى يجب على حكومة « فورتيس » ان تتبعها وحدد لها معالمها اذ صرح عدة مرات :

« ان الحكومة الجديدة وجدت طريقها مرسومة فيما يتعلق بالمسائل المهمة »

« Il nuovo Ministero nel riguardo delle cose più importanti aveva già la sua via tracciata. »

هذا واستطاع « فورتيس » ان يسير دفة الحكم بقوة وحزم ، بفضل توجيهات وارشادات صديقه وسلفه جوليتى وابدى نشاطا ملحوظا في تشجيع الجوسسة فى ليبيا ، وعمل على تقويتها بعناصر جديدة ، وفتح لها اعتمادا ضخما .

وكانت جميع تصرفاته تترك انطباعا في الرأى العام بان « جوليتى » لم يتنح عن الحكم وان كل شيء لم يتغير وانما الذى تغير هو اسم الدكتاتور فقط من « جوليتى » اصبح « فورتيس » ، اما عقلية البطش والتعسف والارهاب فلم تتغير ، وكان لهذا الانطباع اثر خطير فى الرأى العام الشيء الذى جعل الاصوات ترتفع مدوية مطالبة باقصاء « فورتيس » عن الحكم .

وتعرض « فورتيس » لاول ازمة فى ديسمبر ١٩٠٥ وكانت من اخطر الازمات التى واجهته منذ ان تولى الحكم ، واستنجد بصديقه « جوليتى » الذى هب مدافعا عن سياسته التى يشاركه فى تخطيطها ولولا دفاع هذا الاخير لسقطت الحكومة خصوصا وان رئيسها كان بائسا متخاذلا ، ولكنه وبفضل ذلك الدفاع القوى استطاع ان يحتفظ بكرسى الرئاسة لفترة اخرى وتنفيذا لتوجيهات « جوليتى » اضطر الى اجراء تعديل بسيط فى وزارته .

وعلى اثر ذلك التعديل تأكد الشك واصبح يقينا فى ان « جوليتى » هو الذى يحكم فعلا ، ورغم وجود « فورتيس » على كرسى الرئاسة ، اذ فوجيء الايطاليون بتولى « سان جوليانو » (San Giuliano) منصب وزارة الخارجية ، وهو من المعروفين بصداقته وولائه لجوليتى ، وارتفعت

اصوات المعارضة عالية مدوية مرة اخرى ضد الحكم الارهابى الاستبدادى وصارت صحف الاحزاب المعارضة تكتب التعليقات والانتقادات اللاذعة ضد الحكومة وتشهر بتصرفات رئيسها الذى وصفته بانه « بوراتينـــــــو » (borattino) اى « دمية » فى يد الدكتاتور « جوليتى » يحركهـــا كما شاء ويوجهها الى اية جهة يريد ·

ولم تبق حكومة « فورتيس » الجديدة فى الحكم الافترة قصيرة ، رغـــم مساندة جوليتى (Giolitti) وتأييده لها تأييدا مطلقا ووقوفـــه الى جانبها عند حدوث الازمات ·

هذا وسنحت الفرصة للمعارضة لمهاجمة الحكومة عندما اقدمت هـــــذه الاخيرة على عقد اتفاقية لاستيراد النبيذ من اسبانيا فقامت قائمتها محتجـة عليها ومستنكرة لتلك الاتفاقية حيث ان ايطاليا تعد فى طليعة البـــــلدان المصدرة للنبيذ ، وتحمس اكثر النواب خصوصا الذين يمثلون المقاطـــعات التى تكثر فيها الكروم ، واتسع الخرق على الراقع بالنسبة للحكومة ،وتولى «جوليتى» الدفاع عن الحكومة ولكنه خذل وغلب على امره وبقى بين الاقليـــة المعزولة وقد اعترف هو شخصيا بهزيمته اذ قال :

« لقد دافعت عن الحكومة وساندتها فى هذه القضية (المقصود قضـــية النبيذ) ولكننى بقيت ضمن الاقلية واصبحت خارج المناقشة » ·

« Io avevo difeso ed appoggiato il Ministero in questa questione, rimasi nella minoranza ed ero assolutamente fuori discussione. »

واستطاعت المعارضة تقويض اركان الحكومة واطاحت بها فى يوم ٨–٢–١٩٠٦ وهكذا ذهبت حكومة « افورتيس » ضحية « النبيذ » كما علقت عــلى استقالتها بعض الصحف ·

« ونتيجة لتلك الاستقالة خسر « جوليتـــى » فارس الاســـــــــتعمار العنيد الجولة وافلتت من يده السيطرة على الحكومة وبالتالى تبخرت احلامــه فى تنفيذ سياسته الاستعمارية التى كان يعتقد انها ستكون عاملا على رفعه الى قمة المجد والشهرة··

تجميد نشاط الجواسيس ...

وبرز المحافظون على مسرح السياسة مرة اخرى ، بعد استقالة حكومة « فورتيس » (Fortis) خصوصا وانهم كانوا السبب الرئيسى فى تلك الاستقالة،أو هكذا كان الاعتقاد السائد فى الاوساط الشعبية على الاقل، وفسروها بانها ليست هزيمة « لفورتيس » وحده ، بل هزيمة حتى لصديقه ومرشده وناصره « جوليتى » (Giolitti)

ونتيجة للانتصار الذى احرزه المحافظون اختير « سونينو » (Sonnino) لمنصب رئاسة الحكومة ولاقى ذلك الاختيار تأييدا تاما حتى من الاشتراكيين وادى تظافر قوى هذين الحزبين الى تكليفه بتشكيل الحكومة .

ونظرا لان « سونينو » كان من اصدقاء « كريسبى » (Crispi) المخلصين فقد كانت علاقته « بجوليتى » علاقة سطحية هى اقرب الى الفتور والعداء منها الى الصداقة لذلك اختار وزراء جددا ولم يحتفظ من الوزراء السابقين الا باثنين لانه كان على يقين من انهما كانا محايدين بين الكتلتين «الكريسبية» و«الجوليتية» واتم من تشكيل حكومته يوم ٨-٢-١٩٠٦.

واستاء « جوليتى » لتصرف « سونينو » بتلك الطريقة التى ادت الى اقصاء جميع اصدقائه عن المناصب الوزارية ووجد نفسه على مفرق طريقين ، اما ان يخوض معركة ضارية ضد الحكومة الجديدة ويسقطها ، واما ان يخضع للامر الواقع وبذلك يحكم على نفسه بالانعزال والانضمام الى صف الاقلية الضعيفة، ومعنى ذلك انه سيوقع وثيقة نهايته كرجل سياسى، واختار « جوليتى » الحل الاول ، وهكذا تصدى لحكومة « سونينو » منذ اول جلسة حضرت فيها ، بكامل هيئتها، واقام فى وجهها السدود والعقبات بغية عرقلة اعمالها .

ومن المعتقد ان رغبة « جوليتى » فى اسقاط الحكومة كانت تهدف الى غايتين ، الاولى ان لايخسر هيبته ومكانته كزعيم كبير يتمتع بشعبية واسعة ويعتبر « رجل الساعة » لايطاليا ، والثانية ان لايخسر المكاسب التى احرزها والانجازات التى حققها فى سبيل تحقيق توسع ايطاليا فى شمال افريقيا الشيء الذى كرس له الجهود وسخر له الامكانيات ٠

ولكن جميع مناورات « جوليتى » لم تجد نفعا وتحطمت على صخرة تصميم «سونينو» على تقويض دعائم السياسة الداخلية والخارجية التى كانت تنتهجها الحكومة السابقة٠

وعلى الرغم من المصاعب والمتاعب التى واجهها «سونينو» والتى كان يبذرها فى طريقه « جوليتى » فقد استطاع ان يجمد الكثير من الاتجاهات السياسية التى كانت الحكومة السابقة تعمل على تنشيطها وتقويتها ٠

وعلى هذا الاساس عمد « سونينو » الى ايقاف جميع اعمال الجوسسة فى ليبيا ، واستدعى « قالو » القنصل الذى كان يسير دفة الجاسوسية واتهمه بتبديد اموال الدولة واصدر اوامره الى « بنك روما » بان يحصر نشاطه فى الاعمال التجارية « البنكية » المألوفة ٠

وبرر « سونينو » هذا التغيير فى الاتجاه السياسى بانه لايؤمن بالجاسوسية والعمالة فى سبيل تحقيق بسط النفوذ الاقتصادى الذى يجب ان يتم عن طريق استثمار رؤوس الاموال على اسس سليمة بعيدة كل البعد عن الخيانة والغدر كما انه لايعتقد بانه فى مصلحة الدولة ان تدخل فى مغامرة حربية مشكوك فى نجاحها ٠

وعند التفكير بدقة وامعان فى هذا التبرير يبرز الايحاء الذى يقول ان « سونينو » لم يكن صادقا فى ادعائه بانه غير ميال الى السياسة الاستعمارية وذلك لانه من اكبر مؤيدى «كريسبى» فى هذا المجال، وانه انما يقصد تحطيم سياسة خصمه « جوليتى » ليقيم على انقاضها سياسة اخرى ربما تكون اكثر اندفاعا وجموحا فى الميدان الاستعمارى٠

وبينما كان «سونينو» سائرا فى نقض سياسة الحكومة السابقة فى النواحى التى كان يعتقد ان تغييرها لا يثير الرأى العام، كان «جوليتى» يعمل فى الخفاء ويدبر المكائد والدسائس للاطاحة بحكومته ٠

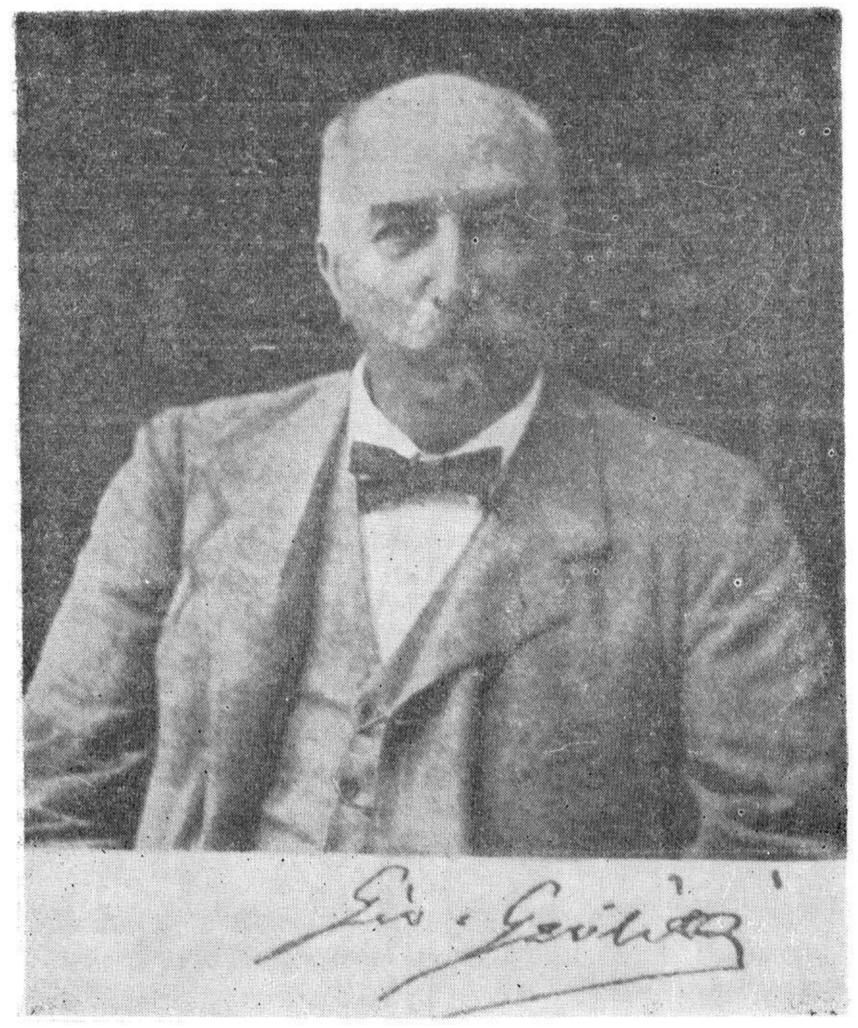
وعندما قدم « سونينو » مشروع اتفاقية سكك الحديد فى الجنوب التى كانت تلزم الحكومة بدفع مبلغ كبير من المال كل سنة ، انتهز « جوليتى » الفرصة ، وضرب ضربته القاضية ، وتمكن من اقناع الاغلبية فى مجلس النواب بان الحكومة غير قادرة على تسيير شئون الدولة والب اصدقاءه ضدها وحمسهم حتى طلبوا التصويت على الثقة بها ٠

وبعد ان اطمأن «جوليتى» ان مؤامراته قد نجحت وان الحكومة ستسقط ترك الجلسة قائلا : « انه لايريد ان يشاهد قتل الاطفال »

« Non volendo assistere ad un infanticidio. »

ولم يكن واضحا اذا كان « جوليتى » يقصد « بقتل الاطفال » ان يصف اعضاء الحكومة بانهم « اطفال » يلعبون فى الميدان السياسى وذلك لاهانتهم والسخرية منهم ، او انه يقصد الحكومة نفسها لانها كانت حديثة العهد بالحكم اذ لم يمض على تشكيلها اكثر من خمسة وسبعين يوما ٠

وبفضل الدسائس والمؤامرات التى كان يدبرها ويحيكها « جوليتى » استطاع ان يسقط حكومة خصمه «سونينو» وان يرجع الى كرسى الرئاسة فى هيبة الفائز المنتصر ، اذ استدعاه الملك « فيكتور عما نويل الثالث » فى يوم ٢٧ ـ٥ـ١٩٠٦ وكلفه بتأليف الحكومة الجديدة ، وقيل فى ذلك الوقت ان ذلك التكليف كان نتيجة لمؤامرة متفق عليها بين الملك « وجوليتى » قبل تولى « سونينو » رئاسة الحكومة وان الملك « فيتكور عمانويل » وافق على اختيار هذا الاخير للرئاسة، طبقا للخطة المرسومة، وذلك ليطمس بعض الشىء من الاعتقاد الذى كان سائدا فى ذلك الوقت وهو ان « جوليتى » يسير بالبلاد نحو الحكم « الدكتاتورى » تحت ظل عرش « سافويا » (Savoia).



جوفانى جوليتى الداعية الاول للاستعمار الايطـالى لليبيـــــا



علي أبو سعد الكوني

احياء الفكرة الاستعمارية ...

عاد «جوليتى» (Giolitti) الى تقلد منصب رئيس الوزراء وهو أشد مايكون غيظا وحنقا على الحكومة السابقة لانها احبطت بتصرفاتها كثيرا من مؤامراته ودسائسه الاستعمارية وبدأ عمله من جديد بحماس اكثر لتنفيذ سياسته ، وقد امتازت تصرفاته فى حكومته الثالثة بظاهرتين ، هماالسرية التامة والسرعة فى الانجاز.

هذا وكانت نشوة الانتصار على المحافظين عاملا اساسيا فى اندفاع « جوليتى » بجموح وقوة فى العمل المجدى الفعال ـ حسب اعتقاده ـ ليصل الى تحقيق اهدافه التى يأتى فى المرتبة الاولى منها التوسع الاستعمارى .

وعند تشكيل الحكومة لم ينس « جوليتى » صديقه الحميم ، وساعده الايمن فى التجسس على ليبيا، القنصل «قالو» (Gallo) وضمه الى وزارته واسند اليه وزارة العدل مكافأة له على اخلاصه له وعلى الاعمال التى قدمها لحكومته السابقة فى ميدان الجاسوسية ، هذا من جهة ، وليعيد له اعتباره ويفرض وجوده كرجل دولة من جهة اخرى ، وذلك لان حكومة « سونينو » (Sonnino) كانت قد اضطهدته ولوثت سمعته واقصته عن عمله .

وعمل « جوليتى » على تقوية اجهزة المخابرات والجاسوسية فى ليبيا لان اعمالها كانت راكدة ومفككة ، وارسل خلفا لقالو ليقوم بتنسيق اعمال الجواسيس والعملاء ، وليعمل على توسيع نطاق الجاسوسية بحيث يشمل ليبيا كلها لامقاطعة طرابلس فحسب . ولتكون اعماله بعيدة عن تأثيرات بعض الاشخاص الذين قد يكونون معارضين للسياسة الاستعمارية وانشا مكتبا خاصا بالاستخبارات فى ليبيا ، منح رئيسه « بانسيكا » (Pansecca) صلاحيات واسعة ، واضفى على مكتبه صفة الهيئة المستقلة التى لاعلاقة لها لا بالداخلية ولا الخارجية ولا الدفاع ، وتتبع له رأسا ، وذلك

ليحتفظ لنفسه بحرية التصرف بدون مؤثرات او مضايقات ولتكون اعماله سرية لايعلم عنها غير الموثوق فيهم شيئا ٠

وقضى « جوليتى » مدة غير قصيرة فى تنظيم اعمال المخابرات وتنشيطها مرة اخرى ، ولم يستطع ان يعيدها الى نشاطها الاول ويزيل اثار الجمود والسلبية التى كانت غارقة فيها الا فى اوائل سنة ١٩٠٧ وذلك بعد ان انتهى من تخريب جميع الاسس التى اقامت عليها الحكومة السابقة سياستها فى مضمار التوسع والتى تميل ـ لسبب او لاخر ـ لاهمالها ولو الى حين ٠

واستطاع « جوليتى » بفضل مكره ودهائه ، وبفضل النقود التى كان يوزعها بغير حساب ، ان ينفخ الحياة فى مشروعه الاستعمارى الخبيث مرة ثانية وان يخرجه من قبر الاهمال والنسيان الذى وأده فيه «سونينو» خلال فترة حكمه القصيرة ٠

وبدأت التقارير تنهال على مكتبه نتيجة لذلك النشاط ، وكلها تدورحول ليبيا وسكانها واستعداد الاخيرين لتقبل الاحتلال الايطالى ، وحول تعاون بعض الشخصيات المزعومة مع الايطاليين فى حالة قيامهم بالغزو ٠

وهنالك ظاهرة تجدر الاشارة اليها وهى ان الجواسيس والعملاء كانوا يختلقون الشخصيات ويكتبون الى « جوليتى » اسماء مختلقة لا توجد الا فى خيالهم الواسع ، وربما يعمدون الى ذلك الاختلاق والتزوير والتمويه ، اما للظهور بمظهر المجتهدين النشطين فى القيام بذلك الواجب الدنيء ، واما لابتزاز الاموال واختلاسها على اساس انها دفعت لتلك الشخصيات المزعومة

وعندما كثرت التقارير السرية اتجه « جوليتى » ببصره نحو برقة ، وامر بأرسال جواسيس وعملاء اليها ليوافوه بتقارير عن الحالة فيها التىلم يكن يعلم عنها الا الشيء السطحى البسيط ٠

وماهى الا ايام حتى اصبحت التقارير ترد الى « جوليتى » من بنغازى ولكنها كانت تقارير متباينة فى محتوياتها ومختلفة فى اوصافها ، وكلما ورد تقرير يشير الى احتمال تعاون بعض الشخصيات المزعومة ويطمئن « جوليتى » الى نجاح مؤامرته ، يأتيه تقرير اخر به اخبار مناقضة لسابقاتها يجعله يقف حائرا بين الشك واليقين وهكذا يتعذر عليه فهم الحقيقة ويضيع بين التصديق والتكذيب ليبدأ مرة اخرى من جديد ٠

سنة الآلام والأحزان ...

وفي اوائل سنة ١٩٠٧ قرر « جوليتي » ان يصفى القضية الليبية ، وينتهى منها بالغزو العسكرى ، ليضع العالم امام الامر الواقع ، وقبل ان يعطى الامر بالهجوم العدوانى شاءت القدرة الالهية إن تعرقل جهودهوتوقف تصميمه، وذلك باصابة بعض وزرائه بامراض خطيرة مختلفة جعلته يرجىء موضوع الغزو فترة من الزمن .

وبسبب تلك الامراض فقد « جوليتي » خمسة من وزرائه الذين كان يعتمد عليهم اعتمادا كبيرا فى تنفيذ مخططات سياسته الاستعمارية وهم :

١ ـ « ماسيميني » (Massimini) وزير المالية انتحر فى اوائل مارس ١٩٠٧ بعد اصابته بشلل نصفى وقرر الاطباء انه ميئوس من شفائه.

٢ ـ « مايورانا » (Majorana) وزير الخزانة اصيب بانهيار عصبى حاد ، ادى الى جنونه اولا ثم الى وفاته فى اوائل مايو ١٩٠٧ .

٣ ـ « جانتوركو » (Gianturco) وزير الاشغال العامة ، اصيب بداء عضال اضطره الى ملازمة الفراش منذ اوائل سنة ١٩٠٧ واتضح بعد وفاته فى اوائل سبتمبر من نفس السنة انه كان مصابا بالسرطان .

٤ ـ « فوسيناتو » (Fusinato) وزير المعارف ، اصيب بلوثة فى عقله ادت الى تخليه عن منصبه فى اكتوبر ١٩٠٧.

٥ ـ « قالو » وزير العدل ، اصيب بمرض اقعده عن ممارسة عمله حتى توفى فى اوائل سنة ١٩٠٩ .

وتشاءم « جوليتي » من تلك الكوارث التى كانت تنزل بحكومته الواحدة بعد الاخرى، حتى انه اطلق على سنة (١٩٠٧) اسم **«سنة الالام والاحزان»**

لانه فقد فيها شخصيات بارزة من خيرة اعضاء وزارته من الذين كانت لهم مواقف لا يستطيع نسيانها، فى تأييـــده وشد ازره عند الضيق والملمات·

وعلى اثر فقدان « جوليتى » لخمسة من وزرائه ، ارتبكت اعمال حكومته نوعا ما ، على الرغم من انه استبدلهم باخرين ، الا ان ذلك التغيير اثـــر تأثيرا عميقا فى نفسيته وفى سياسته، ولكن الصعوبـات والمتـاعب التـى واجهته نتيجة لخسرانه بعض مساعديه المثاليين فى نظره لم توهن عزيمته بل كان يعمل ــ بدافع رغبته وتلهفه الى الشهرة ــ بهمة ومثابرة فى سبيل تحقيق مشروعه الاستعمارى حتى يصبح حقيقة واقعة ملموسة ·

ولكى يتفرغ لتحقيق غايته ، التى خاب اكثر من مرة فى نيلها ، وهـــى احتلال ليبيا كان « جوليتى » يهمل المشاكل التى تواجه حكومته ، عـــلى الرغم من اهميتها الحيوية بالنسبة لبلاده فى ذلك الوقت ، اوكان يدبـــر حلولا ارتجالية مؤقتة ، حتى لاتتحول جهوده عن خط سيرها الذى رسمه لها والذى ينتهى الى تصفية القضية الليبية التى آن وقت تصفيتها حســـب اعتقــاده ·

وصادفت « جوليتى » ازمة مالية خطيرة ، ونظرا لارتباطها بسياســـته الاستعمارية ارتباطا وثيقا ، اذ ان المال ضرورى لتمويل الحملة العدوانيـة التى كان يدبرها ويعمل جاهدا لتنفيذها ، عمد الى حلها بسرعة متناهيـــة وذلك بعقد اتفاقية قرض من مؤسسة « روتشيلد » بالاشتراك مع البنـــك البريطانى والبنك الالمانى ، وحصل بموجب صك الاتفاقية على ار بعمائـــة مليون ليرة ايطالية بالعملة الصعبة ، موزعة كما يلى :

٠٠٠ر٠٠٠ر٢٥٠ فرنكات فرنسية

٠٠٠ر٤٠٠ر٢ ليرة استرلينى ·

٠٠٠ر٠٠٠ر٨٠ مارك المانى

وهكذا تخلص من الازمة المالية التى كانت تخنق ايطاليا فى سنة ١٩٠٨ وضمن انه يستطيع تمويل مشروع حملة الغزو المرتقبة وان يتمكن مـــن الاستمرار فى مد الجواسيس والعملاء بالمال ليتوسعوا فى شراء الذمـــم والضمائر العفنة الموبوءة ·

أعمالٌ... ونتائج...

وبعد ان تحصل « جوليتى » على الاموال اللازمة لحكومته وابعدها عـن هوة الافلاس التى كادت تتردى فيها، أخذ يستعرض الاعمال التى قام بها والانجازات التى حققها ، ودرس بعناية ودقة مراحلها المتتابعة المتتالية وسر للنتيجة ، وخيل اليه ان كل شيء قد تم على الوجه المطلوب ، وانه لم يبـق على وصول النتيجة الايجابية الحاسمة سوى اصدار الامر الى القـوات العسكرية بالزحف ، ولكنه زيادة فى الحيطة اراد ان يمهد للغزو تمهيـدا سياسيا بالطرق الدبلوماسية ، لكى يضمن عدم تدخل اية دولة اوروبيـة فى النزاع الذى سينشأ حتما بين بلاده وتركيا نتيجة لغزو ليبيا وعـدم مدها يد المساعدة لليبيين للوقوف فى وجه الغزو ومقاومته .

وتنفيذا لهذه الخطة السياسية انتهز فرصة زيارة قيصر روسيا لايطاليا واجتمع بـه فى قصـر « راكونيجى» (Racconigi) حيث كـان ينـزل ضيفا على ملك ايطاليا « فيكتور عمانويل الثالث » (Vitt. Emanuele III)

وبحث معه عدة مسائل من التى كانت تشغل الراى العام فى ذلك الوقت ، وبعد ان تعرض الى العلاقات الايطالية ـ الروسية ووصفها بانهـا « ودية بدرجة تجعلها تتجاوز نطاق الود لتدخل فى نطاق الاخوة » حـول مجرى الحديث بلباقة الى احتمال قيام ايطاليا بغزو ليبيا لحماية مصالحهـا الكثيرة فيها ، وعندما لمس تجاوبا مبدئيا من القيصر يوحى بالموافقة ،انتقل بالموضوع من حيز المحادثة الخاصة الى حيز المفاوضة الرسمية .

وبدأت المفاوضات الرسمية واشترك فيها عن الجانب الروسى وزيـر خارجية روسيا « اسفولسكى » (Isvolsky) وبعض المسـئولين من الذين كانوا يرافقون القيصر فى زيارته ، وعن الجانب الايطـالى « جوليتى » ووزير خارجيته « تيتونى » (Tittoni).

ونظرا لان الجانب الروسى كان يبدى اهتماما كبيرا بموضوع حرية المرور من مضيق « الدردنيل » رأى « جوليتى » فى ذلك الاهتمام ورقة رابحة فى يده وساوم على ذلك الموضوع حتى تمكن بدهائه ومكره ان يخدع المفاوضين الروسيين بموافقة مائعة حول حرية الملاحة فى « الدردنيل » مقابل اعتراف روسيا بحقوق ايطاليا فى ليبيا ٠

وفى المناقشات التى دارت فى تلك المفاوضات اظهر « جوليتى » ضروبا من الدهاء والبراعة والدهقنة فى الميدان السياسى ، بينت انبينه وبين الجانب الروسى بون شاسع فى المقدرة والتفكير ، ومن ذلك انالجانب الروسى اصر على ان يكون الاعتراف بحقوق ايطاليا مقتصرا على مدينة طرابلس فقط ، حيث توجد الجالية الايطالية المزعومة واستاء « جوليتى » لذلك الموقف الذى لايتفق ورغبته وحاول اقناع « اسفولسكى » ولكن هذا الاخير تمسك برايه ، ورأى « جوليتى » ان المفاوضات مهددة بالتوقف والانقطاع ان هو رفض رأى المفاوضين الروس ، وخشية ان تضيع من يده الفرصة التى قد لاتسنح مرة اخرى ، لجأ كعادته الى الحيلة والخداع ، واقترح ان تحذف كلمة ـ مدينة ـ بحيث يصبح النص بما معناه : « ان روسيا تعترف بحقوق ومصالح ايطاليا فى طرابلس » ولم ينتبه الروس الى تلك الخدعة ، اما بعامل السذاجة وعدم فهم المغزى ، او لعدم الاهتمام واعتبر وضع تلك الكلمة ـ اى مدينة ـ أو حذفها من الشكليات التافهة لاتستأهل التمسك بها ٠

وتكمن الاهمية فى حذف كلمة « مدينة » فى ان ليبيا كانت تسمى فى ذلك الوقت « ولاية طرابلس » وعلى اساس تلك التسمية العثمانية يعتبر الاعتراف الروسى شاملا لجميع انحاء ليبيا ٠

ولما كسب « جوليتى » (Giolitti) الجولة فى مفاوضاته مع روسيا ، وانتزع منها الاعتراف الذى يريده ، اتجه الى النمسا واخذ يخطب ودها ، وتمكن من اقناع وزير خارجيتها بوجوب الدخول فى مفاوضات تنسق العلاقات وتوطد التعاون بين البلدين٠

وبدأت المفاوضات وتناولت ليبيا وتركيا ، واعتزام ايطاليا القيامباحتلال ولاية طرابلس ، ولكن النمسا اشترطت ان تنحصر الحرب الايطالية المتوقعة

فى ليبيا فحسب، ولا تتعداها باية حال الى تركيا ومنطقة البلقان، وكان هذا الشرط خيبة امل «لجوليتى» لانه كان يتوقع انه ليس بالامكان غزو ليبيـــــا بدون اعلان الحرب على تركيا وعلى الرغم من ذلك فانه لم ييـــــأس وبدأ اساليب المراوغة والمساومة والخداع ، وكاد ينجح فى الوصول الى غايتـــه لولا ان مشكلة « تريستا » (Trieste) سدت فى وجهه الطـــريق ، حيث كانت سياسته تهدف الى المحافظة على كيان تلك البلاد « ايطاليـــا محضا » ، ولتدعيم النفوذ الايطالى فيها كان يسعى لانشاء جامعة ايطاليـــة هناك ، وقد حصل فعلا على موافقة مبدئية من النمسا على فتح الجامعـــة ولكن عندما حان موعد التنفيذ نكثت النمسا وعدها وتنكر وزير خارجيتهـا « اهرينتال » (Aehrenthal) لذلك الوعد واعلن رسميا ان حكومته لن تسمح لايطاليا بالتدخل فى شئون « تريستا »

وجاء ذلك الرفض ضربة قاسية « لجوليتى » وحكومته اذ انه كـــان يستغل فى دعايته موضوع انشاء الجامعة فى « تريستا » الايطالية ـ على حد تعبيره ـ وذلك لتحتفظ بايطاليتها فى اللغة والثقافة ، وتحركت عناصر المعارضة لتستغل هذا الفشل للتشكيك فى قدرة الحكومة على تنفيذوعودها ووجهوا الى « جوليتى » تهمة اتباع الطرق الملتوية والكذب والتضليل لاخفاء حقيقة الامور على الشعب ٠

وعلقت الصحافة على تلك الحادثة ووصفتها بانها كارثة لايمكن تفسيرها الا باحد امرين : اما ان تكون الحكومة كاذبة فى وعدها للشعب ، وهـــى بذلك مضللة ومزورة واما ان تكون النمســـا قد نكثت عهدها الشىء الذى يعتبر صفعة اليمة على وجه المسئولين الايطاليين وبرهانا ساطعا عــــلى فشلهم الذريع فى السياسة ٠

وغضب « تيتونى » لتلك التهجمات واعتبرها جارحة لكرامته كوزيـــر للخارجية وعرض على « جوليتى » رغبته فى الاستقالة احتجاجا على حكومـة النمسا لانها لم تبر بوعدها ، ولكن هذا الاخير لميوافق على الاستقالة حتى لايفسرها الرأى العام بانها هزيمة نهائية للحكومة وعبر عن رأيه هذا بقوله

« ان الاستقالات كتعبير عن السخط العارم لاتفيد بأية حال كرامتنا بينما تظهر فيالداخل ان الحكومة نفسها تعتبر تصرفالنمسا اهانة لايطاليا الشيء الذى يؤدى الى اضطرابات خطيرة».

«Le dimissioni, come dimostrazione di ira inpotente non avrebbero poi certamente giovato al nostro prestigio; mentre all'interno esse dimostrerebbero che anche il governo considerava l'atto dell'Austria come offesa all'Italia e provocherebbero gravi manifestazioni.»

وقرر « جوليتى » ان يجد لنفسه مخرجا من ذلك المأزق ، ووجد ضالته فى الانتخابات البلدية التى قرب موعدها فى « تريستا » فاستدعى على الفور المدعو « ارنيستو ناتان » (Ernesto Nathan) وهو احد جواسيسه اليهود ، وكلفه بان يشترى الاصوات بحيث يفوز المرشحون الايطاليون فى الانتخابات على المرشحين « السلافيين » (Slavi) وزوده بمبلغ كبير من المال .

وهكذا انتهت الانتخابات بفوز المرشحين الايطاليين وبذلك تم لجوليتى ماأراد عن طريق الخيانة والدسائس والرشاوى ، وهو لاينكر تدخله فى الانتخابات بتلك الصورة الدنيئة بل يفاخر به اذ يقول :

« لقد ساعدت الايطاليين بالمال بواسطة « ارنيستو ناتان » فى الحملة الانتخابية التى انتهت بفوزهم العظيم».

« io a mezzo di E. Nathan aiutai con fondi gli italiani nella lotta che risultò in una loro grande vittoria.»

وبهذه الاساليب الدنيئة تمكن « جوليتى » من ابراز الوجود الايطالى فى « تريستا » ولم تكن تهمه دناءة تصرفه بقدر ما كانت تهمه النتيجة ، التى كانت عاملا كبيرا فى اخفات صوت المعارضة واخماد حركتها وفى استرجاع هيبته فى الاوساط الشعبية .

ومن هذا التصرف يتضح مدى استهتار « جوليتى » بالمثل العليا وبقيم النزاهة والامانة ، ومدى تلطيخه لسياسة بلاده بادران الغدر والخيانة وبشرائه للذمم المنحلة والنفوس الضعيفة .

الجواسيس فى قلب تركيا ...

ولما اعتقد « جوليتى » ان الجاسوسية الايطالية قد قامت بدور ايجابى فعال فى ليبيا، وظن انه أصبح قابضا على ناصية الامـــور فيهـــا ، أراد ان يوسع نطاق نشاط جواسيسه وعملائه بحيث تشمل تركيا ، لكى يزودوه بكل المعلومات التى لها علاقة بليبيا ٠

وللوصول الى تلك الغاية الدنيئة عمل «جوليتى» ما فى وسعه وبـــذل جهودا جبارة، وأنفق اموالا طائلة، نجـح بفضلها فى ارســاء قاعدة شبكـــة جوسسة لها خلايا فى جميع المدن التركية المهمة ، وأسند رئاستها الى بـعض الايطاليين المقيمين فى تركيا منذ مدة طويلة ، منــــهم الكومندتور « فولبى» (Comm. Volpi) والكومندتور «نوقارا» (Comm. Nogara) و« قراسو » (Grasso) وحدد لكل منهم منطقة نشاطه ، وكانت منطقة الكومندتـــور «فولبى» تشمل تركيا الاسيوية ومنطقة «قراسو» تشمل الولايات العربية التى لا تزال تحت حكم الامبراطورية العثـــمانية ، أما الكومندتور «نوقارا» فكان نشاطه محدودا فى اسطنبول وفى الاتصال بالشخصيات الكبيرة فى جهاز الدولة٠

وليزيد «جوليتى» نشاط جاسوسيته توغلا فى تركيا عمد الى اشتراك ايطاليا فى تمويل المشاريع التى أعلنت عنها الدولة العثمانية ومنها بناء مرفأ كبير وانشاء خط سكة حديد طويل ٠

وكانت مساهمة الشركات الاجنبية فى تلك المشاريع كما يلى :

فرنســا	٤٥ ٪
ايطاليا	٣٥ ٪
روسـيا	١٥ ٪
العــرب	٥ ٪

ولكن «جوليتى» لم يرض بتلك النسبة وزعم ان ذلك التقسيم فيه غبن للشركات الايطالية ، التى يجب أن تعامل على قدم المساواة بفرنسا ، واستطاع بحيله ومناوراته ان يضم الى حصة ايطاليا حصص «روسيا» و «العرب» وهكذا أصبحت نسبة مساهمة ايطاليا ٥٥٪ أى اكثر من فرنسا ، وعلى هذا الاساس اسندت للايطاليين ادارة مشروع المرفأ ، وبذلك اصبح الطريق ممهدا امام الجواسيس الايطاليين ، وأصبح العملاء الاتراك يتصلون بهم دون الخوف من اثارة الشكوك والظنون والشبهات .

ولم يمض وقت طويل حتى كانت طلائع الجواسيس الايطاليين تعمل بحرية تامة فى قلب الدولة العثمانية تحت ستار الاعمال الفنية التى يتطلبها المشروع .

وبدأت التقارير ترد الى «جوليتى» تباعا ، تعلمه عن كل صغيرة وكبيرة ، وتبين له بدقة اسرار السياسة التركية الداخلية والخارجية ، وكان «دولبى» يركز اهتمامه على ليبيا وعلاقتها بالحكومة التركية ، وعلى مقدرة هذه الاخيرة ومدى استعدادها للدفاع عن تلك الولاية النائية ، أما «نوقارا» فكان يزود «جوليتى» بكل المعلومات عن الشخصيات المسئولة ومدى امكانية شرائها بحيث تعمل كل ما من شأنه أن يخدم الصالح الايطالى .

ويبدو أن «جوليتى» كان يعتمد على «فولبى» أكثر من «نوقارا» «وقراسو» فاسند اليه رآسة قلم المخابرات فى تركيا ، ولتنسيق العمل بينهما اصبح برسل اليه نسخا من التقارير التى كانت ترده من جواسيسه فى ليبيا ليعلق عليها ويتأكد من صحة ما ورد فيها على ضوء المعلومات التى يستقيها من المنابع التركية .

وتشعبت اعمال الجاسوسية تحت رآسة «فولبى» وأصبح نشاطها متغلغلا فى دواوين الحكومة عن طريق العملاء ، وفى القصور عن طريق النساء والطهاة والخدم ، وفى جميع الاوساط الشعبية عن طريق الشركات التى أسسها «فولبى» خصيصا لهذا الغرض .

وما هى الا شهور حتى كتب «فولبى» الى «جوليتى» مؤكدا انه أصبح يسيطر على عدد كبير من الشخصيات المسئولة الذين بيدهم الحل والربط ،

من الذين لا يتورعون فى القيام بتقديم أية خدمة لايطاليا مهما كان نوعهـــا ما دامت هذه الاخيرة تلبى رغباتهم واطماعهم ومصالحهم الشخصية ٠

وبلغت المبالغة والمغالاة فى تقارير «فولبى» حتى أنه زعم انه بامكانــه تسيير السياسة التركية حسب رغبة الحكومة الايطالية ، لان بعض المسئولين من كبار الساسة أصبحوا دمى فى يده يحركهم من وراء الستارة كما شاء ومتى أراد ٠

وسر «جوليتى» لذلك النجاح وكلف «فولبى» بأن يجس نبض المسئولين فى تركيا وعلى رأسهم المقربين من السلطان عبد الحميد ليعرف مدى استعداد تركيا للتنازل لايطاليا عن ولاية طرابلس ٠

وبدأ «فولبى» اتصالاته وصار يعمل بين دواوين الوزارات والباب العالى متبعا أساليب الاغراء والترغيب والرشاوى والهدايا حتى تمكن من اقـــناع بعضهم بالسير على سياسة توائم السياسة الايطالية ولا تعترض طريقها ٠

الليبيون شجعان ...

وأحرز «فولبى» نجاحا كبيرا فى تلك الاوساط المتفككة المنحلة ، ولكنه قبل ان يتمتع بحلاوة ذلك النجاح فاجأته فى ٢٤-٧-١٩٠٨ الثورة التركية التى اطاحت بحكم السلطان عبد الحميد ، وكانت سببا فى نقض ما حققه من أعمال هدامة ، وأضطر الى البحث عن خونة وعملاء آخرين ، اذ أصبح الساسة الذين يعتمد عليهم فى تدابيره الماكرة معزولين وأشخاصا نكرة لا نفوذ لهم ولا حول ولا طول .

وبعد أن تولى الحكم فى تركيا جماعة « الاتحاد والترقى » فكر «جوليتى» فى أواخر سنة ١٩٠٨ فى انتهاز فرصة انشغال الاتراك بمشاكلهم الداخلية وانقسام بعض المسئولين فيهم على بعضهم وتناحرهم وتنافسهم على المناصب، لسلب تركيا الدولة « المتهالكة غير المستقرة » اخر ولاية بقيت لها فى شمال أفريقيا ، أى ليبيا ، وأمر جواسيسه بأن يوافوه بمعلومات دقيقة عن عدد القوات التركية المرابطة فى ليبيا وعن نوع اسلحتها ومدى استطاعتها الصمود فى وجه الغزو الايطالى المنتظر .

واغتبط «جوليتى» عندما ورده تقرير من جواسيسه يؤكد أن مجموع القوات النظامية المرابطة فى ليبيا يتراوح بين ثلاثة واربعة الاف جندى ، موزعين فى حاميات صغيرة فى جميع أنحاء ليبيا ، وأن أسلحة تلك القوات قديمة وذخيرتها محدودة جدا، وأنها يصعب عليها التجمع فى مكان واحد فى مدة قصيرة لعدم توفر وسائل النقل لديها .

وجاء فى خاتمة التقرير أن القوات التركية لا تستطيع الصمود بأية حال فى وجه قوات مجهزة تجهيزا حديثا الا بضع ساعات.

وأرسل «جوليتى» نسخة من ذلك التقرير الى «فولبى» واخبره انه قرر تصفية القضية الليبية نهائيا ، وأنه أصدر أوامره الى الجيش بحيث يكون على أهبة الاستعداد للقيام بالغزو فى أوائل سنة ١٩٠٩، وختم «جوليتى» رسالته بقوله أنه أصبح من الضرورى انتهاز فرصة الظروف المرتبكة فى ليبيا بحيث يتم كل شىء بسرعة خاطفة ودون اثارة للرأى العام العالمى ٠

وبينما كانت الاستعدادات تجرى بسرعة وفى سرية تامة ، تلقى «جوليتى» تقريرا من «فولبى» ثبط عزيمته وجعل القلق يسيطر عليه ، اذ جاء فيه أنه من الخطأ كل الخطأ ان يحسب حساب القوات التركية المرابطة فى ليبيا فحسب ، بل يجب أن يحسب ألف حساب لمقاومة الليبيين ، وورد فى احدى فقرات التقرير مايلى :-

« يجب أن يحسب حساب الشعب العربى الذى يمتاز بصفات حربية جريئة ، خصوصا قبائل الرحل فى الدواخل المتعودة على حياة الصحراء الصعبة والتى تحمل السلاح بصورة مستمرة ٠

« ma bisognava tenere conto della popolazione araba di carattere assai bellicoso; e specie di quelle tribù nomadi dell'interno, abituate all'aspra vita del deserto e che vivevano costantemente in armi. »

وتحت تأثير القلق الذى استحوذ عليه من جراء ذلك التقرير قرر «جوليتى» أن يعيد النظر فى جميع ترتيباته واستعداداته العدوانية ، وأرسل ضابط المخابرات «فارا» (Fara) الى ليبيا وكلفه بأن يقوم بدراسة دقيقة لحالة الليبيين وأن يزوده بجميع المعلومات التى تعرف بهم تعريفا صحيحا وتعطى فكرة واضحة عن امكانياتهم واستعداداتهم وعن مدى فعالية مقاومتهم وأثرها فى حالة قيام ايطاليا بغزو بلادهم ٠

ونظرا لخبرة «فارا» بالشئون العسكرية فقد وافى «جوليتى» بتقرير طويل لم يؤكد فيه ما ذهب اليه «فولبى» فحسب ، بل اضاف على ذلك ما معناه أن الليبيين شجعان لا يرهبون الموت ، وانهم سوف يبذلون المهج والارواح والنفس والنفيس فى سبيل مقاومة غزو بلادهم من قبل أية دولة أجنبية ٠

هذا وقال «فارا» أنه لا توجد تنظيمات عسكرية بالمعنى الصحيح فـــى مقاطعه طرابلس ولكنه أكد أن كفاح العرب فى تلك المقاطعة سيكون جماعــيا بحكم رابطة الدين والعنصر ، وأشار الى نقطة الضعف فيها والتى تتلخص فى المنازعات والخلافات القائمة بين العرب والبربر ·

أما عن برقة فقد أشاد «فارا» بشجاعة البرقاويين وبالتفافهم حـــول السيد السنوسى وتجاوبهم مع دعوته ، وجاء فى احدى فقرات تقريره قوله :ـ

« وفى برقة توجد تنظيمات عسكرية حقيقية ترجع رآستها الى سنوسى الكفرة والجغبوب » ·

« Nella Cirenaica vi è una vera organizzazione militare che fa capo al Senusso di Kufra e Giarabub. »

وعلى أثر ما ورد فى تقارير «فارا» أفاق «جوليتى» من غفلته ، وعلم أنه ارتكب خطأ كبيرا فى عدم اهتمامه بالقوات الوطنية عندما وضع مخطـــطات فكرته العدوانية ، ورجع الى نفسه بعد أن فهم انه كان مندفعا بالعاطفة وراء الشهرة التى كان مولعا بها الى درجة الهوس ، وتبين له أنه كان يتبع سياسة قصيرة النظر ، ورأى أنه اذا لم يسارع بالعلاج الناجع لذلك الخطأ ، وهـــو عدم تقدير القوات الوطنية وعلى رأسها التنظيمات العسكرية السنوسية التى تشكل خطرا كبيرا على الايطاليين فى حالة غزوهم لليبيا ، فان مشروعــــه الاستعمارى سيفشل فشلا ذريعا وسيـــــخيب أمله فى تحـــــقيق التوسع الاستعمارى المنشـــــود ·

ولم يطل الوقت « بجوليتى» حتى خرج من حيرته وقلقه بأن فكر كعادته فى استخدام الذهب والمكر والخداع والدسائس ليحقق غايته السافلة المنحطة، وارسل تعليمات دقيقة الى كل من «فارا» و «بانسيكا» فى ليبيا يأمرهما بالعمل على استغلال جميع الظروف وانتهاز كل الفرص لتوسيع شقة الخلاف بيـــن السنوسيين والاتراك وعلى تحريض كل طرف على الدخول فى نزاع مسلح ضد الطرف الاخر ، ومنحهما حرية التصرف وفتح لهما ابواب الخزانة لينفقا بغير

حساب على أن يصلا الى النتيجة المرجوة وهى اشعال نار الحرب بين الطرفين، لتؤدى الى انهاك قواتهما ولتصبح ليبيا ، بعد ذلك لقمة سائغة فى فم مطامعه الاستعمارية .

هذا وفوض «جوليتى» جاسوسه «فارا» بأن يتصل بالزعماء السنوسيين وان يعدهم رسميا بمساعدات مادية ومعنوية واسعة اذا هم ألبوا الشعب الليبى على الاتراك وقادوا الحرب ضدهم ليطردوهم من بلادهم ..

وفى الوقت الذى اصدر فيه «جوليتى» هذه التعليمات الى جواسيسه فى ليبيا ، بعث تعليمات اخرى الى كل من «فولبى» «وقراسو » «ونوقارا» فى تركيا وطلب اليهم ايهام المسئولين فى تركيا بان السنوسيين يدبرون ويعدون العدة للقيام بثورة ضد الحكومة التركية ليطردوها من ليبيا وينفردوا بالسلطة فيها وذلك نتيجة للسياسة « العقيمة » التى اتبعتها هذه الاخيرة فى مصانعتها لهم ومهادنتها لحركتهم الشىء الذى أدى الى ترسيخ اقدامهم فى البلاد ، وأن يوحوا للاتراك بانهم انلم يقضوا على السنوسية فى ليبيا فانها ستقضى عليهم .

محاولة فاشلة ...

وبقى «جوليتى» ينتظر نتيجة مساعى جواسيسه فى كل من ليـــبيا وتركيا ، وفى الوقت نفسه كان يبحث فى أصول سياسته الاستعماريـــة وتطورها وآثارها ، ويستعرض نتائجها ، ويتابع تطوراتها على ضوءالمعلومات التى حصل عليها مؤخرا وفى قلبه حسرة مريرة من اخطاء الماضى وأمـــل كبير فى المستقبـــل.

وتدل وقائع الامور دلالة واضحة لا يرتقى اليها الشك بل يرتكز عليها الدليل القاطع ، ان «فارا» قد حاول تنفيذ تعليمات «جوليتى» الخاصة بالاتصال بالزعماء السنوسيين، ولكنه فشل فشلا ذريعا فى تنفيذها ، ولما اعيته الحيلة وعجز فى كل مساعيه وتأكد من استحالة تنفيذ تلك التعـــليمات كتب الى جوليتى ما يلى:

« اذا كان السنوسيون دائما على علاقة غير طيبة مع الاتراك فلا يمكـــن الاطمئنان الى هذا الامر ، لانه ليس من الصعب أن يثوروا ضدنا ».

« Se i Senussiti non erano sempre in buone relazioni con i turchi non c'è da fare fidanza, non essendo difficile che potessero essere rivolti contro di noi. »

ونتيجة لذلك التقرير شعر « جوليتى» بخيبة أمل فى تحقيق الامنـــية التى شغلته زمنا طويلا والتى كانت تستأثر بالقسط الاكبر من نشاطــــه وجهوده ، وارتبك فى تقرير موقفه وسيطر عليه الشك والارتياب فى نجـاح الحملة بالاستعدادات التى سبق له أن أعدها لهذا الغرض ، وأصبح متخاذلا يقدم رجلا ليؤخر أخرى ، بعد ان انقلبت جميع تدابيره رأســـا على عقب ، وأخيرا فضل التبصر والتريث وأجل القيام بالغزو مؤقتا الى أن يستكـــمل

جميع الاستعدادات من جديد لمجابهة مقاومة الليبيين عامة والسنوسيين خاصة — التى يحسب لها أى حساب فى الماضى — والتغلب عليها ·

واستقر رأى «جوليتى» على الانتظار فترة لا تقل عن ستة أشهر على أقل تقدير ، لانه رأ ىفى الحذر والتريث والتأنى عاصما من الوقوع فى مزالـــق الخطر وذلك لكى لا يقع فى نفس الخطأ الذى وقع فيه «كريسبى» فيعــــرض الجيش الايطالى لهزيمة اخرى تلطخ شرفه الى جانب وصمة عار هزيمة «عدوه» ·

وشاءت الاقدار أن لا يبقى «جوليتى» فى الحكم حتى يحين الموعد الذى ضربه لغزو ليبيا ، اذ واجهت حكومته أزمة مالية حادة حاول التغلب عليهـا بفرض الضرائب التصاعدية على المزارع والمبانى ، وقدم مشروع قانون بذلك الى مجلس النواب ، وهنا سنحت الفرصة للمحافظين لمهاجمته وتحـــطيم حكومته ، وكانت مهاجمتهم قوية جدا زعزعت أركان الحـــكومة وفى هذا يقـــول «جوليتى» نفسه :—

« وأثار المشروع معارضة جميع الهيئات المحافظة فى ايطاليا التى رغم أنها انسحبت نهائيا من الميدان السياسى الا أنها لا تزال تدافع بقوة عـــن مراكزها الاقتصادية » ·

« Il progetto sollevò l'opposizione di tutto il conservatorismo italiano, il quale, se nel campo politico aveva ormai battuto in definitiva ritirata, difendeva ancora energicamente le sue posizioni economiche. »

ولاحظ « جوليتى» أن موقفه أصبح ضعيفا وأنه سيخسر المعركة فـــى المجلس لذلك بادر بتقديم استقالة حكومته فى ديسمبر ١٩٠٩ ، وهـــكذا تخلصت ليبيا من الشر الذى كان يبيته لها فى الظلام ·

نصيحة وغدر ...

عملت المعارضة على ترشيح «سونينو» لرئاسة الحكومة الجديدة . لانه كان أكبر المهاجمين لحكومة «جوليتى » ولعب دورا ايجابيا فعالا فى اضعاف مركزها الشىء الذى أضطرها الى الاستقالة ·

وتولى « سونينو » الرئاسة ، وشكل وزارتـــه يوم ١١-١٢-١٩٠٩ ، بعناصر جديدة ، ولم يحتفظ ولو بواحد من الوزراء السابقين وذلك لشـــدة غيظه على « جوليتى» الذى يعتبره عدوا لدودا ·

وكان أول عمل قام به «سونينو» هو الغاء مكتب المخابرات التابـــع لمكتب الرئيس السابق ، وتجميد أعمال الجوسسة فى الخارج·

وبينما كان «سونينو» منهمكا فى نقض الكثير من ســياسة «جوليتى » التى وصفها بانها «فاسدة وغير شـــــريفة » كان «جوليتى» يقوم باتصالات متواصلة بالملك «فيكتور عمانويل الثالث » ويعقد اجتماعات متتالية مع اعضاء حكومته المستقيلة ، والغريب انه كان يتصرف كما لو كان متأكدا من رجوعـه الى كرسى الرئاسة خلال فترة وجيزة ·

ولم ينس «جوليتى» أهمية المعارضة فحشد جميع المعارضين خصوصـا «الاحرار» وتزعمهم وأخذ يتدارس معهم امكانية القيام باعمال جماعية تهدف الى اسقاط حكومة «سونينو» فى أقرب وقتممكن ·

ولما تقدمت حكومة «سونينو» بمشروع اتفاقيات الملاحةالى مجـــلس النواب تصدت له المعارضة ، بتحريض من «جوليتى» فاهتز مركزها وخشـى «جوليتى» أن يعمد «سونينو» الى سحب المشروع فتضيع عليه فرصة اسقاطها فسارع الى استخدام الخداع والتضليل ، وتقدم بنصيحة الى عدوه «سونينو»

ظاهرها خير وباطنها شر ماحق ، اذ بعث يرجـــوه عن طريق «برتولينى» (Bertolini). بان يرجىء مناقشة ذلك المشروع حتى يتمكن من تعديلـه بصورة تسهل له التغلب على المعارضة ٠

وكان «جوليتى» يعلم مقدما أن « سونينو» سوف لن يعمل بنصيحته ، وأن رد الفعل الطبيعى فى نفسه سيكون الاصرار على مناقشة المشـروع ، وذلك ما كان يبغيه «جوليتى» ويتمناه ٠

ورفض «سونينو» فعلا نصيحة «جوليتى» المزعومة لانه كان على يقيـن من أن وراءها ما وراءها واعتبرها مكيدة مدبرة ، وأصر على مناقشة المشروع ولكن المعارضة كانت شديدة بشكل أذهله وادخل فى نفسه الهلع واليـأس فقدم استقالته قبل انتهاء المناقشة ، وفى هذا الصدد يقول «جوليتى» :ـ

« لم يقبل «سونينو» تلك النصيحة وظن أنه من الضرورى مواجـهة المناقشة فورا ، ولكن المناقشة بدأت بحرارة قوية حتى أنه لم يصر عـلى التصويت وقدم استقالته » ٠

« Il Sonnino non accettò questo consiglio, credendo necessario di affrontare la discussione immediatamente; ma l'opposizione si manifestò subito cosi vivace ed energica che egli non insistè nemmeno per la votazione e presentò le dimissioni. »

وهكذا استقالت حكومة سونينو يوم ٣١ـ٣ـ١٩١٠ ، ولم يمض عـلى توليها الحكم الا ثلاثة شهور ونصفا تقريبا ، وباستقالتها سقطت اعظم حكومة محافظة حكمت ايطاليا حتى ذلك الحين وقد وصفها «جوليتى» بما يلى :ـ

« وخلاصة القول أنها كانت الوزارة الشديدة المحافظة التى أمـكن جمعها فى مجلس النواب الايطالى :»

« Era insomma il Ministero più conservatore che si potesse mettere assieme nel Parlamento italiano ».

وأختير «لوزاتى» (Luzzati) لمنصب الرئاسة ، وحيث انه كان من اصدقاء «جولبتى» الذين حافظوا على موقف الحياد دائما تجاه سياسته لـم يعمد «جوليتى» الى عرقلة اعماله وخفف وطأة المعارضة عليه ٠

ويعتقد الكثيرون أن مهادنة «جوليتي» للحكومة الجديدة لم تكن راجعة الى صفاء نيته بل كانت تنطوى على حيلة ماكرة وهى تتلخص فى أن الحكومة كانت تواجه مشكلات متعددة ، أراد ان يقف منها موقف المتفرج وكان من اهم تلك المشاكل تعديل قانون الانتخابات وقانون الاحتكار ، وغيرها من المشاكل الداخليـــــــة .

وفى أوائل سنة ١٩١١ تقدمت حكومة «لوزاتى» بمشروع تعديل قانون الانتخابات ورأى «جوليتى» ان وقت رجوعه الى كرسى الرئاســـة قد حان، فالقى خطابا طويلا امتاز بالقوة ودقة التحليل وتسخيف رأى الحكومة عــن طريق التورية والتلميح لكى لا يظهر بمظهر المعارض لحكومة «لوزاتى» الذى كان يدعى أنه تربطه به أواصر الصداقة والود ، وأثار خطابه حماس المعارضين وزادهم قوة فى مهاجمة حكومة «لوزاتى» حتى اجبروها على الاستقالة فاستقالت بعد سنة فقط من توليها الحكم .

ولكى يبرر « جوليتى» موقفه غير الودى بالنسبة للوزاتى قال :ـ

« ان خطابى الذى حاز تأييدا اجماعيا تقريبا حتى فى صفــــــــــوف الاشتراكيين لم يكن يحتوى على أية نية فى المعارضة ، ولكنه كان يهدف الــى جعل المناقشة حول تعديل قانون الانتخابات مناقشة عملية فحسب .»

« Il mio discorso, che ottenne presso a che generale approvazione anche da parte dei banchi socialisti non aveva alcuna intenzione di opposizione, esso mirava semplicemente ad avviare praticamente questa discussione sulla riforma della legge. »

وهكذا اثبتت الوقائع أن «جوليتى» كان أنانيا يضحى باصدقائه عــلى مذبح اطماعه فى الاستئثار بالحكم ، ودلت دلالة تؤكد بصورة مفضوحة انـــه كان يلجأ الى المكر والغدر والخيانة حتى تجاه اصدقائه لتحقيق غاياته فـــى الوصول الى قمة الشـــهرة والمجد بأى ثمن .

عبقرية فى التضليل ..

وبعد استقالة «لوزاتى» فى مارس ١٩١١، عاد «جوليتى» الى كرسى الرئاسة عودة الفاتح المنتصر، بعد ان رسخ الاعتقاد فى الاوساط الشعبية انه هو «رجل الساعة» والزعيم الذى يستطيع السير بايطاليا نحو تحقيق اهدافها التى تضمن لها العظمة والحياة الافضل.

وعند تشكيل الوزارة عمد «جوليتى» الى اختيار شخصيات تمتاز بقوة الارادة والعزيمة والتصميم، واختار «سان جوليانو» صديقه القديم لمنصب وزارة الخارجية، اما «تيتونى» وزير الخارجية فى حكومته السابقة فقد عينه سفيرا فى باريس، وذلك لان كثرة العمل فى وزارة الخارجية تتطلب حيوية ونشاط الشباب، بينما تتطلب الاوضاع السياسية فى باريس خبرة ومرونة الشيوخ.

وكان اول عمل قامت به حكومة «جوليتى» الرابعة هو توجيه الجهود لتصفية القضية الليبية، التى وعد «جوليتى» بتصفيتها عدة مرات، وخاف ان يخسر شعبيته بالاسراف فى الوعود ان لم يبر بوعده خصوصا وانه هو القائل:

«الذين يقطعون وعدا ويعتقدون ان ذلك لا يعنى البر به، ويعتقدون انهم من الاكثر حيلة، فى الحقيقة ما هم الا الاكثر سذاجة، لان الذى يزرع الوعود بهذا الشكل وبهذه النية ، لا يستيقظ انه بتلك الطريقة لا يحقق الا صفقة هزيلة، وهى ان يكسب الاصدقاء بالقطاعى ليخسرهم بعد ذلك بالجملة»

« Quelli che pensano che fare una promessa non significa mantenerla, mentre con questo si credono i più furbi, in realtà sono i più ingenui, colui che semina promesse in tale modo e con tale intenzione, non si accorge che con quel sistema fa un assai magro affare, e cioè di guadagnare gli amici al minuto per poi perderli all'ingrosso. »

واشار «جوليتى» الى موضوع احتلال ليبيا، فى النقطة الثالثة من بيانه الوزارى، ولكنه اصر على ان تبقى تلك النقطة فى سرية تامة، وقال فى تبرير اصراره:

« ان تلك النقطة من برنامج حكومتى يجب ان تبقى سرية، لان السرية عامل ضرورى لتصفية المسألة على الوجه المطلوب».

« Questo punto del mio pragramma di governo doveva rimanere segreto, la segretezza essendo elemento ssenziale per la migliore soluzione del problema. »

وحيث ان «جوليتى» لم يحدد موعدا لغزو ليبيا، لم يتعرض الى مناقشة الموضوع ولم تهاجمه المعارضة.

وحتى تكون نياته الخبيثة نحو ليبيا سرا غامضا على الشعب سخر الصحفيين المأجورين بحيث يوجهوا اليه الانتقادات اللاذعة ويتهموه بالجبن والتخاذل والعجز عن حماية مصلحة الايطاليين وحقوقهم فى ليبيا.

وكان هو يتتبع الحملة المفتعلة التى تشنها عليه الصحافة بكل ارتياح وسرور لنجاح خطته المدبرة وفى هذا يقول:

« ان الشتائم التى كانت توجه الى كانت تسرنى سرورا عظيما لانها تدل على ان خطتى قد نجحت تماما ».

« ma le ingiurie che mi rivolgevano mi facevano un grande piacere perchè dimostravano che il mio stratagemma riusciva perfettamente. »

وهكذا استطاع «جوليتى» تضليل الرأى العام وابعاده عن حقيقة ما كان يبيته من غدر وعدوان على ليبيا، وذلك لكى لا يصطدم بمعارضة المعارضين فى البرلمان وعلى صفحات الجرائد.

وحيث انه كان متأكدا من ضرورة مجابهة حملة احتلال ليبيا فقد عمل على تهيئة الظروف لها محليا خلال حكوماته السابقة كما يقول:

« اثناء حكوماتى السابقة قد اعتنيت رأسا باحتمال مواجهة القيام بحملة على ليبيا وعمدت الى تهيئة الظروف محليا »·

« Durnte i miei precedenti governi io mi ero direttamente occupato della eventualità che l'Italia dovesse affrontare l'impresa di Libia con criterio di compiere una preparazione locale. »

ومن يتتبع سلسلة الاعمال التى انجزها «جوليتى» والمؤامرات التى دبرها والمناورات السياسية، التى قام بها، خلال بضعة شهور، اى منذ توليه الحكم فى مارس الى اعلان الحرب على تركيا وبدأ الغزو على ليبيا فى آخر سبتمبر ١٩١١ يتضح له بجلاء ووضوح ان «جوليتى» كان من عمالقة السياسة وجبابرة الفكر والتدبير ومن اخبث الماكرين وابرعهم فى الغدر والخيانة والتضليل، ومهما كانت نواياه تجاه ليبيا متسمة بالخيانة والغدر والكيد والتآمر فانه لا مناص من الاعتراف بانه كان رجلا عظيما ذا خبرة واسعة وذكاء وقاد، اذ انه كان يسير الشئون الداخلية بقوة وحزم ويهيمن على السياسة الخارجية هيمنة تنتزع التقدير والاعجاب لنشاطها ودقة تسييرها، وفوق هذا وذاك كان يوزع جواسيسه ويشرف على اعمالهم فى جميع بلدان شمال افريقيا وفى بلدان البحر الاحمر، وفى قسم كبير من آسيا·

لقد كان «جوليتى» يعتمد اعتمادا كبيرا على الجوسسة والرشاوى وشراء الذمم والضمائر وكان يعتقد انه بتلك الوسائل الدنيئة يستطيع ان يحتل ليبيا احتلالا سلميا ولكن « السنوسية » وقفت حجر عثرة امام ذلك الاحتمال، لذلك قرر فور تشكيله لحكومته الرابعة ان يضع تنفيذ احتلال ليبيا نصب عينيه، مهما كانت الظروف وكان وزير خارجيته «سان جوليانو» اكبر مؤيد له فى ذلك التفكير·

هذا ويقول «جوليتى» «انه عندما شكل وزارته لمس اتفاقا فى الرأى بينه وبين «سان جوليانو» على ان توضع مسأله احتلال ليبيا بالمنظار»·

« Appena formato il Ministero, San Giuliano ed io ci trovammo d'accordo che l'occupazione della Libia era una questione da tenere di mira.

ولكى يتغلب على العقبة التى تتمثل فى وجود السنوسيين عمد «جوليتى» على حشد عدد كبير من العملاء العرب وعلى رأسهم محمد على٠٠٠الذى كان قد قدم خدماته لايطاليا فى مناسبات اخرى على حد قوله:ـ

Mohamed Ali . . . che aveva già reso altre volte servizi alp'italia

وكلفه بان يتصل بالسادة السنوسيين ويعمل ما فى وسعه لاقناعهـــم بالانضمام الى جانب ايطاليا فى حربها المنتظرة ضد تركيا ، وفوضه بان يعدهم بتحقيق جميع امانيهم وان يبلغهم رسميا ان ايطاليا ستمنحهم الرتب والالقاب العالية وتغدق عليهم الاموال الطائلة.

السنوسية عقبة كأداء ...

قد يعجب الكثيرون لماذا كان «جوليتي» الذى اشتهر بالشجاعة والجرأة والاقدام والتهور يحسب حسابا كبيرا للسنوسية وكيف انه كان يوليهـــا اهتماما اكبر من الاهتمام الذى كان يوليه لتركيا نفسها، وربما تساءل البعض عن الاسباب الحقيقية التى تجعل ذلك الطاغية يسعى جديا الى خطب ود الزعماء السنوسيين وتضطره الى استعمال جميع الوسائل وسلك جميع الطرق بالاغراء والترغيب، وبالتهديد والوعيد، وبواسطة المؤامرات والدسائس، لكى يكسبهم الى صفه، وربما هنالك من يشط به التساؤل، وتتملكه الحيرة فى تفسير تلك الحقائق حتى يصل به التساؤل الى مرحلة الشك ويدخـل به فى ظلمـــات الارتياب فى صحتها ·

ولكن من يتتبع التاريخ بعين الباحث الفاحص المدقق، يجد الكثير بـل الكثير جدا من الاسباب القوية التى لا تبرز موقف «جوليتى» من «السنوسية» بل تظهر بجلاء انه كان مفكرا ورجل سياسة تتسم بالحذر والحيطة وتبعـــد عن الارتجال والاندفاع بالعاطفة وعدم التبصر·

لقد علم «جوليتى» دون غيره من الساسة الايطاليين ان «السنوسية» فى ليبيا تشكل حجر عثرة كبيرة بل عقبة كاداء فى طريق سياسته الاستعمارية العدوانية، لذلك عمد على ازاحة ذلك الحجر وتحطيم تلك العقبة، واستعمل للوصول الى تلك الغاية جميع الاسلحة المتوفرة لديه·

لقد كان «جوليتى» يعلم ان للسنوسية زوايا فى جميع البلدان العربية منها ٣٨ فى برقة، و ١٨ فى طرابلس و ٣٢ فى فزان، و ١٧ فى تونس ، و٥ فى الجزائر، و٨ فى المغرب، وزوايا كثيرة اخرى منتشرة فى مصـر والسودان والجزيرة العربية، كما ان لها فروعا فى الجنوب فى تشاد والنيجر·

لذلك كان يرى في السنوسية عـدوه الاول في ليبيا، لانها هي القـــوة الخفية التي تثير في الشعب الليبي حب الوطن والشجاعة والاقدام والاستماتة في المقاومة للذود عن حمى الوطن ولم يكن على خطأ في تلك النظرة، التي كانت تعبيرا صحيحا عن حقيقة الواقع اذ ان «السنوسية» تجسم حقيقة الامة الليبية وتمثل اساس كيانها وهي قلبها النابض بالايمان بالله وبحب الوطن والحرية والاستقلال.

ومن نتائج تلك النظرة يتبين مدى ما كان «للسنوسية» من مكانة عظيمة في قلب «جوليتي» تلك المكانة التي لا ترجع بطبيعة الحال الى التقدير والاجلال بل الى الحقد والبغض والغيظ لانها تعرقل مشاريعه العدوانية.

واذا لخصت تقارير جواسيس «جوليتي» الذين بثهم في كل مكـــان ليوافوه بالمعلومات الدقيقة عن «السنوسية» لاتضح انها تجمع بايجاز ما يلي:ـ

« ان السنوسية عقيدة دينية قوية تتغلغل في اعماق نفوس الليبيين فتطهرها لتجعل منها نفوسا سامية شامخة الهمة قوية العزيمة لا تعرف الخوف ولا التردد وتضحى بكل شيء في سبيل الله والوطن وهي تتميز بالنظـــام والدقة في تنظيماتها القوية المتينة التي تشبه التنظيمات العسكرية الحديثة

ونظرة «جوليتي» هذه الى «السنوسية» ليست مبنيـــة عـلى تقاريـــر جواسيسه فحسب، بل تستند على حقائق اخرى واقعة لا يتطرق اليها الشك والريب بل يدعمها اليقين والاثبات.

ان تلك الحقائق يرويها التاريخ في الحروب التي خاضها السنوسيون ضد فرنسا من سنة ١٨٩٩ الى سنة ١٩٠٩ ليخلد بطولاتهم في الانتصارات الحاسمة التي احرزوها بالتضحيات الكبيرة والدماء الطاهـرة في« بركو » و «واداى» و «انيدى» وفي موقعة « زاوية بئر العلالى» في تشاد والنيجر حيث استمرت الحرب عشر سنوات.

لقد كان «جوليتي» محقا في خوفــه من «السنــوسيــة» التي قــاومت الفرنسيين ـ الذين يفوقون الايطاليين خبرة في الحـــروب الاستعماريـــة ، ويتفوقون عليهم في حداثة الاسلحة وكثرة العدد والعددـ عشر سنوات، وكان يراوده الشك في التغلب عليها في ليبيا مهما كانت جيوشه قوية وكثيرة ومهما طال به الزمن.

بين المطرقة والسندان...

وكان من رأى «سان جوليانو» وزير الخارجية ان تقدم ايطاليا على القيام بالغزو فورا ، لان الوقت كان مناسبا حسب اعتقاده، نظرا لان الخلاف القائم بين فرنسا والمانيا حول «مراكش» كان يشغل الرأى العام العالمى، لذلك يمكن اتمام الاحتلال بدون ضجة او صخب او اعتراض.

ولكن «جوليتى» عارض ذلك الرأى واوضح انه من مصلحة ايطاليا ان لا تقوم باية حركة غزو ما لم تحل مشكلة «مراكش» حلا سلميا، لانه ليس من المنطق او الحكمة فى شىء ان تقوم ايطاليا بارسال جنودها الى الخارج فى الوقت الذى يطل فيه شبح الحرب على افق اوروبا، لانها فى حالة نشوب الحرب ستجد نفسها مشغولة بحرب بعيدة ، وأكد ان المصلحة تحتم ان تكون حرة طليقة وقواتها مستعدة لتتصرف ـ فى الوقت المناسب ـ حسب الظروف التى تتناسب وصالحها .

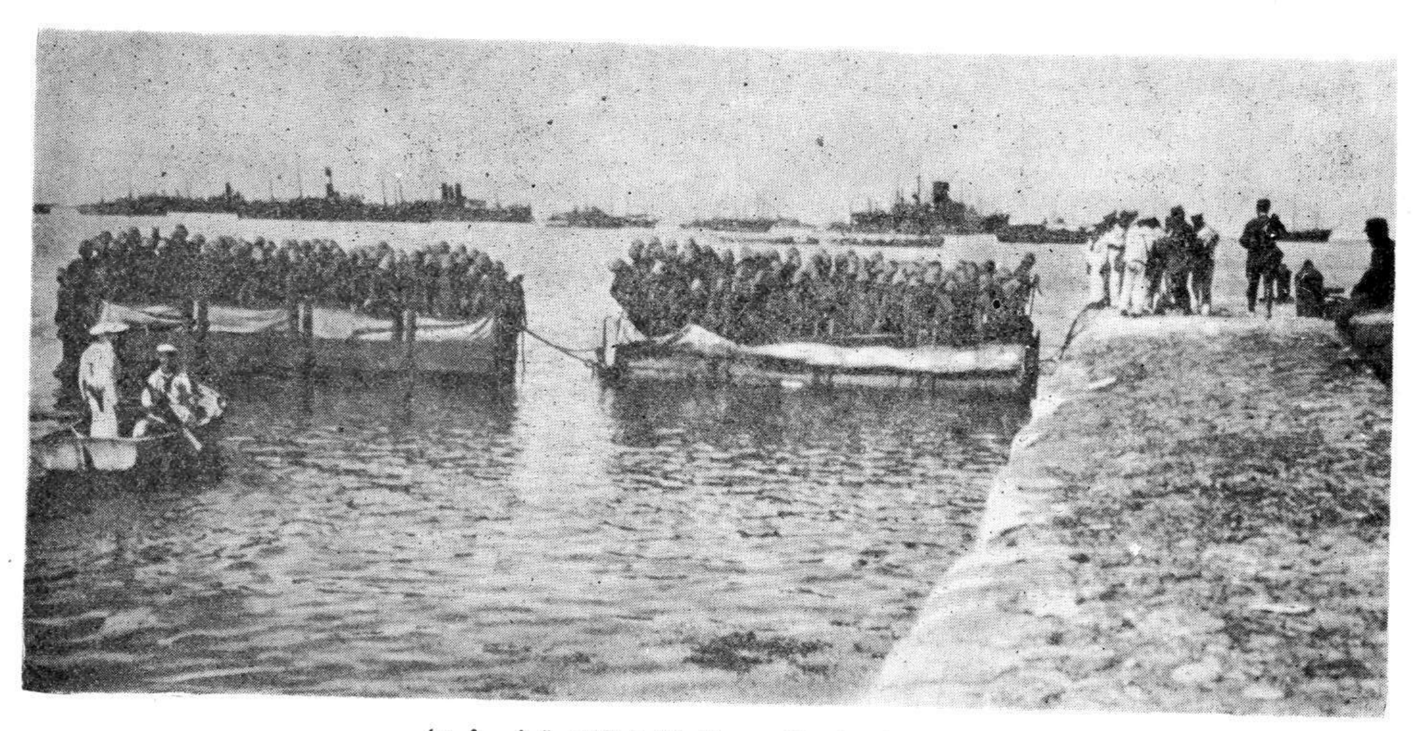
هذا واضاف «جوليتى» ان اثارة مشكلة ليبيا فى الوقت التى لا تزال فيه مشكلة «مراكش» قائمة سيجعل من المتعذر على ايطاليا تأييد الطرفين المتنازعين، اذ لا بد وان تدور حول الموضوع مساومات ومناورات تنتهى بتاييد المانيا او فرنسا، وبذلك ستخسر ايطاليا موافقة الطرف الذى لا تؤيده.

وفى الوقت الذى كانت تدور فيه المناقشة بين «جوليتى» «ووزير خارجيته «سان جوليانو» حول القيام بالغزو قبل انتهاء الخلاف بين المانيا وفرنسا او بعده، ورد تقرير من «تيتونى» سفير ايطاليا فى باريس، يؤيد فيه وجهة نظر «سان جوليانو» بوجوب المبادرة باحتلال ليبيا، لانه يخشى اذا اجل الغزو الى ما بعد حل مشكلة «مراكش» ان يضغط «الحزب الاستعمارى الفرنسى»

على الحكومة الفرنسية ويرغمها على احتلال ليبيا، لان زعماء ذلك الحزب لا ينظرون بعين الارتياح الى مطامع ايطاليا فى ليبيا ولا يريدون ان تتمركز قريبا من المستعمرات الفرنسية في شمال افريقيا.

وحاول «سان جوليانو» اقناع «جوليتى» مرة اخرى بضرورة الاسراع فى الغزو، لكن هذا الاخير اصر على موقفه ولم يأبه لتحذير «تيتونى» واعتبره ضربا من المبالغة او نوعا من الاجتهاد الخيالى، وقد تأكد له ما اتجه اليه عندما استدعى سفير فرنسا «باريز» (Barrere) وبحث معه الموضوع واكد له السفير الفرنسى بصورة رسمية ان فرنسا ستحترم عهدها فى عدم التدخل فى حالة قيام ايطاليا بغزو ليبيا وذلك فى حالة عدم قيام نزاع مسلح بينها وبين المانيا.

ونظرا لان «جوليتى» كان يتوقع نجاح فرنسا فى حل مشكلة «مراكش» سلميا فضل الانتظار، لانه فى حالة نشوب حرب بين الدولتين ستجد ايطاليا نفسها بين المطرقة والسندان، اذ انها مرتبطة بالحلف الثلاثى مع المانيا وفى الوقت نفسه تربطها بفرنسا روابط الاخوة اللاتينية والصداقة التقليدية.



مشهد لنزول القوات الايطالية الغازية فى طرابلس



الاستعدادات العسكرية ...

وحيث ان «جوليتى» لم يكن رجلا عسكريا ويعترف هو بعدم خبرتــــه فى الميدان العسكرى، فقد اختار الجنرال «بوليو» (Pollio) رئيس اركان الجيش الايطالى ومن احسن القواد الايطاليين فى ذلك الوقت ليضع له الخطة الحاسمة لاحتلال ليبيا عسكريا.

وقد استدعاه يوم ١٩١١/٥/٤، الى مكتبه وبحث معه الموضوع وكلفــه بان يضع دراسة وافية حول القيام بحملة غزو ليبيا وتقدير جميع تكاليفهــا ومتطلباتها من جنود واسلحة وتجهيزات اخرى.

هذا وافهمه ان دراسته يجب ان تكون منصبة على الاحتلال النهائـــى والتوغل فى جميع انحاء ليبيا، اما عمليات الهجوم الاولية وانزال القوات لوضع «رؤوس جسور» على الشواطىء فقد تم اعدادها منذ مدة طويلة.

ولم ينس «جوليتى» ان يشير على الجنرال «بوليو» بان لا يبخل فــى تقديراته واوصاه ان يتوسع فيها:ــ

« gli raccomandai di calcolare con larghezza »

ولكى يكون الجنرال «بوليو» على بينة من الحالة فى ليبيا سرد عليــــه «جوليتى» جميع المعلومات التى حصل عليها بواسطة جواسيسه والتى تتلخص فى اقواله:ــ

«نحن نعلم انه لا توجد فى موانىء ليبيا حصون صالحة وان وجدت فهى حصون قديمة جدا ولا يمكن ان تقوى على مقاومة اى هجوم من قبل اسطـــول حديث » .

« Noi sapevamo che i porti della Libia non possiedono fortificazioni adatte o solo fortificazioni invecchiate, tali da non potere opporre alcuna resistenza all'attacco di una flotta moderna. »

« ان الاسطول الحربى العثمانى يتألف من سفن قديمة قليلة العدد لا يمكن ان تكون عائقا لعملياتنا».

« La flotta ottomana costituita di poche e vecchie navi non potrà fare ostacolo alle nostre operazioni. »

« ان الحاميات التركية فى طرابلس ودرنة وبنغازى وطبرق ومصراتة قليلة بشكل لا يسمح لها باعتراض عمليات نزول جنودنا على الشاطىء».

« Le guarnigioni turche a Tripoli-Derna-Bengasi-Tobruk-Misurata sono esigue e tali da non potere opporsi ai nostri sbarchi. »

« ان الجنود النظاميين فى النقط الرئيسية فى طرابلس وبرقـــة لا تزيد على ثلاثة او اربعة الاف».

« Le truppe regolari di presidio nei punti capitali della Tripolitania e della Cirenaica non sono che tre o quattro mila. »

وبعد ان اوضـــح «جوليتى» تلك المعلومــات للجنـــرال «بوليو» زوده بالنصائح التالية:ـ

« يجب ان تحسب حساب المحاربين العرب الذين سيثيرهم التحريض التعصبى للدين الذى سيلجأ اليه السنوسيون حتما».

« Bisogna tenere conto dei combattenti arabi suscettibili agli eccitamenti fanatici a cui i Senussiti si sarebbero indubbiamente ricorsi. »

« وفى برقة توجد تنظيمات عسكرية حقيقية ترجع الى راسها سنوسى الكفرة والجغبوب».

« Nella Cirenaica vi è una vera organizzazione militare che fa capo al Senusso di Kufra e Giarabub. »

وختم «جوليتى» حديثه مع الجنرال «بوليو» قائلا:ـ

«أريد أن تتم عملياتنا بقوات متفوقة بشكل ساحق لا يترك منذ البداية اى شك فى النتيجة لان ذلك سيكون عاملا اساسيا فى استسلام السكـــان المحليين والاتراك للامر الذى لا مفر منه».

« Voglio che la nostra azione fosse fatta con forze talmente preponderanti, da togliere ogni dubbio sull'esito, in tal modo sia la popolazione locale sia la Turchia si rassegnerebbero facilmente al fatto inevitabile. »

ولم تمض الا يام قليلة حتى قدم الجنرال «بوليو» دراسة مفصلة عـــن الحملة وتقديرات احتياجاتها من الجنود والعتاد والتجهيزات والاسلحة.

وذكر الجنرال «بوليو» في دراسته ان «٢٢» الفا من الجنود يكفون لغزو ليبيا واحتلالها بصورة نهائية، وفى مدة غير طويلة، ولكن «جوليتى» زيادة فى الاحتياط، طلب منه ان يضاعف ذلك العدد بحيث يصبح ٤٠ الفا تقريبا.

« **Egli riteneva sufficiente una spedizione di 22 mila uomini io gli dissi di raddoppiarla portandola a circa 40 mila.** »

هذا وقد كان «جوليتى» مدفوعا الى تلك الزيادة فى عدد القوات لشعوره بانه سوف لن يكون من السهل اخضاع الليبيين وفيهم «السنوسية» التـــى ستتزعمهم ونقودهم وتحرضهم على مقاومة الاحتلال، وقد كان محقا فى اعتقاده لانه اضطر بعد ان لمست قواته ارض ليبيا واكتوت بنار مقاومتها الى رفع ذلك العدد الى ثمانين الف جندى.

وتم الاتفاق بين «جوليتى» والجنرال «بوليو» بان تقسم عمليات الغـزو على حملتين:.

الاولى: وهى التى ستتولى النزول على الساحل الليبى والدخول فى معـــارك لاخضاع الليبيين وطرد الاتراك وتتألف من القوات التالية:ــ

«٢٢،٥٠٠» اثنين وعشرين الف جندى من المشاة يتقدمهم لواءان مـــــن «الهدافين» (Bersaglieri) الذين يتلقون تدريبا خاصا فى الحروب الخاطفة، و«٦،٠٠٠» ستة الاف من سلاح الفرسان .(Cavalleria).

هذا بالاضافة الى كتيبتين من المدفعية مزودتين باثنين وسبعين مدفعا من مدافع الميدان الثقيلة والخفيفة والى كتيبة نقليات مزودة بثمانمائة عربة نقل.

اما الحملة الثانية وهى التى ستكون مهمتها تطهير الامكنة المحتلة مـن فلول الجنود الاتراك والمحاربين الليبيين وحماية ظهر القوات المهاجمة تقـرر ان تكون مؤلفة من ١٣،٥٠٠ جندى مزودين بثلاثين مدفعا ثقيلا.

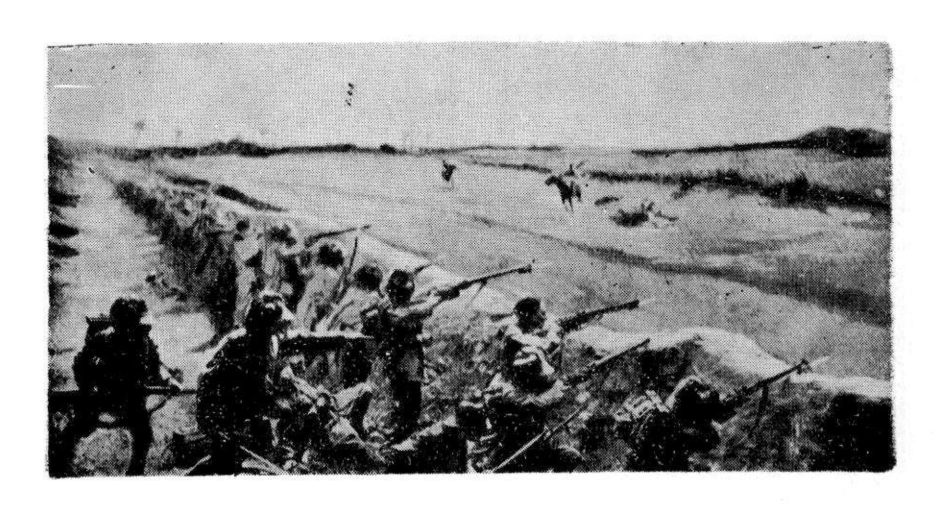
وتم الاتفاق بين «جوليتى» والجنرال «بوليو» ان تكون «نابولى» (Napoli) هى مركز القيادة العامة لعمليات الغزو.

ونظرا لان «جوليتى» كان يخشى شجاعة الليبيين واستماتتهم فى الدفاع عن بلادهم بقيادة زعمائهم من السنوسيين الذين كانوا حجر العثرة والعقبة الكأداء فى طريق مشاريعه التوسعية حتى تملكته عقدة منهم اصدر اوامره الى «بوليو» بان تكون الحملة قوية تجتاح البلاد بقوة وعنف ووحشية، ترعب الليبيين وتنتزع من قلوبهم كل امل فى جدوى المقاومة مهما عمل السنوسيون او غيرهم على تشجيعهم وتحريضهم على مواصلة القتال، وعلى هذا الاساس اتفق القائدان «جوليتى» القائد السياسى و«بوليو» القائد العسكرى على ان يزود «الهدافون» بالبنادق الرشاشة التى لم يسبق لليبيين معرفتها، وان يشترك سلاح الطيران الايطالى باربعة طائرات، وهى اول مرة تستعمل فيها ايطاليا طائراتها فى الاغراض الحربية وذلك لكى تقوم باكتشاف مواقع العدو وتتعقب قوات الليبيين وتحصدها باسلحتها وقنابلها، هذا بالاضافة الى قيام البوارج والمدرعات الايطالية بقصف المدن الليبية بقنابلها بصورة قوية مستمرة لعدة أيام حتى تدخل الهلع والرعب فى قلوب الليبيين وتجعلهم يؤمنون ويصدقون ان زعماءهم من السنوسيين وغيرهم والاتراك ايضا لا يستطيعون عمل أى شيء لانقاذهم من المصير المحتوم، وانهم سيتعرضون الى حرب موت اكيد وابادة تامة ودمار وخراب ان هم اصروا على المقاومة او اعتراض طريق الاحتلال الايطالى.

وفى الوقت الذى كان «جوليتى» ينتظر حل مشكلة «مراكش» ويتابع تطورات السياسة العالمية بيقظة ودقة، كان يعمل فى الخفاء على مضاعفة اعمال الجواسيس وتوسيع نطاق نشاطهم ويدرس الخطط والترتيبات العسكرية التى امر باعدادها وتجهيزها للقيام بالغزو عندما تدق ساعة الصفر.

وانطلقت الاحداث يدفع بعضها البعض، وصار «جوليتى» يوزع وقته الضيق جدا بين الجاسوسية والسياسة والدبلوماسية والعسكرية وكلما

اقترب الموعد الذى حدده للغزو كلما ضاعف جهوده وطاقاته وفيما يلى تفصيل الاعمال التى قام بها فى الفترة بين يونيو وسبتمبر ١٩١١:ـ



معركة بين المجاهدين «والهدافيـــن »الايطاليين



حمي أوريوفن اللومي

التمهيد الدبلوماسي ...

لقد بذل «جوليتى» جهودا جبارة امتازت بالحنكة السياسية والمقـــدرة فى التغلب على جميع الصعوبات التى صادفته، واظهر من ضروب البراعة فى المكر والخداع السياسى ما جعله يستحق التسمية« بثعلب السياسة الايطالية» بدون منازع.

ولما انتهت مشكلة «مراكش» بين فرنسا والمانيا سلميا رأى «جوليتى» ان ساعة العمل قد دقت لاحتلال ليبيا، فبادر بارسال تعليمات دقيقة الى جميع سفرائه فى الدول الاوروبية الكبرى، يأمرهم باعلام الدول المعتمدين لديهـــا بان ايطاليا قد قررت نهائيا احتلال ليبيا، وبين لهم الاسبـــاب التى يجب ان يركزوا عليها محادثاتهم وهى تتلخص فيما يلى:ـ

١: ان والى طرابلس يمعن فى اهانة والحاق الاذى بالرعايا الايطاليين.

٢: ان الحكومة العثمانية عرقلت اعمال «بنك روما» حتى انه اضطـــر الى الدخول فى مفاوضات مع بنوك نمساوية والمانية ليتنازل لها عن نشاطه

٣: ان العرب يضطهدون الاوروبيين بصورة عامة والايطاليين بصورة خاصة.

٤: ان الحكومة التركية تظهر عداءا سافرا لايطاليا وتمنع الايطاليين مـــن ممارسة نشاطهم التجارى والصناعى، حتى انها منعت احد المتعهديـــن الايطاليين من القيام ببناء ميناء طرابلس بعد ان فاز فى المناقصة التـــى اعلنت عنها الحكومة نفسها.

٥: ان الاتراك يحرضون العرب فى طرابلس للاعتداء على رجال الدين المسيحى وعلى انتهاك حرمة الكنائس.

٦: ان الحكومة التركية ترفض الاعتراف بمصالح ايطاليا الاقتصادية فـــى ليبيا.

٧: ان الباب العالى يتجاهل شكاوى واحتجاجات ايطاليا المتعددة٠

هذا ولكى لا يتهاون السفراء فى اقناع الدول الاوروبية بسلامة اتجاه ايطاليا واحقيتها فى احتلال ليبيا للدفاع عن حقوقها ومصالحها من عبث الاتراك وتعدياتهم وحماية جاليتها والجاليات الاوروبية من اضطهاد العرب، شرح لهم الاسباب الحقيقية التى دفعت ايطاليا الى اتخاذ ذلك القرار الحاسم وهى تتلخص فيما يلى:ـ

١ـ لقد عملت ايطاليا للحصول على اعتراف الدول بحقوقها فى ليبيا واصبحت الان امام امرين اما ان تمارس تلك الحقوق او تتنازل عنها٠

٢ـ لقد وضعت ايطاليا ليبيا تحت رهنها لكى لا تحتلها الدول الاخرى واذا لم تحتلها هى ولا تتركها لغيرها فانها تقترف ذنبا كبيرا وتظهر بمظهر الدولة التى لا تقيم وزنا لكلمتها ٠

٣ـ اذا تأخرت ايطاليا فترة اخرى ربما تقع ليبيا فريسة احدى الدول الاستعمارية الجشعة وتتكرر مأساة «تونس»٠

٤ـ ان كرامة ايطاليا ومعنوياتها مرغت فى الوحل نتيجة لتعديات الاتراك والعرب على الرعايا الايطاليين٠

٥ـ لقد اعدت ايطاليا العدة لغزو ليبيا ولا يمكن لاى سبب من الاسباب ان تؤجل موعد الهجوم او تعيد النظر فى هذا القرار٠

هذا ولم ينس «جوليتى» ان يوصى سفراءه بان يقوموا باتصالاتهم مع كبار المسئولين وان يحافظوا على سرية هذا الموضوع الهام، تفاديا لاثارة الرأى العام والصحافة٠٠ وقطعا للطريق امام رجال السياسة الذين يحبون ان يدسوا انوفهم فى شئون غيرهم٠٠ وحتى لا تعلم تركيا شيئا عن نية ايطاليا فتعمل على تقوية حامياتها فى ليبيا٠٠

وفى يوم ١٩١١/٧/٢٦، تسلم «جوليتى» تقريرا من «امبريالى» (Imperiale) سفير ايطاليا فى لندن ورد فيه مايلى:ـ

« لقد قابلت وزير الخارجية المستر «قرى» (Grey) ووجدت الطريق ممهدا امامى للوصول الى الهدف٠ وشرحت له وجهة نظر ايطاليا بدقة واسهاب واعلمته بعزمها على وضع حد لتلك الحالة المائعة باحتلال ليبيا

دفاعا عن كرامتها المهانة، ومصالحها المهددة ورعاياها المضطهدين».

ويضيف «امبريالى» انه لمس تجاوبا كبيرا من قبل وزير الخارجية البريطاني وتفهما حقيقيا للظروف التى تحيط بايطاليا، وقال ان المستر «قرى» اكد له ان حكومته على علم تام بحقيقة الامور فى ليبيا وانها تعترف بحق ايطاليا فى الدفاع عن مصالحها، ويدعى «امبريالى» ان المستر «قرى» قال له ما يلى بالحرف الواحد:

« ان انجلترا سوف لن تقوم باى عمل مضاد، وليس هذا فحسب بل ستمنح ايطاليا تأييدها العاطفى، ولكن معنويا فحسب»

« L'Inghlterra non solo non farebbe nulla contro ma concederebbe all'Italia l'appoggio della sua simpatia, beninteso morale. »

اما فرنسا فكان ردها مؤيدا كل التأييد، اذ كتب «تيتونى» السفير الايطالى فى باريس بتاريخ ١٢/٩/١٩١١ تقريرا طويلا قال فيه ما يلى:ـ

« لقد اجريت محادثة طويلة مع وزير الخارجية الفرنسى «دى سيلفى» (Deselves) وبينت له بدقة ووضوح موقفنا من ليبيا، وشرحت له جميع الظروف التى اضطرتنا الى اتخاذ قرار غزوها قريبا، ولا انكركم اننى دهشت لما وجدته من المسيو «دى سيلفى» من تأييد لنا وها انا انقل الى سعادتكم اقواله:ـ

« فيما يتعلق بالخطوة التى ستتخذها حكومتكم فى طرابلس، يمكنكم اعتبار الحكومة الفرنسية الى جانبكم بدون قيد او شرط»

« Per l'azione del vostro governo in Tripolitania potete contare che il governo francese sarà con voi incondizionatamente. »

هذا وكتب سفير ايطاليا فى روسيا بتاريخ ٢٦ـ٨ـ١٩١١ قائلا : ـ

« لقد قابلت وزير الخارجية «نيراتو» (Neratow, وبعد ان بحثت معه الموضوع وافهمته اننا ننوى غزو ليبيا الشىء الذى يتطلب بطبيعة الحال أعلان الحرب على تركيا ، ووجدت منه تأييدا مطلقا بل تشجيعا على الاسراع فى التنفيذ، وختم «نيراتو» حديثه الودى معى بقوله مازحا:ـ

« احذروا ان تضعوا بين ايدينا فجأة حطام تركيا »

« Procurate però di non farci trovare all'improvviso sulle braccia lo sfacelo della Turchia. »

حرية التصرف ...

تسلم «جوليتي» تقريرا مطولا من «الكونت دافارنا (Conte D'Avarna) السفير الايطالي في النمسا، يقول فيه انه قابل «اهرينتال» (Aenrenthal) وزير الخارجية وبعد ان بحث معه الموضوع وافهمه التطورات التي ادت الى ذلك القرار، اجابه بانه مستعد استعدادا تاما لدراسة الموضوع من جميع جوانبه، لتقديم تقرير مفصل عنه للامبراطور، ليستطلع رأيه قبل اعطاء رده الرسمي.

هذا وقال «دافارنا» ان «اهرينتال» تحدث معه طويلا حول الموضوع ولكن بصورة غير رسمية، واعرب له عن امله في الحصول على موافقة الامبراطور على الاجراء الذي تنوي ايطاليا اتخاذه تجاه ليبيا، الا انه قال له، على سبيل النصيحة، انه يرجو ان تحصر ايطاليا حربها في ليبيا فقط، وطلب منه ان ينبه حكومته بان تنظر بعين التقدير الى المسئوليات التي ستواجهها ان هي سببت نشوب حرب في البلقان».

وفي يوم ١٩١١/٩/٢٨، بر «اهرينتال» بوعده وارسل رد حكومته الرسمي وهو كما يلي:ـ

ان حكومة النمسا والمجر تعرب عن اسفها الشديد لترك ايطاليا الصعيد الدبلوماسي للوصول الى تسوية مشاكلها مع تركيا، ولكنها تعتبر ايطاليا صديقة وحليفة لذلك تعترف بحقوقها ومصالحها في ليبيا وتطلق لها حرية التصرف بالطريقة التي تراها للدفاع عن تلك الحقوق ولحماية تلك المصالح.»

وسر «جوليتي» للنتائج التي حصل عليها سفراؤه في انجلترا وفرنسا وروسيا، وبعث يستحث سفيره في برلين بحيث يوافيه بنتيجة مساعيه.

وجاء تقرير مفصل من برلين اعترف فيه سفير ايطاليا بفشله فى اقناع السلطات الالمانية، وقال انه لا يعتقد ان المانيا ستعطيه اى رد رسمى حـــول قرار ايطاليا المتعلق بغزو ليبيا ، لا بصورة ايجابية ولا سلبية ٠

وقال السفير فى تقريره انه يخيل اليه ان وزير خارجية المانيا يتهرب من ابداء اى راى فى هذا الموضوع كما انه يتحاشى الخوض فيه٠

هذا وفسر السفير تهرب وزير الخارجية بما يلى:ـ

« ان موقف المانيا تجاه تركيا يكتنفه الغموض، وهو موقف لا تحســـد عليه، اذ انها كانت تسعى منذ مدة غير قصيرة لضم تركيا الى حظيرة«الحلف الثلاثى»، ولما كادت تصل الى غايتها وجدت نفسها فجأة امام موقفنا الحازم من تركيا،والذى يحتم عليها ترك الصديقة الجديدة ــ تركياــ اذا ارادت ان تحتفظ بالصديقة والحليفة القديمة «ايطاليا»٠

وقال السفير فى شرح اسباب التقارب بين المانيا وتركيا ما يلى:ـ
« ان العامل الاساسى فى التقارب بين المانيا وتركيا هو ما يبذلـــــه «البارون مارشال» (Barone Marshall) سفير المانيا فى اسطنبول من جهود ومساعى فى سبيل توثيق عرى الصداقة بين البلدين»٠

وطلب السفير فى خاتمة تقريره ان تكلف الحكومة الايطالية سفارتهـا فى اسطنبول بحيث تعمل على الاتصال بالبـارون «مارشـال» وتبحث معـــه الموضوع لعلها تنجح فى تحقيق ما فشلت فى تحقيقه سفارة ايطاليا فى برلين٠

هذا ولم ينس السفير الايطالى ان يلفت النظر الى ان «مارشال» يتمتـــع بنفوذ كبير فى حكومته، وانه استدعى مؤخرا الى برلين للتباحث معه حول الحالة فى تركيا، واكد انه علم من مصدر موثوق به، ان مارشال مفوض مـــن حكومته تفويضا كاملا، لاجراء اية مباحثات وعقد اية اتفاقيات بين برليـــن واسطنبول ٠

وتنفيذا لما اشار به سفير ايطاليا فى برلين ارسل «جوليتى» تعليمـات دقيقة الى القائم باعمال السفارة الايطالية فى اسطنبول «دى مارتينو» يطلـب

منه فيها ان يدخل فى محادثات تمهيدية حول قضية ليبيا مع سفير المانيا «مارشال».

وبادر «دى مارتينو» بالاتصال «بمارشال» وتحدث معه فى موضوع اعتزام ايطاليا غزو ليبيا. وعلى اثر ذلك كتب الى «جوليتى» ما يلى:ـ

«تبين لى من المحادثات الاولية ان «مارشال» على علم تام بخطوات سفارتنا فى برلين، كما أنه على معرفة بجميع تطورات الموضوع، وفهمت منه أنه يكاد يكون مكلفا رسميا من حكومته لايجاد حل سلمى للنزاع الايطالى ـ التركى».

ولما تأكد «جوليتى» ان «مارشال» هو الرأس المفكرة التى تسير السياسة الالمانية نحاه موضوع غزو ليبيا، كتب الى القائم باعمال سفارته فى اسطنبول يفوضه بالدخول فى مفاوضات رسمية مع «مارشال» ، وامره بان لا يتهاون فى وجوب الاعتراف بحق ايطاليا فى الدفاع عن حقوقها ومصالحها فى ليبيا ولو عن طريق استعمال القوة، نظرا لان الحكومة التركية تجاهلت دائما ـ او تعمدت ان تتجاهل ـ تلك الحقوق وتلك المصالح.

ولم ينس «جوليتى» ان يوعز الى «دى مارتينو» بان يحاول الضغط والتهديد عند اللزوم، وان يشير فى حديثه بلباقة الى قرب حلول موعد تجديد «الحلف الثلاثى» ، وأن يربط بين تجديده وموقف المانيا من ايطاليا فى هذه القضية، وان يفهم «مارشال» بالتلميح ان ايطاليا سوف لن تكون مستعدة للارتباط فى حلف مع دولة تقف من مصالحها موقفا سلبيا أو غير ودى .



اول طائرة استخدمها الايطاليـــون الغزاة فى حربهم الاجرامية ضد ليبيا

اعتراضه ودّى ...

ولم تمض الا ايام حتى تلقى «جوليتى» تقريرا من «دى مارتينو» يقول فيه انه نفذ التعليمات بحذافيرها، وانه «ضغط» فى محادثاته مع «مارشال» على موضوع تجديد «الحلف الثلاثى».

واضاف «دى مارتينو» ان «مارشال» قد اعرب عن قلق حكومته من هذا النزاع، وعبر عن امله فى ان تصل ايطاليا وتركيا الى اتفاق سلمى حول موضوع ليبيا.

ويقول «دى مارتينو» أنه تفرس فى «مارشال» السياسى الخطير والمخادع الماكر الذى يتقن التلاعب بالالفاظ لقلب الحقائق وتحريفها وانه على يقين من ان «مارشال» (سيبذل ما فى وسعه ليعترض طريقنا ولو وديا).
«farà del suo meglio per traversarci, sia pure amichevolmente, la strada.»

وجاء فى التقرير ايضا ان تركيا اصبحت على علم تام باحتمال غزو ايطاليا لليبيا، ربما اخبرها بذلك صديقها «مارشال».

واضاف «دى مارتينو» انه علم ان تركيا تسعى جاهدة للوصول الى تسوية نزاعها مع ايطاليا حول ليبيا بصورة سلمية، تضمن لها الاحتفاظ بهيبتها (المزعومة) فى العالم الاسلامى، **وفى الوقت نفسه تجنبها الدخول فى** اى نزاع مسلح.

ويقول «دى مارتينو» انه علم من «الكوماندور نوقارا» ان «مارشال» قد قابل رئيس الوزراء يوم ١٩١١/٩/١٦، قبل سفره الى برلين، وان هذا الاخير قد رجاه فى توسل وخنوع بحيث يقنع حكومته بالتدخل فى حل هذه المشكلة وانه وعده ان تركيا سوف تعمل مستقبلا على منح ايطاليا مركزا ممتازا فى ليبيا، كما ستعترف لرعاياها بامتيازات خاصة وتحافظ محافظة تامة على حقوقهم ومصالحهم.

وجاء في التقرير ان رئيس الوزراء قد اكد «لمارشال» انه في حالة اعلان الحرب من قبل ايطاليا على تركيا فان ذلك سيؤدى حتما الى اسقاط الحكومة، لذلك يجب ان يبذل مساعيه الحميدة بحيث تتدخل المانيا « لتفادى سقـوط حكومة الشباب التركى» أو «تركيا الفتاة».

هذا وجاء في تقرير من « الكومندتور فولبى» انه علم من وزير خارجية تركيا، الذى تربطه به علاقة صداقة متينة، ان تركيا لا يمكن ان تتنازل عـن ليبيا لان ذلك يعنى انهيار الخلافة الاسلامية، وانه فى حالة اعتداء ايطاليا على ليبيا ستقوم تركيا باتخاذ اجراءات انتقامية من الجاليات الاوروبية كلها.

وفسر «فولبى» هذا القول بانه نوع من التهديد للارهاب، واكـد ان تركيا بوضعها الحالى لا يمكن ان تقوم بعمل كهذا تستعدى به الدول الاوروبية الاخرى على نفسها.

وفى يوم ١٩١١/٩/٢٦ ورد الى «جوليتى» تقرير من «دى مارتينـو» يقول فيه ان «مارشال» رجع من برلين، وقابل رئيس الوزراء فور وصوله وانه علم من «الكومندتور نوقارا» ان المقابلة كانت جافة نوعا ما، وان مشـادات كلامية قد وقعت بين رئيس الوزراء التركى والسفير الالمـانى، لان رئيـس الوزراء اراد ان يحمل المانيا مسئولية ما يجرى الان فى شمال افريقيا، كنتيجة لتهاونها فى موقفها ازاء «مراكش» وان السفير الالمانى احتج احتجاجا شديدا على هذا القول، واكد ان المسئولية ـ كل المسئولية ـ تقع على كاهل المسئولين الاتراك، خصوصا وانه نصحهم عدة مرات بان يخففوا من تطرفهم تجاه ايطاليا وان يعملوا على ارضائها، وكان ردهم على تلك النصائح ان بالغوا فى اضطهاد الايطاليين وفى استفزاز الحكومة الايطالية.

ويضيف التقرير ان رئيس الوزراء كتم غيظه وتمالك اعصابه وطلـب راجيا متوسلا ، من «مارشال» ان يطلب من المانيا التدخل فورا لحل النـزاع الايطالى ـ التركى واكد له ان تركيا مستعدة لتلبية جميع الطلبات التى تتقدم بها ايطاليا بدون قيد او شرط.

ويقول التقرير ان «مارشال » تعهد بابلاغ رغبة رئيس الوزراء الى برليـن وبالعمل جديا على اقناع حكومته بالتدخل لصالح تركيا.

نشاط الجاسوسية ومؤامراتها...

ولما تأكد « جوليتى» من ضعف تركيا وعدم قدرتها على الوقوف فى وجه رغباته واطماعه الاستعمارية، وانها كما تقول تقارير جواسيسه الحافلة بالمستندات والوثائق التى تكشف اسرار تلك الدولة المفككة ـ تمر فى ظروف قاسية، فريسة للخلافات الداخلية والمشكلات المالية والاقتصادية، والازمات السياسية المعقدة، وجه كل نشاط جواسيسه الى الزعماء السنوسيين الذين اصبح لا يسقط حسابهم فى تقديرات عدوانه واحتمال مجابهة ايطاليا لمقاومة شديدة من قبل الليبيين، وامر عملاءه بان يقوموا بمحاولات جديدة ليست كسابقاتها بل تتسم بالغدر والخيانة.

وكانت الاعمال التى عهد «جوليتى» بتنفيذها لجواسيسه وعملائه تتألف من شقين مختلفين بل متناقضين تماما:.

الاول، يهدف الى خطب ود الزعماء السنوسيين واستمالتهم الى صف ايطاليا وذلك باقناعهم عن طريق الرشوة بالمال والوعود بالمراتب العالية والقصور المنيفة، لكى يتخلوا عن عقائدهم ومبادئهم ولا يقوموا باى نشاط يرمى الى توعية الشعب او تحريضه على المقاومة بحجة «الجهاد فى سبيل الله» او «الحرب المقدسة ».

وفوض «جوليتى» الجواسيس والعملاء بان يبذلوا الاموال فى سبيل شراء ضمائر ضعاف النفوس من مريدى الطريقة السنوسية، وان يستعملوا جميع وسائل الاغراء والترغيب بحيث ينجحوا فى هذه المهمة.

اما الشق الثانى وهو اكثر خطورة على الحركة الوطنية فى البلاد، اذ يتلخص فى ان يقوم العملاء والجواسيس بحملة تشهيرية مركزة ضد «السنوسية»، وان يجندوا جميع امكانياتهم لكى يقوموا بعمل كبير موحد

يهدف الى التشكيك فيها كعقيدة دينية، ويتوخى تحريف اسسها ودعائمها وفى الوقت نفسه يعملوا على مقاومة دعوتها والحد من نشاطها.

هذا ولم ينس «جوليتى» ان يوصى عملاءه بان يستغلوا كل خلاف فى وجهات النظر بين الزعماء السنوسيين والزعماء الاخرين، وان يعملوا على توسيع شقة الخلافات الطائفية وعلى تشجيع الفخر القبلى وتقوية نعرته، وان يقوموا بتدابير متنوعة تهدف الى الايعاز الى مشائخ القبائل، خصوصا فى برقة، بان ينفضوا عن «السنوسية» ولا ينساقوا وراء زعمائها «كقطيع الغنم» لان هؤلاء الزعماء سيسلكون بهم طريقا وعرا - حسب اعتقاده - يودى بهم الى التهلكة، والله ينهاهم بان لا يعرضوا انفسهم للخطر والهلاك. ان الزعماء السنوسيين - حسب راى «جوليتى» - لا يستطيعون بأية حال مقاومة الغزو الايطالى، وليس من حقهم، ولا يجوز لهم ان يدفعوا السذج من الشعب الى حرب يعرفون مقدما انها خاسرة وميئوسا من نجاحها .

هذا وطلب «جوليتى» من عملائه ان يقنعوا الناس - والحقيقة يوهموهم - بان العيش تحت راية ايطاليا هو أكثر طمأنينة ورغدا من العيش فى الصحراء جريا وراء وعود الزعماء السنوسيين وغيرهم، تلك الوعود التى هى ضرب من المستحيلات ولا يمكن ان تتحقق.

وهذه المؤامرة الخبيثة بشقيها تظهر بوضوح الى اى حد كان «جوليتى» يرهب الزعماء السنوسيين ويعيرهم جل اهتمامه ويقيم وزنا كبيرا فى تقريرات امكانية نجاح غزو بلاده لليبيا، وكيف كان يتفنن فى حياكة المؤامرات وتدبير الدسائس ليصل الى هدفه الدنىء، وهو ان يكسبهم الى صفه ليغدر بهم فيما بعد أو يؤلب عليهم الشعب ويتخلص من نفوذهم الذى كان يخافه .

ونظرا لان السنوسية اصبحت القذى فى عين «جوليتى» والشجا فى حلق اطماعه، جند لها فريقا كبيرا من جواسيسه وعملائه، ليتصلوا بافرادها حتى فى الخارج ويقنعوهم بضرورة عدم التعرض للغزو الايطالى اذا هم يريدون الاحتفاظ بمراكزهم العالية، وفوضهم بان يعدوهم بان ايطاليا ستعمل اذا ساروا فى ركبها على تقوية نفوذهم الروحى وعلى تشجيع عقائدهم الدينية كما ستوفر لهم اسباب الحياة الكريمة فى رغد وبذخ وفى قصور شامخة منيفة.

وسيلة تنفيذ الارادة الالهية

وعلى اثر تلك التعليمات وما رافقها من اموال انطلق الجواسيس والعملاء يتقصون اخبار الزعماء السنوسيين، ويبذلون الجهود للتقرب منهم والتودد اليهم لاستمالتهم وتسييرهم فى خط السياسة الايطالية، او للتشكيك فى دعوتهم وتأليب القبائل ضدهم واستعداء مشائخها عليهم.

ولم تمض الا ايام حتى بدأت التقارير تصل الى «جوليتى» من طرابلس وبنغازى والقاهرة ومصوع، وبيروت واسطنبول وكلها تفيد بما قام به العملاء والجواسيس من محاولات فاشلة.

تلقى «جوليتى» تقريرا من «بارودى» (Parodi) ،وهو من اعضاء مجلس ادارة بنك روما فى طرابلس يقول فيه ما يلى:-

« لا شك فى ان « السنوسية » فى ليبيا تعتبر من اكبر العراقيل التى ستعترض سبيل اعادة امجاد روما فى هذه البلاد« المتوحشة» ولا شك فى انها ستكون عائقا كبيرا فى وجه احتلالنا وبسط نفوذنا.. ولكن هذا لا ينفى احتمال انشقاق زعماء بعض القبائل على «السنوسية» وبذلك يمكن تفادى خطر استشراء دعوتها فى بعض البلدان من مقاطعة طرابلس

وورد تقرير اخر من بنغازى من المدعو « ساكى » (Sacchi) يقول فيه ان العملاء الذين كلفتهم بالاحتكاك بمريدى السنوسية احتكاكا مباشرا قد حاولوا بجميع الوسائل التقريب بين وجهات نظرهم ووجهات نظرنا ولكنهم لم ينجحوا ولم يستطيعوا ان يحولوهم عن ثقتهم فى زعمائهم السنوسيين وعن عقيدتهم وذلك بدافع التعصب للدين والتمسك بتعاليمه.

وتحول ساكى الى ابداء ارائه الخبيثة فقال:ــ

«ان العقيدة السنوسية تعلم وتوجه وترشد وجميع المسلمين تقريبا يعتقدون انها هى الركن الاساسى فى تالفهم وتاخيهم، والدافع الرئيسى لثقتهـــم بانفسهم وحبهم لوطنهم. لذلك يجب ان نحارب «السنوسية» بسلاحها ونحطم عقيدتها الدينية عن طريق الدين نفسه..»

وتلقف «جوليتى» هذه النصيحة التى اعتقد انها حرية بالتطبيق وارسل الى عميله محمد على ...وطلب منه السعى للحصول باى ثمن على فتوى مـن الازهر الشريف يكون فيها شىء يفهم منه ان مبادىء «السنوسية» تتنافى مع الدين الاسلامى وانها بدعة تجب مقاومتها والقضاء عليها.

ويبدو ان محمد على..قام بمحاولة من هذا القبيل ولكنه اخفق اذ جـاء فى رسالة قنصل ايطاليا ما معناه: « لم يتمكن محمد على.. من اقناع هيئـــة الازهر باصدار فتوى ضد العقيدة السنوسية، او حتى مجرد نداء بعدم تمشيها مع تعاليم الدين الاسلامى، وذلك لان «الازهر» هو اكبر مركز اسلامى والذين يشرفون عليه هم من المتعصبين جدا للاسلام.

هذا ويضيف التقرير ان محمد على...تمكن من الحصول على نداء مـن احد العلماء بعد ان اجزل له العطاء ورد فيه نصح للعرب بالوقوف الى جانبنا لمحاربة الاتراك وفيه « يعتبرنا وسيلة لتنفيذ الارادة الالهية» ويصف الاتراك «بالكلاب الغادرين» ويتهمهم بانهم ادخلوا فى دينهم آلهة جديدة مثل التقـدم والمدنية وغير ذلك.

« costui ci considera come strumenti della volontà di Allah, e qualifica i Turchi come « cani infedeli », accusandoli di avere introdotte nuove divinità come il Progresso, la Civiltà ecc. nella loro religione. »

خديوى مصر يتدخل... ويفشل...

وحيث ان جميع المساعى التى بذلها «جوليتى» قد باءت بالفشل الذريع وبخيبة امل كبيرة، لجأ الى وسيلة اخرى معتقدا انها تكون اكثر فعالية، وهى تتلخص فى انه ظن ان العملاء الذين سخرهم لخدمة اغراضه السافلة الدنيئة لا يؤهلهم مقامهم الوضيع بان يؤثروا على الزعماء السنوسيين تأثيرا يثمر النتيجة الايجابية التى كان يتمناها، لذلك عمد الى الاتصال عن طريق القنصلية الايطالية بصديقه «خديوى مصر» فى ذلك الوقت، الذى تربطه بايطاليــــا وشائج صداقة متينة اذ انه كما يقول هو شخصيا انه «يعترف بفضــــل «امبرتو الاول» ملك ايطاليا، الذى استضاف اباه بكرم وعطف قلبى فى ايطاليا عندما خلع عن العرش وطرد من مصر على اثر احداث ثورة اعرابى باشـــــا سنة ١٨٨٢، وطلب منه العمل على اقناع الزعماء السنوسيين بان يكونوا الى جانب ايطاليا فى حربها ضد تركيا».

« in riconoscenza, egli diceva, della cortesia di Umberto I. il quale aveva accolto con cordiale ospitalità in Italia suo padre, quando era stato privato dal trono e bandito dall'Egitto in seguito agli avvenimenti del 1882 alla rivolta di Arabi Pascia. »

وبعد بضعة ايام تلقى «جوليتى» اشارة تفيد بان الخديوى قبل ان يقوم بالمهمة وان يستعمل ضغطه ونفوذه بحيث يلبى الزعماء السنوسيون رغبـــة ايطاليا ويحاربوا الاتراك الى جنبها.

وسر «جوليتى» لهذا النبأ وبقى ينتظر النتيجة ولكن بدون جدوى، ولما الح على القنصل ليعرف من «الخديوى» نتيجة مساعيه « **المشينة المخجلة**»، كتب اليه القنصل بما يفيد ان « الخديوى » لم يؤكد او ينف اتصاله **بالزعماء**

السنوسيين، ولكنه فهم من مجرى الحديث معه انه اما انه احجم عن الاتصال بهم ومفاتحتهم فى هذا الموضوع خوفا من التشهير به وفضح تامره مع دولة غير مسلمة، او انه اتصل حقيقة واخفقت مساعيه.

هذا ويضيف القنصل بان «الخديوى» ابدى استعداده لكى يبحث عن شخصية كبيرة اخرى يمكنها مساعدة ايطاليا فى الوصول الى هذه الغاية.

وعلى الرغم من ان نفقات الجاسوسية وشراء الذمم والضمائر والنفوس المريضة كانت تزداد وتتضخم يوما بعد يوم امر « جوليتى» بفتح اعتماد كبير لهذا الغرض، واصدر تعليماته بانشاء شبكة جاسوسية اخرى تعمل فى بلدان البحر الاحمر ومركزها الرئيسى فى «مصوع» بالاضافة الى المراكز التى اسسها فى بيروت والاسكندرية وتونس وراء ستار الشركات التجارية .

الأنذار المشئوم ...

ويبدو من وقائع الاحداث ان تركيا لم تكن واثقة تمام الثقة من نجاح «مارشال» فى اقناع حكومته، المانيا، لكى تتدخل بوساطتها او بتهديدها لارغام ايطاليا على العدول عن قرارها باحتلال ليبيا، حيث انها فى الوقت الذى كان فيه رئيس وزرائها يرجو «مارشال» ويتوسل اليه لكى يعمل ما من شانه أن يؤدى الى حل النزاع بينها وبين ايطاليا بصورة سلمية ، كان يجرى اتصالات سرية مع انجلترا لنفس الغرض.

وتدل تقارير السفارة الايطالية فى لندن ان السفير التركى قد قام بمقابلة وزير الخارجية المستر « قرى » (Grey) واعلمه ان حكومته ترجو من حكومة لندن ان تتدخل فى النزاع الايطالى ـ التركى، وان تضغط على ايطاليا بحيث تعدل عن فكرتها فى احتلال ليبيا وتخفف من عدائها لتركيا، ولكن المستر «قرى» اجابه بما يلى:

« نظرا لان المشكلة ايطالية ـ تركية محضة، فان الحكومة البريطانية لا تنوى التدخل فيها باى شكل، حتى ولو ان ايطاليا قررت الوصول الى آخر النتائج واحتلت ليبيا».

« Trattandosi di questione esclusivamente italo-turca, il governo britannico non intende di intervenire in alcun modo, anche se l'Italia andando alle ultime conseguenze, occupasse la Libia. »

وتدهورت سياسة تركيا اكثر مما كانت متدهورة، وصارت تطرق الابواب تخطب ود الدول الاوروبية فى خضوع مهين، لعلها تتخلص من ورطتها ولتشبثها بالامل فى الوصول الى حل سلمى للقضية اهملت، مجبرة او مختارة الاعتناء بليبيا وبتنظيم الدفاع عنها.

وخشية ان تنجح تركيا فى الحصول على تأييد احدى الدول التى كانت تستجديها وتستدر عطفها، خصوصا المانيا التى كانت تميل الى مساعدتها والوقوف الى صفها بدافع السياسة التى ينهجها «مارشال» سفيرها فى اسطنبول عمد «جوليتى» الى قطع الطريق فى وجه اى تدخل او وساطة وبعث يوم ١٩١١/٩/٢٦ انذاره المعروف الى الباب العالى والذى ركزه على ادعاءات اكثرها باطل وافتراء محض.

ومن اهم نقط ذلك الانذار ما يلى:

١ - على الرغم من ان الحكومة الايطالية دأبت منذ عدة سنوات على لفت نظر الحكومة التركية الى حالة الفوضى والاهمال التى تركت فيها طرابلس وبرقة ومطالبتها بوضع حد لتلك الحالة حتى تستطيع الانتفاع من التقدم الذى انتفعت به الجهات الاخرى فى افريقية البحر الابيض المتوسط فان تركيا لم تفعل شيئا .

٢ - ان تطور تلك البلاد تفرضه متطلبات المدنية وهو لذلك يشكل مصلحة حيوية بالنسبة لايطاليا لقرب المسافة التى تفصل تلك البلدان من شواطئها.

٣ - على الرغم من ان ايطاليا منحت تأييدها المخلص للحكومة العثمانية فى مسائل سياسية مختلفة فى المدة الاخيرة، وعلى الرغم من المهادنة والصبر الذى اعطت ايطاليا الدليل عليهما، لم تعر الحكومة العثمانية ذلك اى اهتمام وليس هذا فحسب، بل اصرت، وهذا ادهى وامر، على معارضة اى مشروع اقتصادى ايطالى فى تلك البلدان معارضة شديدة ليس لها ما يبررها.

٤ - والان بعد فوات الوقت وفى آخر لحظة وعدت تركيا بالعمل على الوصول الى اتفاق، واعلنت انها مستعدة لمنح ايطاليا اية امتيازات اقتصادية تتمشى مع المعاهدات السارية المفعول ومع كرامتها ومصالحها العليا.

٥ - ان الحكومة الايطالية لا تعتقد انها فى ظروف تسمح لها بالدخول فى مفاوضات تدل الخبرة السابقة على انها غير مجدية ولا تشكل باية

حال ضمانا للمستقبل، وتعتقد ان المفاوضات المقترحة لا ترمـــى الا الى زيادة النزاع ومضاعفة اعمال الاستفزاز.

٦ ـ ان تقارير قناصلنا فى طرابلس وبرقة تصف حالة رعايانا بانهـا مؤسفة من جراء تصرفات الضباط والمسئولين الاتراك .

٧ ـ ان تحريض العرب من قبل المسئولين الاتراك يشكل خطرا كبيـرا ليس على الرعايا الايطاليين فحسب بل على رعايا الدول الاخرى، وقد بدأ هؤلاء الرعايا فى ترك البلاد خوفا من العواقب.

٨ ـ ان وصول قوات عثمانية الى ليبيا رغم تحذير ايطاليا يؤدى الى تعقيد الامور ويضطر ايطاليا الى اتخاذ الاجراءات المضادة لتفادى الاخطـار التى تنجم عن ذلك.

٩ ـ ونظرا لان ايطاليا وجدت نفسها مرغمة على الدفاع عـن كرامتهــا وحماية مصالحها فقد قررت احتلال ليبيا عسكريا، حيث لم يبــق امامها اى حل آخر.

١٠ ـ ان ايطاليا تنتظر ان تقوم الحكومة العثمانية باصدار اوامرها الـــى قواتها بحيث لا تعترض طريق القوات الايطالية وبحيث يتم الاحتلال بدون اية مقاومة.

١١ ـ يمكن الدخول فى مفاوضات بعد انتهــاء الاحتلال لتسوية الامــور التى تنجم عنه.

١٢ ـ اذا لم يصل رد تركيا بالموافقة خلال ٢٤ ساعة ستتخذ ايطاليـــا فورا جميع الاجراءات التى تكفل اتمام الاحتلال.

وكتبت الصحف معلقة على الانذار بمايلى:

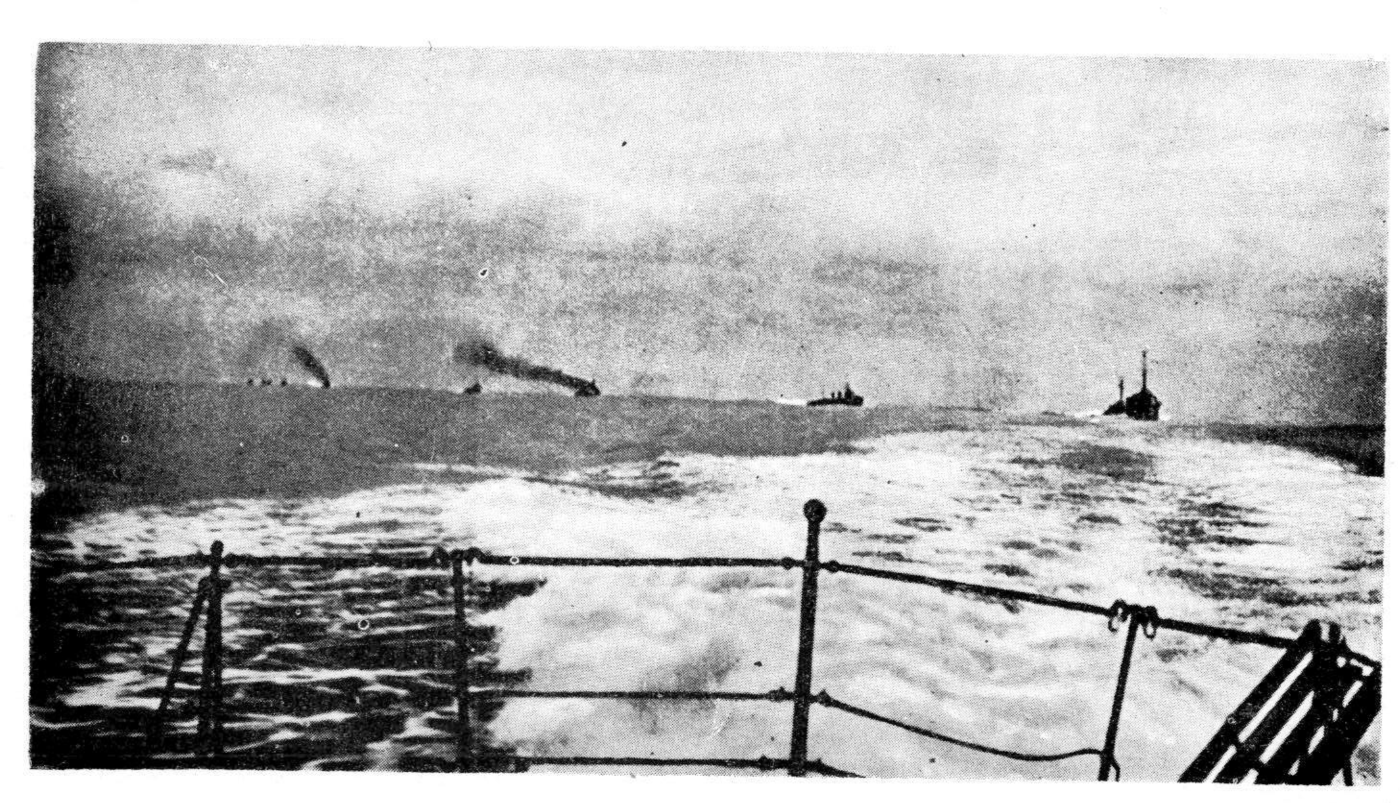
« لقد حررت تلك الوثيقة بشكل لا يفتح الطريق للتهرب، ولا يـــدع المجال للتشبث بمفاوضات طويلة التى يجب تجنبها».

« L'Ultimatum è stato compilato in modo da non aprire strada a qualunque evasione e non dare appigli ad una lunga discussione che dobbiamo ad ogni costo evitare.

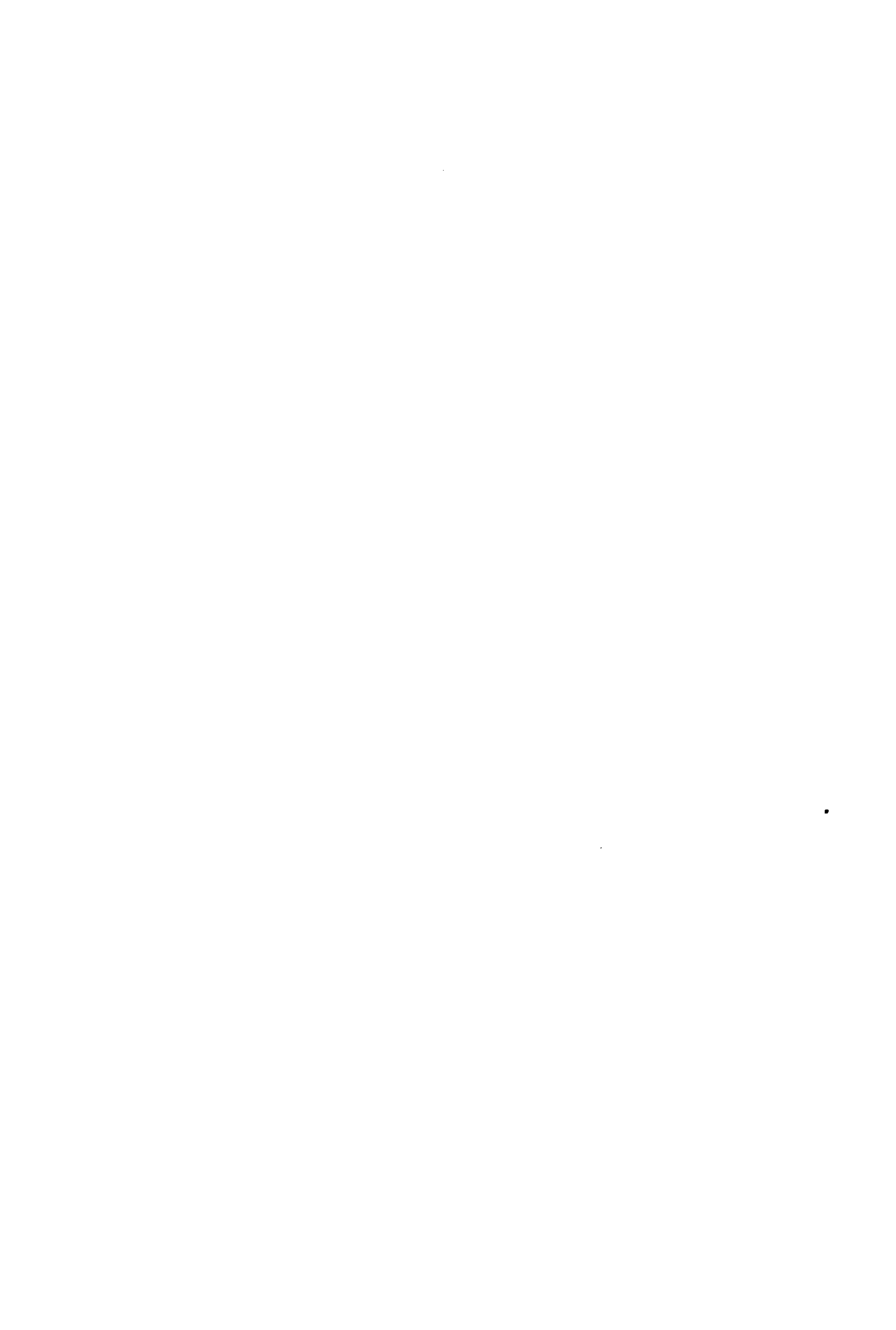
وما ان وصل الانذار الى اسطنبول حتى اهتزت له الحكومة التركيـــه وسارعت بالالتجاء الى «مارشال» وطلبت منه مرة اخرى ان تقوم بلاده بمساعى الوساطة لحل تلك القضية سلميا.

وعلى اثر ذلك استدعى وزير خارجية المانيا « كندرلين واشتر» (Kinderlen Wachter) سفير ايطاليا فى برلين «بانسا » (Pansa) وطلب منه فى لهجة شديدة نوعا ما. ان يطلب من حكومته ان لا تعلن الحرب على تركيـا، لان ذلك سيكون سببا فى نشوب الحرب فى البلقان وبالتالى فى اوروبا كلها.

وتعاقبت الاحداث بسرعة هائلة وكانت كلها تشير الى نجاح ايطاليـــا فى الميدان السياسى بحيث جعلت من تركيا دولة حقيرة، رغم عظمتها، صغيرة رغم كبرها، معزولة تسعى هنا وهناك لتستدر عطف الدول الاوربية وتستجدى مساعدتها.



الاسطول الايطالى فى طريقـــه الى ليبيا



يأس تركيا وتخاذلها...

ولما فشلت تركيا فى جميع مساعيها تخاذلت وتملكها اليأس فردت على الانذار الايطالى برد ضعيف هزيل يوحى مقدما بالخضوع والاستسلام، جاء فيه ما معناه:ـ

١ ـ ان مسئولية تأخر الولاية ترجع الى نظام الحكم السابق وستعمل الحكومة على تحسينه٠

٢ ـ ان الحكومة التركية لم تعرقل اعمال الايطاليين، بل ايدتهم دائما وقامت بحماية مصالحهم٠

٣ ـ ان الحكومة التركية مستعدة لمنح أية امتيازات للايطاليين٠

٤ ـ ان الحكومة التركية تطلب من الحكومة الايطالية ان تبين لها جميع الضمانات التى تراها ضرورية لضمان مصالحها ومصالح رعاياها٠

٥ ـ ان الحكومة التركية تتعهد بان لا تحدث اية تغييرات فى الوضع العسكرى فى ليبيا ٠

٦ ـ ان الحكومة التركية تأمل ان تصل الى تسوية سلمية لهذه المشكلة تجنبا لخطر الحرب، وتأمل ان تشاركها ايطاليا فى هذا الامل ولا تلجأ الى احتلال ليبيا٠

وقد كان رد الحكومة التركية الضعيف الهزيل الذى فيه الشىء الكثير من الخضوع والخنوع الى درجة انها اعتذرت عن اشياء تعلم انه ليس لها اى اساس من الصحة، وانما هى من اختلاق العدو ليجد مبررا لنياته العدوانية الظالمة، ووعدها بتلبية رغبات ايطاليا بدون قيد او شرط، واملها فى ان تحل

المشكلة سلميا الذى هو بمثابة رجاء وتوسل صريح لايطاليا بان لا تلجأ الى استعمال القوة لاحتلال ليبيا، كانت كلها عوامل شجعت ايطاليا على اعلان الحرب، اعتقادا منها — وهى على حق — ان الدولة التى تقبل على نفسها أن تواجه انذارا من عدوها بهذه الذلة وهذا الخضوع لا تستطيع باية حال الدخول فى حرب لحماية ليبيا وان دخلتها فهى خاسرة لا محالة٠

وعلى هذا الاساس تجرأت ايطاليا ورفضت رد تركيا على انذارها واعتبرته غير مرض لمطالبها واعلنت عليها الحرب يوم ٢٩/٩/١٩١١٠

وفوجىء الشعب التركى باعلان الحرب لانه لم يكن يعلم شيئا مما كان يدور فى سرية تامة فى دواوين الحكومة٠

وللحقيقة والتاريخ انه ليس الشعب التركى فحسب الذى فوجىء بأعلان الحرب على بلاده من قبل ايطاليا بل حتى الشعب الايطالى لم يكن يعلم شيئا عن ما كان يبيته «جوليتى» من غدر وعدوان على ليبيا٠

ومن الاسباب التى حافظت على سرية تلك المؤامرات الدنيئة والتدابير الغادرة ما عمد اليه «جوليتى» من تمويه وتضليل ومنها ما يرويه هو نفسه فيقول:—

« لقد كان فصل الصيف من العوامل الرئيسية فى المحافظة على سرية اعمالنا، تلك السرية التى اعتبرها ضرورية للقيام باستعداداتنا للحملة، وذلك لان ابتعاد السفراء فى فصل الصيف عن روما يساعد على تفادى التقصى عن الاخبار والاتصالات التى قد يمكن فى بعض المرات ان تكون سببا فى تسرب الافكار٠ لذلك اتفقت مع «سان جوليانو» بحجة قضاء العطلة الصيفية ان يكون هو فى «فيوجى» (Fiuggi) او «فالو مبروسا» (Vallombrosa) بينما اكون انا اما فى «كافور» (Cavour) او فى «باردونيكيا» Bardonecchia

وذلك لكى لا يبدو على الصعيد السياسى اى شىء غيرعادى.

وكان هذا عاملا فى انقشاع سحب الظنون والشكوك فى تركيا حتى انها فوجئت باعلان الحرب.

« A quel segreto, che consideravo necessario per la preparazione della nostra azione, concorse anche la stagione estiva, che allontanando da Roma gli Ambasciatori delle Potenze, evitava le indiscrezioni ed anche quei contatti nei quali non è sempre possibile non tradire il proprio pensiero. Io poi m'ero inteso con San Giuliano perchè col pretesto delle vacanze egli si tenesse a Fiuggi o a Vallombrosa, mentre io stavo a Cavour ed a Bardonecchia, per mostrare che nulla di insolito era sul tappeto, anche per dissipare i sospetti presso i turchi che furono infatti colti di sorpresa dalla nostra dichiarazione di guerra. »

تركيا تستجدي الصلح ...

ومما يدل على تدهور سياسة الحكومة التركية وتزعزع مركزهـــا ان رئيس وزرائها ـ حقي باشا ـ او الصدر الاعظم ـ كما يسمونه في ذلـــك الوقت كان يسعى بكل مافي وسعه لصيانة الدولة من الانهيار والاضمحلال ويبذل الجهود في سبيل تسوية المشكلة الليبية ولو حتى على حساب كرامة تركيا وسمعتها وشرفها .

ولم ينظر حقي باشا الى ماضي بلاده التي كانت تهز العالم ، بل حصـــر كل جهوده في الوصـــول الى التسوية المنشودة ولو ادى به ذلك الى الخضوع والاستخذاء .

وتنفيذا لتلك السياسة العقيمة الفاسدة التي كانت من تدبير « فولبي و « نوقارا » بالتواطىء مع بعض المسئولين الخونة مـــن الاتراك ، طلبت الحكومة التركية من حكومة النمسا ان تبذل مساعيها لحل المشكلة التركية ـ الايطالية الخاصة بليبيا ، حتى بعد اعلان الحرب .

وتدخلت النمسا فعلا واستدعى وزير خارجيتها « اهرينتال » ســـفير ايطاليا يوم ٣ـ١٠ـ١٩١١ اى بعد يومين فقط من اعلان الحرب وابلغــه ان الحكومة التركية مستعدة للدخول في مفاوضات ، حتى بعد اعلان الحـــرب عليها ، وهي على اتم استعداد للنظر بعين الاعتبار في جميع مطالب الحكومة الايطالية .

« Il 3 Ottobre l'Aehrenthal informava il nostro ambasciatore che il governo turco era disposto ad entrare in negoziati anche dopo lo scoppio delle ostilità. »

ووجد « جوليتي » الفرصة سانحة ليملي شروطه على الدولة المستضعفة المستخذية واعلن انه لن يدخل في مفاوضات مالم توافق تركيا على استثناء البحر « الادرياتيكي » من العمليات الحربية ، على ان تحتفظ ايطاليا بحريتها في القيام بعمليات حربية في جميع البحار والاراضي الاخرى ، التي ترى انها تساعد على تقصير مدة الحرب ، والقصد من ذلك هو حماية ايطاليا من هجوم الاسطول التركي وبذلك اتبع منطق الغالب تجاه المغلوب وحرم على تركيا ماأباحه لايطاليا .

وفي الوقت الذي كلفت فيه الحكومة التركية النمسا لكي تقوم بوساطتها كانت قد عممت مذكرات الى عواصم الدول الكبرى تطلب فيها ان تقوم حكوماتها الصديقة بعمل مالتحقيق السلام .

وكانت النمسا اول من عمل بموجب تلك المذكرة اذ قام سفيرها في روما بمقابلة وزير خارجية ايطاليا وافهمه ، بصورة ودية ، انه يمكن الوصول الى حل المشكلة الليبية بصورة سلمية وهي ان تتعهد ايطاليا رغم احتلالها للبلاد بالابقاء على السيادة الاسمية للسلطان فيها .

وقد اجابه « سان جوليانو » بعد التشاور مع « جوليتي » ان ايطاليا ترى في مذكرة تركيا مناورة من مناورات « الباب العالي » ولايمكنها ان تعيرها اى اهتمام ، لانه ليس في نية ايطاليا ان ترضى بانصاف الحلول ، كما ان الهدف الرئيسي من احتلال ليبيا هو وضع حد نهائي للمنازعات بين ايطاليا وتركيا التي قد تؤدي الى حرب عالمية .

واضاف « سان جوليانو » في تفسير وجهة النظر الايطالية قائلا مامعناه:

« ان الابقاء على سيادة السلطان ، حتى ولوكانت اسمية فحسب ، يبطل الغرض الذي عمدت ايطاليا الى تحقيقه باحتلال ليبيا ، كما ان الرأى العام الايطالي لن يقبل تسوية لاترتكز على اساس سيادة ايطاليا التامة على تلك البلاد »

اما وزير خارجية فرنسا « دى سيلفى » (De Selves) فقد اخبر سفير ايطاليا « تيتونى » انه فى الامكان الوصول الى تسوية سلمية للمشكلة الليبية ولكنه لم يدخل فى تفاصيلها لانه كان يحبذ ان تكون الوساطة جماعية من جميع الدول الاوبية .

هذا واكد « دى سيلفى » حسب ماورد فى تقرير « تيتونى » فى هذا الصدد ان فرنسا لن تقوم بأى وساطة اذا لم يكن ذلك بموافقة ايطاليا وعلى شرط ان تكون « كيف ومتى ترى ايطاليا ذلك مناسبا »

« solo come e quando l'Italia lo giudicasse opportuno. »

وختم « تيتونى » تقريره بقوله ان « دى سيلفى » اكد له من جديد ان فرنسا اذا تدخلت فى القضية الليبية انما تدفعها رغبتها فى اسداء خدمة لصالح ايطاليا .

واضاف ـ دى سيلفى ـ بانه ينوى بان يقوم ، بالاتفاق مع المانيا ، بمحاولة لحمل الدول الاخرى على اتخاذ خطوة لدى حكومة اسطنبول الهدف منها الحاق ليبيا تماما وبدون شروط بايطاليا وفى الوقت نفسه تهىء الفرصة للحكومة التركية لتعتذر بانها مرغمة على التنازل عن ليبيا أمام ارادة جماعية من اوروبا .

« aggiungendo di voler tentare di procedere d'accordo con la Germania, cercando di portare le Potenze a fare tutti insieme un passo a Costantinopoli per l'annessione pura e semplice, dando così anche al Governo turco il pretesto di dover cedere di fronte alla volontà unita dell'Europa.»

ووجد « جوليتى » فى تصريح وزير خارجية فرنسا فرصة كما يقول هو:

ان موقف « دى سيلفى » اعطانا فرصة لاسماع صوتنا فى « فيينا » و« برلين » بواسطة سفرائنا ، اننا لانستطيع ان نفترض ان حلفاءنا يقفون ازاءنا موقفا اقل صداقة ، او ان يظهروا بمظهر اقل اقتناعا ـ من فرنسا ـ بحقوقنا المشروعة » .

« Questo atteggiamento del De Selves ci dette occasione di fare sentire a Vienna ed a Berlino, per mezzo dei nostri Ambasciatori ch noi non potevamo supporre che i nostri alleati tenessero verso di noi un contegno meno amichevole e si mostrassero meno persuasi delle nostre buoni ragioni. »

وهكذا ارسل « سان جوليانو » مذكرة الى حكومة المانيا اوضح فيهـــا الاسس التى يمكن ان تقبل ايطاليا على اساسها الدخول فى مفاوضـــات الصلح ، وقال فى مقدمة المذكرة المذكورة أن ايطاليا لا تتنازل عن سيادتهـــا على ليبيا بأية حال ، وانها فى الوقت نفسه تعرض على تركيا عروضا سخيـــة منها انها ـ اى ايطاليا ـ ستتعهد بتسديد الديون العثمانية على ليبيا ، كما انها ستتعهد بتسوية المسألة الدينية مع الاعتراف بصفة « الخليفـــة » للسلطان بشرط ان لايضر ذلك بكرامةايطاليا فى الاوساط العربيةوبشرط ان لايعنى ذلك الاعتراف اى نوع من السيادة السياسية حتى ولواسمية ، لكى لايكون هنالك اى سبب لاثارة الفتن والمنازعات بين ايطاليا وتركيا ٠

كما اشترطت ايطاليا انتكون ليبيامنفصلة انفصالا تاما عنالامبراطورية العثمانية بعد ان تتنازل عليها الحكومة التركية بصورة رسمية ٠

وتتابعت الاعمال والمناورات الدبلوماسية تسير بسرعة نحو تحقيـــق رغبات ايطاليا بما كانت تهيء لها من فرص متعددة اهمها تشبث تركيـــا بالصلح واصرارها على طلبه والسعى وراء تحقيقه بأى ثمن ولو على حساب كرامتها كدولة عظيمة كان لها وزنها حتى ذلك الوقت ، الشيء الذى شجع ايطاليا على التمادى فى مطالبها وجعلها تعامل تركيا بكبرياء واستعلاء وتملى عليها شروط الغالب للمغلوب ٠

وفى يوم ٢٥ـ١٠ـ١٩١١ بلغ « اهرينتال » وزير خارجية النمســـا الحكومة الايطالية بانه اتفق مع بريطانيا وروسيا على عقد اجتماع لتبـــادل وجهات النظر لايجاد حل للقضية الليبية ، ويبدو ـ على حد تعبير «جوليتى» ـ ان بريطانيا وروسيا كانتا موافقتين ، وحيث ان ايطاليا لم تعرف مـــدى نتائج الاجتماع المقترح وقفت منه موقف التحفظ والحذر ٠

ولم يطل انتظارها اذ ان وكيل وزارة خارجية المانيا « زيمـــــــرمان » (Zimmermann) اخبر سفير ايطاليا بان اقتراحات النمسا قد قبلت بحماس وتأييد من بريطانيا وروسيا ٠

وشرح « زيمرمان » بان تلك الاقتراحات تتلخص فى ان تقنع ايطاليا بان تقتصر سيادتها على مقاطعة طرابلس فقط ٠

هذا وقال « زيمرمان » انه يعتقد ان بريطانيا تسعى لاستعادة نفوذها فى اسطنبول رامية من وراء ذلك الى الاحتفاظ ببرقة لنفسها رغبة منها فـــــى المحافظة على مصالحها فى مصر ، واشار الى تخوفه من ان يضغط المسلمون فى مصر والهند وفى بلدان اخرى على بريطانيا فتقوم باتخاذ اجراء حاســم لحماية برقة او ربما ليبيا كلها ، وفى تلك الحالة لايبقى امام ايطاليــا الا التسليم بالامر الواقع ٠

وبعد هذه المقدمة نصح « زيمرمان» الحكومة الايطالية بان لا تشــط فى مطالبها ولاتبالغ فى تعنتها وتعمل على اتمام اجراءات عقد الصلح مع تركيا قبل ان تضيع الفرصة ٠

ونظرا لان « جوليتى » لم يكن يؤمن باخلاص المانيا ويشك فى نواياها خصوصا وانه يعلم ان « مارشال » سفير المانيا فى اسطنبول ذلك السياسى الخطير ، جعل بلاده تجنح الى تأييد تركيا ، بادر بالاستفسار من ســفيره فى لندن عن صحة مزاعم وكيل وزارة خارجية المانيا ، وجاءه الرد يؤكد ان بريطانيا لاتزال عند وعدها وان وزير خارجيتها « قرى » قد اكد عدم صحة تلك المزاعم ، وروى السفير الايطالى اقوال « قرى » كما يلى :

«لقد اجاب «قرى» بدقة متناهية واعلن أنه رد على الحاح الســـــفارة التركية بان اية محاولة للوساطة التى لاترتكز على أسس السيادة التامــة ستكون غير مجدية »

« Il Grey rispose con grande precisione dichiarando che alle pressioni dell'Ambasciata turca egli aveva sempre risposto che qualunque tentativo di mediazione, che non avesse per base la nostra assoluta sovranità, riuscirebbe vano. »

وهكذا اتضح « لجوليتى » ان المانيا كانت ترمى من وراء تلك المناورة الماكرة الى انزال الوقيعة بين ايطاليا وبريطانيا بحيث تستطيع تأدية خدمة لصديقتها تركيا وبهذا لاتخسر المركز الممتاز الذى اكتسبته بفضل مساعى سفيرها « مارشال » وفى هذا الصدد يقول جوليتى ·

وهكذا فندت همزة « زيمرمان » الكاذبة وتبين انها محاولة لخلق فتنة لضرتنا وتدل على شعور عدم الثقة المتبادل بين انجلترا والمانيا »

« L'insinuazione dello Zimmermann era così pienamente smentita ma essa più che un tentativo d'intrigo a nostro danno rappresentava lo stato di diffidenza che dominava fra l'Inghilterra e la Germania. »

ولم يكن سوء النية وشعور عدم الثقة القائمة بين بريطانيا والمانيا هو الوحيد بل كان هنالك شعور اكثر توغلا فى سوء النية وعدم الثقة بين روسيا من جهة والنمسا من الجهة الاخرى ·

وتعتقد روسيا ــ كما قال سفيرها فى باريس لسفير ايطاليا ــ ان اقتراح « هرينتال » فيه الشىء الكثير من الغدر والخداع اذ يضع فى موقف حرج كل دولة تقف الى جانب ايطاليا فى نزاعها مع تركيا ·

وحاول « زيمرمان » ان يوقع أيطاليا فى شرك خدعة اخرى وذلك بزعمه ان روسيا هى التى تلعب دورا رئيسيا لترجيح كفة تركيا على ايطاليا وذلك لقاء امتيازات ستحصل عليها من الحكومة التركية فى المضائق التى تهمها كثيرا ·

ولكن « جوليتى » لم يأبه بهذا التحذير بعد ان علم من سفيره ان زعم « زيمرمان » لايستند على اساس من الصحة ·

تحية الحديد والنار ...

وحيث ان رد الحكومة التركية على انذار الحكومة الايطالية كان ضعيفا كله خضوع واسترحام ، مما يوحى بصورة واضحة جلية ان تركيا العظيمة فى الماضى أصبحت ضعيفة منحلة منهارة تركع امام عدوها لتستدر عطفه ورحمته فى ذلة وخنوع واستخذاء بادر «جوليتى» بانتهاز الفرصة الذهبية واعلن الحرب عليها فورا ، وامر قواته بان تبدأ الغزو ، وبذلك حقق امنية طالما راودته فى احلامه ٠

وصدرت الاوامر الى الاسطول الايطالى ، الذى كانت قطعه تتجول على طول السواحل الليبية منذ يوم ١٧ـ٩ـ١٩١١ بان يتوجه فورا الى طرابلس وينتظر الاوامر ٠

وفى صبيحة يوم ١ـ ١٠ ـ ١٩١١ فوجىء سكان مدينة طرابلس بوجود البوارج والمدمرات الايطالية على مقربة من الشاطىء وتعجبوا لذلك الامر لانهم تعودوا ان يروها من بعيد تجوب المياه الاقليمية ، ولم يفهموا المغزى الحقيقى لوجود ذلك الاسطول راسيا امام المدينة . وفسره البعض بان الايطاليين جاءوا لينقلوا رعاياهم ، وقد ساهم اليهود « المتجنسون » بالجنسية الايطالية مساهمة كبيرة فى انتشار هذه الاشاعة الكاذبة ٠

ولكن فى فجر يوم ٤ـ١٠ـ١٩١١ فهم الليبيون حقيقة الامر عندما استيقظوا على اصوات انفجارات القنابل المرعبة التى كانت تصبها مدافع تلك البوارج والمدرعات على مدينتهم لتدكها دكا ٠

واستمر القصف عدة ساعات ، وهرع السكان الى خارج المدينة طالبين النجاة وفوجئوا برؤية القوات التركية القليلة قد سبقتهم فى الفرار ٠

ولم ترد حصون المدينة على تحية الحديد والنار التى وجهها اليهـــــــا الأسطول الايطالى بل تهدمت وتناثرت اجزاؤها وكأنها « قلل من الفخار » على حد تعبير مراسل جريدة « المنبر » (Tribuna) وذلك لسـبب بسيط جدا هو أنها كانت قديمة جدا ومتداعية الاركان ومدافعها القليلة لـم تكن صالحة للاستعمال لتقدمها واهمالها من مدة غير قصيرة ·

وفى الوقت الذى بدأ فيه الهجوم على طرابلس بدأ هجوم مماثل عـــلى طبرق ، اذ فوجىء سكان تلك المدينة الصغيرة فجـر يوم ٤ـ١٠ـ١٩١١ ، بالاسطول الايطالى يقذف منازلهم بالقنابل الثقيلة التى كانت تحمل معهـا الموت والخراب والدمار ·

والغريب ان الهجوم على طبرق لم يكن مقررا فى الخطة العســـكرية المرسومة ، ولايعلم عنه القادة العسكريون شيئا الا عند صدور الامـــر بتنفيـــذه ·

وعلى هذا الاساس يظهر ان احتلال طبرق كان صادرا عن امر مـــن « جوليتى » رأسا لاسباب سياسية محضة فسرها هو بقوله :

« فى يوم ٤ اكتوبر احتل اسطولنا طبرق بامرى لانه كان يهمنى فـــى فى الدرجة الاولى ان اضمن منذ البداية الاستيلاء على ذلك الخليج الهام لكى لايكون هنالك مجال للاسباب او الاعذار ـ التى تهىءظروفها الحرب بسهولة ـ لاحتلال ليبيا من قبل مصر نظرا لقرب حدودها منها ، تلك الحـــدود التى هى غير مبينة بصورة واضحة ، كما اننا نريد ان لايستغل خليج طبـــرق الفسيح فى تهريب الاسلحة والمسلحين الى برقة ·

« Il giorno 4 la nostra flotta occupò Tobruk, per ordine mio, perchè mi premeva di assicurarmi quella importante baia sino dal principio, e non dare ragioni o pretesti che la guerra poteva focilmente fornire, data la vicinanza della frontiera non bene definita per una occupazione egiziana. Volevamo pure evitare che, con la sua comoda baia, Tobruk potesse essere usata per contrabbando d'armi e d'armati nella Cirenaica.

ومن هذه الخطة الجهنمية التى نفذها « جوليتى » عن حكمـــة وخبث ، يتضح انه كان يرمى الى ضرب عصفورين بحجر واحد ، ورغم انه لم يفصح صراحة عن اهدافه الا انها تكاد تكون واضحة وهى :

اولا : ان يقطع الطريق امام مطامع بريطانيا فى احتلال برقة ولكنهادعى ان احتياطه هذا كان خوفا من مصر ، التى كان فى الحقيقة مطمئنا كـــل الاطمئنان من ناحية المسئولين فيها ·

ثانيا : كان اخشى مايخشاه ان يتمكن السنوسيون من الحصول عـــلى اسلحة ومسلحين من الشعب المصرى والبلدان العربية الاخرى حيث يوجد لهم انصار كثيرون ·

وفى ضحى يوم ٤ـ١٠ـ١٩١١ بعد أن ضربت مدافع الاسطول الايطـالى مدينة طرابلس طوال ثمانية ساعات بدأ نزول القوات على الارض ، وتـــم احتلال المدينة بسهولة وبدون ادنى مقاومة لان السكان العرب والجنـــــود الاتراك كانوا قد تركوها ، ولم يبق فيها الا الجاليات الاجنبيةواليهود الذين تجمعوا فى امكنة معينة كان متفقا على عدم ضربها بالقنابل ·

وقد قاد حملة النزول امير البحر « كـــــانى » (Cagni) الذى سيطر على المدينة بسرعة ولما اطمأن الى عدم وجود اية قوات عربية اوتركية فى جميع انحائها ، امر بقية القوات بالنزول ·

ولما تم الاحتلال نهائيا اصدر « جوليتى » امره بتعيين امير البحر «بوريا ريتشى » (Borea Ricci) واليا على المدينة

وفور ان تولى « بوريا ريتشى » سلطاته مساء يوم ٤ـ١٠ـ١٩١١ اصـــدر بلاغا موجها الى السكان الليبيين يطلب منهم فيه اعلان الولاء لايطالياوتسليم اسلحتهم فورا ·

وعلى اثر ذلك البلاغ استسلم بعض السكان العرب واعربوا عن شـــعور الصداقة لايطاليا ، كما ادعى « بوريا ريتشى » فى تقريره ، ولكنه اكد ان الذين استسلموا كانوا كلهم من الذين كانت لهم علاقات بالايطـــاليين ، والحقيقة ان السكان العرب الذين خضعوا كانوا قلة من الانتهازيين الذين اغتروا بوعود وتسويلات العملاء وارباب المنافع والاغراض الدنيئة ·

وقد وصف « بوريا ريتشى » حالة الاستسلام فى طرابلس بأنها بين بين ، حيث قال :

« وجرت امور التسليم بين بين ، ان عرب المدينة الذين كانت لهم علاقة بنا قبل اكثرهم الوضع الجديد ، ولكن الاخرين انسحبوا خارج المدينة ليشكلوا فرقة عددها لايستهان به وتتمتع بروح حربية عالية ولكنها ينقصها السلاح والتنظيم »

« Le cose andarono metà a metà, gli arabi della città che erano a contatto con noi, in buona parte accettarono la nuova situazione, ma gli altri si ritirarono fuori. I quali poterono contare subito un nucleo di forze numericamente abbastanza rispettabile e bellicoso se pure deficiente di mezzi e di organizzazione. »

اما فى طبرق فان القوات الايطالية الغازية تمكنت بعد معركة صغيرة تبودل فيها اطلاق النار وكانت فيها الغلبة للايطاليين لان مدافع الاسطول كانت تحول دون وصول نجدات للمحاربين العرب القليلين الذين تصدوا للغزاة دفاعا عن بلادهم ، ولكنهم اضطروا للانسحاب بعد ان رأوا عدم جدوى مقاومتهم ضد قوات تفوقهم مئات المرات فى العدة والعدد ، وتم انسحابهم بعد ان سقط منهم بعض الشهداء .

وفى يوم ١٠-١٠-١٩١١ استعرض ملك ايطاليا « فيكتور عمانويل » فى نابولى « القوات الايطالية المخصصة لبقية الحملة على ليبيا واتجهت القوات تحملها قافلة تضم ثلاثة وعشرين باخرة ، وفى طريقها انضمت اليها قافلة اخرى تتألف من تسعة بواخر ابحرت من « باليرمو » (Palermo)
هذا كما كانت ترافق هذه البواخر التى تحمل الجنود تسعة بواخر اخرى تحمل الاسلحة والمعدات والمؤن وباخرتان لنقل الجرحى وباخرتان مستشفى وبواخر اخرى احتياطية .

وفى نفس اليوم ابحرت من ميناء « كاتانيا » (Catania) اثناعشر باخرة تحمل القوات الاحتياطية .

ونزلت القوات يوم ١١-١٠-١٩١١ فى ميناء طرابلس بدون ان تتعرض لاية مقاومة وفور نزولها قامت بحملة شديدة على المحاربين العرب وذلك

لتنتزع منهم « ابار ابومليانه » التى كانت ضرورية لتزويد القوات الايطالية الغازية بالمياه الصالحة للشرب وتمكنت من الاستيلاء عليها بعد معركـــة طاحنـــــة .

وفى يوم ٢٢ – ١٠ – ١٩١١ قام العرب والاتراك بهجوم عنيف على قوات الايطاليين واستطاعوا أن يفتحوا لهم ثغرة فى خطوطهم ويدخلوا المدينـة ، ولكن القوات الايطالية بقيادة الجنرال « كانيفا » (Caneva) تصـدت لهم ، وبعد معركة كبيرة دارت رحاها عدة ساعات فى « عين زاره » تمكن الايطاليون لكثرة عددهم ولتدخل مدفعية اسطولهم ان يتغلبوا على العـرب والاتراك ويرغموهم على الانسحاب .

وفى يوم ١٣ – ١٠ – ١٩١١ قصفت البوارج مدينة درنة واحتلتها بعد معركة حامية لم تدم طويلا لتفوق الغزاة ، وفى يوم ١٨–١٠–١٩١١ اتجه الاسطول الى « الخمس » وتم احتلالها فى نفس اليوم ، وفى يوم ٢٠–١٠–١٩١١ ضرب الاسطول بنغازى وتم احتلالها هى الاخرى فى نفس اليوم بعد معركة لم تدم طويلا لان المحاربين فضلوا الانسحاب لينظموا خطوط دفاع قوية بعد ان تبين لهم ان المقاومة فى بنغازى لاتجدى نفعا لانهم سيكونون فيها هدفا سهلا لمدفعية الاسطول .



مشهد لنزول القوات الايطالية فى بنغازى بريشة أ . بلترامى

نداء سانح ...

وفى الوقت الذى كانت تدور فيه رحى المفاوضات والمناورات السياسية والدبلوماسية حول محور السيطرة على ليبيا وفرض السيادة الايطاليـــة عليها عنوة وظلما وعدوانا ، بموافقة بل بتأييد اكبر الدول الاوربية ،كان « جوليتى » يبعث الاوامر والتعليمات الى الجنرال « كانيفا » (Canera) القائد العام لقواته المعتدية الغازية ، يستحثه ويستعجله فى اتمام الاحتلال بكل سرعة ، وكلما وصله رد يشير وينصح بالتريث والانتظار حتى تحين الفرصة السانحة كان يثور ويغضب ويتهدد ويتوعد ، ويبعث اوامر جديدة تقضى بمضاعفة العمليات والجهود العسكرية وبتكرار الهجومات حتى يتـم احتلال اكبر جزء من ليبيا وفى اقرب وقت ممكن وذلك « بقصد ان يظهـر للاتراك والسنوسيين عدم جدوى اية مقاومة » .

«allo scopo di dimostrare sempre più ai turchi ed ai Senussiti la futilità di qualunque resistenza.»

وحاول « كانيفا » تنفيذ الاوامر وبذل جميع مافى وسعه فى ســــبيل تحقيق رغبات « جوليتى » ولكنه فى كل مرة يحاول دفع جنـــــوده الى التوسع كان يغير فكرته بسرعة بعد ان اكتووا بلظى مقاومة العـــــرب والاتراك ، فيقرر تأجيل عملياته الى ان تحين الفرصة المناسبة .

وبقيت الحالة فى جميع انحاء ليبيا على ماكانت عليه ــ منذ الايام الاولى من الغزو ــ فى طرابلس وبنغازى ، وجميع المدن الاخرى : الايطاليـــون الغزاة قابعون داخل اسوار المدن ووراء الحصون التى شيدوها والمدافـــع والرشاشات التى نصبوها ، لايجرأون على الخروج منها ، والعرب والاتراك

خارج المدن يحاصرونها ويتربصون بالاعداء ولكن لايجرأون على اقتحام تلك الاسوار لان اسلحتهم القديمة لاتمكنهم من مجابهة الاسلحة الحديثة من مدافع ورشاشات .
ولكن « جوليتى » لم يقدر الاوضاع التى كانت فيها قواته العدوانية وكان يصر ويلح اكثر فاكثر على الجنرال « كانيفا » ويطلب منه توسيع رقعة الاراضى المحتلة وفى اقرب وقت ممكن ومهما كان الثمن .

واستاء « كانيفا » من تصرفات رئيس وزارة بلاده وبعث اليه رسالة ، شديدة اللهجة اوضح له فيها بانه ـ اى كانيفا ـ هو القائد العام ، وهو الذى يعيش فى ميدان المعركة ولذلك فهو ادرى من غيره بما يجب عمله او اتخاذه من اجراءات ، كما انه هو المسئول الاول عن نجاح او فشل الحملة لذلك فانه يرى ان مسئولياته الكبيرة لاتسمح له بان ينفذ اوامر تصدر اليه عن بعد وهى لاتتفق مع ظروف الحالة الراهنة فى ميدان المعركة ولاتتمشى مع واقعها .

وحاول « كانيفا » ان يرغم العرب الذين يحاصرون قواته خارج المدن باستعمال العنف والقسوة ضد الليبيين الموجودين تحت يده ، ومنح جنوده ثلاثة أيام «كارتا بيانكا» (Carat bianca) اى ـ ورقة بيضاء ـ اى مامعناه ان الجنود لايعاقبون على جميع التصرفات التى يقومون بها ولوكانت جرائم قتل ونهب وسلب وما شابهها وذلك اعتقادا منه أن ذلك سيؤدى الى استسلام اخوانهم المحاربين .

ولما راى ان الوحشية والقسوة والعنف لم تثمر النتيجة المطلوبة بل ادت الى العكس اذا اتضح له ان المقاومة قد زادت قوة وعنفا ، عمد الى استعمال اسلحة الاغراء والترغيب والتغرير لكى يصل بها الى النتيجة التى فشل فى تحقيقها باسلحة العنف والقسوة والوحشية ووجه نداء الى المجاهدين العرب ، هذا نصه :

« ماذا يمنعكم من الانضمام الينا . الا تهمكم الصلاة فى المساجد الا تهمكم الحياة الهنيئة فى منازلكم مع عائلاتكم . الايهمكم ان ترعوا مواشيكم . ألا يهمكم أن تمارسوا تجارتكم فى أمان . نحن نضمن لكم كل ذلك .

نحن متدينين ومن أهل الكتاب . نحن احرار وبلادنا ايطاليا دولة عظيمة ان ايطاليا العظيمة أصبحت بالنسبة لكم بمثـــابة الاب بعد أن أخذت أمكم وهى طرابلس الغرب .

هلموا الينا . تعالوا وعليكم الامان . اننا نؤكد لكم انه ليس فينا من يؤذيكم اويسىء اليكم او يلحق بكم اية مضرة ، انسوا الماضى وتعـــالوا بســـرعة .

هذا ونفيدكم ان حكومة ايطاليا العظيمة ستكافىء كل من يسلم نفســه واسلحته ـ بندقيته وذخيرتها ـ بمبلغ عشرين فرنكا وتحسن اليه بكيس من القمح او الشعير وذلك حسب رغبته .

ان ايطاليا الدولة العظيمة تتعهد لكم بانها ستحترم شعائركم الدينيـة وان تبقى على الصفة التى كان يتمتع بها رؤساؤكم الدينيون كما انهـــا ستمنحهم رواتب شهرية لتمكنهم من الاستمرار فى مهماتهم الدينية كمـــا ستقدر زعماءكم السياسيين وتخصص لهم مخصصات مالية .

هذا عهد من ايطاليا العظيمة امام الله . والله واحد سبحانه وتعـالى . فادعوه معنا ان ينير عقولكم ويهديكم الى طريق الحق والى مافيه نجاتـــكم وخلاصكم » .

طرابلس ١٥ـ١ـ١٩١٢

القائد العام لقوات الاحتلال فى طرابلس وبرقة
الجنرال كارلو كانيفا

خلاف بين مجرمين ...

وبينما كان الجنرال «كانيفا» ينتظر نتائج ندائه فيحرقة ولهفة ـ كان ـ « جوليتى » يكاد يتميز من الغيظ على قائد قواته الغازية المعتدية ، وبعث اليه برد على رسالته التى اعتبرها غير لائقة ولا تتواءم مع أصول العلاقة التى يجب أن تسود بين رئيس حكومة واحد قواد جيوش بلاده .

وعلى اثر ذلك نشأ خلاف في وجهات النظر بين المجرمين ، المجرم السياسى « جوليتى » والمجرم العسكرى « كانيفا » وكاد يتطور الى ازمة لولا ان « جوليتى » تفادى الصدام بينه وبين « كانيفا » وفضل ان يسلك طريق اللين والمسايرة والمجاراة فبعث اليه رسالةرقيقة بدعوهفيها للحضور الى روما للتشاور معه ، على ان يتم ذلك متى اراد وسمحت له ظروفه ، ولكن هذا الاخير اعتذر عن الحضور الى روما لمقابلة رئيس الوزراء بحجة العمليات العسكرية التى تتطلب حضوره فى ميدان المعركة وارسل العقيد « جاردينو » (Tenente Col. Giardino) الى روما ليشرح «لجوليتى » نيابة عنه الاسباب الحقيقية التى تعرقل العمليات العسكرية وتجعلها تتعثر وتتأخر

واجتمع « جوليتى بالعقيد » جاردينو الذى شرح له الاوضاع فى ليبيا شرحا وافيا طبقا لوجهة نظر الجنرال « كانيفا » وكان الشرح واضحا منطقيا حتى اقتنع به « جوليتى » وقال فى ذلك مايلى :

«لقد شرح لى «جاردينو» بوضوح تام الاوضاع العسكرية وصعوبات العمليات بشكل جعلنى اقتنع ان الانتقادات التى كانت توجه لاعماله «اى كانيفا » كانت لامبرر لها »

« mi spiego con grande chiarezza tale situazione militare e la difficoltà di azioni, tanto che io fui persuaso che molte delle critiche che si rivolgevano alla sua opera non erano giustificate. »

وليتفادى « جوليتى » تطور ذلك الخلاف بينه وبين « كانيفا » بشكل يؤثر على سير العمليات الحربية التى يهمه نجاحها فى المرتبة الاولى ، ولكى لاتتسع هوة النزاع بينهما فيؤدى ذلك حتما الى بعثرة القوى وتشتيت الجهود ، مما تنتج عنه بطبيعة الحال ارتباكات ومشكلات قد تستغلها المعارضة لاسقاط الحكومة بعث رسالة الى « كانيفا » مع رسوله «جاردينو » ضمنها جميع معانى اللطف وعبر فيها له عن مشاعر الود والصداقة واعرب له فيها عن اعتذاره عما بدر منه ، تحت قناع المجاملة وحسن النية اذ جاء فيها انه لاينوى بأية حال التدخل فى الشئون العسكرية • وانه يترك للقائد « كانيفا » حرية التصرف وتتلخص معانى تلك الرسالة فيما يرويه « جوليتى » نفسه اذ يقول :

« لقد اوضحت للجنرال «كانيفا» اننى لا أقصد أن أصدر اليه الاوامر وأن أدير من مكتبى العمليات العسكرية التى اترك له فيها جميع مسئوليات حرية التقدير والتصرف» •

«avevo messo in chiaro che non intendevo affatto impartirgli ordini e di dirigere dal mio gabinetto le operazioni militari, per le quali gli lasciavo con tutte le responsbilità l'intera libertà di giudizio e di azione. »

وانتظر « كانيفا » عبثا ان يجنى ثمرات ندائه ، وطال انتظاره واثر ذلك فى نفسيته تأثيرا عميقا جعله يتصرف تصرفات فيها من الهوج والغباء الشىء الكثير ، وذلك ليغطى عجزه عسكريا وفشله سياسيا ، وكان يتعجب لماذا لم يلب العرب نداءه الم يعرض عليهم عروضا سخية مغرية ويتساءل فى نفسه عن الذى يريدونه بعد ان تكرم بمنحهم الشىء الكثير •

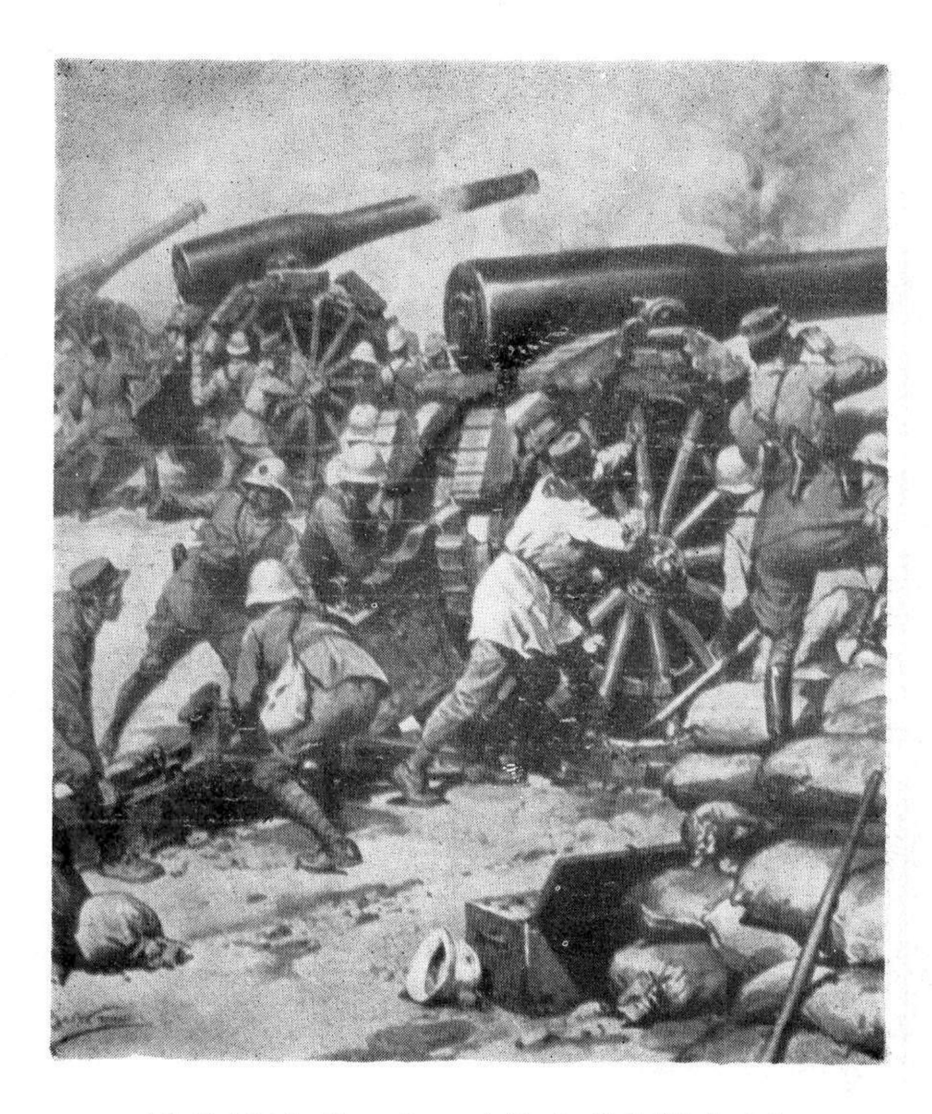
ولكن يظهر انه غاب عن ذهن «كانيفا» السفاح ان الليبيين سواء فى طرابلس او بنغازى او فى اى مكان اخر من ليبيا قد درسوا نداءاته

وفحصوها وتبين لهم ماكانت تنطوى عليه من غدر ومكر وخداع وسؤ نية هذا من جهة كما ان الليبيين لم يرضوا ان يضعوا حريتهم موضعمساومات تباع بالمال او باكياس من القمح او الشعير من جهة اخرى .

واذا وضع ذلك « النداء » الموجه الى عرب طـــــرابلس ــ والتى كانت النداءات الاخرى الموجهة الى العرب فى بنغازى وغيرها من المدن الليبيـــة لاتختلف عنه فى النص والجوهر ــ تحت مجهر الفحص والتدقيق اتضـح بجلاء انه ــ اى النداء ــ يرتكز على الخداع والمكر والتهـــديد والزور والكذب وفى الوقت نفسه يدل دلالة لاتحتاج الى ايضاح على سذاجة التفـــــكير وسخافة التعبير .

تظهر علامات الخداع فى ذلك الترغيب بالمكافات وبالوعود بالامـــــن والحماية من كل ضر واذى ، كما يكمن المكر وراء تلك الوعود المعســـولة بتخصيص الرواتب للزعماء الدينيين والسياسيين وفى التعهد بحـــــرية ممارسة الشعائر الدينية ، ويطل التهديد برأسه البشعة من وراء صـــيغة الدعاء الواردة فى اخر النداء وهى « ان ينير عقولكم ويهديكم الى طـــريق الحق والى مافيه نجاتكم وخلاصكم » ومعنى ذلك بالتلميح الماكر المســـموم ان الذى لايسلم نفسه وسلاحه سوف لن يجد الى النجاة والخلاص سبيلا .

اما الكذب فانه يلف بردائه الاسود جميع ماانطوى عليه النداء مـــــن وعود ومغريات ، اذ ان الجنرال « كانيفا » فى الوقت الذى كان يقطع فيـــه الوعود جزافا بالامن والحماية وعدم الحاق الضرر والاساءة ، كانت جـــنوده ترتكب ابشع الجرائم واكثرها وحشية ضد العرب الذين شاء حظهم العاثر ان يبقوا فى المدن وفى الوقت الذى كان يعد فيه بحرية ممارسة الشـــعائر الدينية كان جنوده يستعملون المساجد اسطبلات للخيول . والدليل عـــلى ذلك ماكتبه بعض الصحفيين الاوربيين الذين كانوا يرافقون الحملة .



المدفعية الثقيلة تقصف المجاهدين فى درنة بقنابلها الفتاكة

«بريشة بلترامى»



عصابة مجرمين وسفاحين ...

جاء فى بعض ما كتبه المراسل الالمانى قوله « لم يفعل جيش مع عدوه من انواع الغدر والخيانة والوحشية مثل ما فعله الجيش الايطالى فى ليبيا • »

وكتب المراسل السويسرى : « ان كانيفا يستهين بالقوانين الحربية ويتنكر للمبادىء الانسانية اذ انه يامر بقتل العرب سواء قبض عليهم فى ميدان المعارك او انتزعهم من بيوتهم • »

أما المراسل الانجليزى فلم يحتمل أن يشهد تلك الفظائع الوحشية وثار على الاوضاع وكتب رسالة شديدة اللهجة الى الجنرال « كانيفا » جاء فيها قوله ـ اننى شاهدت الكثير من الجرائم المخجلة التى ارتكبها جنودكم ضد السكان العزل ، لقد قتلوا الشيوخ والنساء والاطفال وفتكوا بهم فى وحشية يندى لها جبين الانسانية وقد كنت آمل ان تتدخلوا وتضعوا حداً لتلك المجازر البشرية وحيث ان شيئا من ذلك لم يحصل فاننى اطلب العودة الى بلادى لاننى ارفض البقاء مع جيش لا يحق بأن يتشرف باسم جيش لانه عصابة من المجرمين السفاحين •

وعلى اثر ذلك امر « كانيفا » بطرده فورا •

هذا ولتصديق ماقاله الصحفيون تكفى الاشارةالى ما كتبه النائب البريطانى «ارنيست بنيث» (Ernest Bennet) فى كتابه «معالعثمانيينفىطرابلس» اذ يقول:

« ان جرائم الجنرال « كانيفا » الدموية ستبقى من الذكريات الاليمة فى نفوس العالم الاسلامى وستتناقلها الاجيال القادمة باشمئزاز وسخط ، وكان يليق بالايطاليين أن يصونوا تاريخهم العسكرى المزدان بقليل جدا من اكاليل الفوز والنصر • بعدم اقتراف تلك المذابح الوحشية واعمال الجبن • »

هذا كما يدل النداء على سذاجة تفكير الجنرال « كانيفا » وسطحية فهمه لحقيقة العرب اذ انه كان يعتقد انه لايهمم فى الدنيا الا ان يصلوا فى المساجد وان يرعوا ماشيتهم وان يمارسوا تجارتهم وان ياكلوا مايتكرم عليهم به من قمح أو شعير ، ونسى أو تناسى أن العرب يفضلون أن يصلوا احرارا فى الصحراء على الرمضاء وتحت اشعة الشمس المحرقة على ان يصلوا عبيدا فوق السجاد وفى ظل المساجد وانهم لا يضحون فى سبيل الحرية بالحيوانات والتجارة فحسب بل يضحون من أجلها بالدماء الطاهرة والمهج والارواح . أما اغراؤه لهم بالقمح والشعير فقد كان مبلغ السذاجة والغفلة والغباوة اذ انه كان يعتقد ان العرب يعيشون ليأكلوا بينما الحقيقية هي أنهم يأكلون ليعيشوا ليدافعوا عن وطنهم ضد كل غاصب ومعتد اثيم ..

وتظهر السخافة المضحكة رغم خطورة الموقف ـ فى ذلك التعبير المجوج فى صيغة النداء حيث يقول ان ايطاليا اصبحت بالنسبة لليبيين بمثابة الاب لانها احتلت بلادهم ..

ومما لاشك فيه ان تلك الصيغة فى التعبير السخيف العقيم مقتبسة من المثل العامى الذى يردده ذوو النفوس المريضة والضمائر الميتة من المتخاذلين الجبناء والذى يقول « اللى يأخذ أمنا بونا » ان الذى يتزوج أمهم هو ابوهم والذى عمل العملاء والخونة واليهود على استغلاله على اوسع نطاق فى تلك الفترة العصيبة لتثبيط العزائم وتحطيم الهمم الشامخة .

على أية حال لم يستجب الغرب لذلك النداء وبقى مهملا بما انطوى عليه من مكر وخداع وتهديد وكذب وسذاجة وسخافة ولم يكن له أى أثر سوى الغيظ والحنق فى قلب «كانيفا» وأعوانه.



الجنرال كارلو كانيفا أول وال عام ايطالى فى ليبيا

فرصة السيادة الايطالية ...

وخشى «جوليتى» ان تزيد المناورات السياسية والدبلوماسية وربما يرافقها ضغط او مساومات من بعض الدول التى لها مصالح واسعة او مطامع فى الامبراطورية العثمانية ونظرا لانه لا يريد باية حال قبول مبدأ الابقاء على سيادة السلطان فى ليبيا ولو اسميا لان ذلك سيكون سببا فى اثارة القلاقل والاضطرابات التى قد تكون نتيجتها وخيمة على السياسة الايطالية . كما ان حلا من هذا القبيل سيقلل كثيرا من هيبة السلطات الايطالية فى ليبيا ، لان العرب سيستمرون فى الاحتفاظ بولائهم للسلطان المسلم الشىء الذى سيكون مشجعا للزعماء السنوسيين فى بسط نفوذهم الروحى والدينى، الذى قديتطور نتيجة لتلك الاوضاع الى نفوذ سياسى سيسبب المتاعب لايطاليا ويجعل سلطاتها مشلولة. لان وضع شعب «متأخر» كالشعب الليبى فى وضع مائع تتجاذبه ثلاث سلطات قانونية لايطاليا . اسمية للسلطان،ودينية،روحية للزعماء السنوسيين. سيكون سببا فى تدهور الامور وافلات ازمة السلطة ويجعل من الصعب بل من المستحيل . على ايةحكومة ان تمارس سلطاتها .

هذا ويرى «جوليتى» فى ذلك الاقتراح خطرا اخر يمكن فى أنه متى اعترف بسيادة السلطان الاسمية سوف لن يكون فى الامكان منع العرب من انتخاب ممثلين عنهم فى برلمان اسطنبول .

ولهذه الاسباب مجتمعة التى كان « جوليتى » يعتبرها من الصعوبات التى تجلبها نصائح الاصـــدقاء وتدخل المحايدين ومؤامرات الاعداء عمد الى اتخاذ موقف حازم حاسم ازاء كل هذه المشاكل وذلك باستصدار مرسوم ملكى يوم ٤ نوفمبر ١٩١١ اى بعد شهر فقط من بدء الغزو . ينص على وضع ليبيا كلها تحت سيادة ملك ايطاليا وبذلك وضع الدول الاوروبيةامام الامر الواقع وقطع

الطريق امام تدخلاتها ووساطاتها المتعلقة بالابقاء على سيادة السلطان الاسمية
شمال افريقيا حاجز من دولة اوروبية ثالثة لا تكون قوية بحيث لا تسول لها
فى ليبيـــا ٠

وعلى اثر استصدار ذلك المرسوم تعرض « جوليتى » لهجوم شديد مــــن
المعارضين خصوصا الاشتراكيين الذين اتهموه بالعمل على اطالة مدة الحرب ٠
لان ذلك المرسوم السابق لاوانه سيجعل من الصعب جدا الوصول الى تسوية
سلمية او النجاح فى عقد معاهدة الصلح ٠

واكتفى « جوليتى » بان قال ردا على هجوم المعارضة ما يلى ــ

« من هو خارج الحكومة فى مثل هذه الحالات ٠ لا يعلم ما وراء الكواليس ولا
يرى اى سبب يدفع الى اتخاذ مثل هذه الاجراءات والحكومة من الناحية الاخرى
لا تستطيع الافصاح عن ذلك السبب ٠

« chi non è al governo in queste contingenze, non conoscendo i dietroscena non vede la ragione degli atti compiuti; viceversa il governo non può dirla. »

وكان هذا الرد على درجة من المكر والخداع جعلت المعارضــين يعتقدون
ان المرسوم كان بارادة ملكية وانه تفرضه مصلحة البلاد فوافقوا عليه ٠ وهكذا
تمكن «جوليتى» من التخلص من معارضتهم وابرز مرة أخرى انه سياسى بارع
يمسك زمام الامور بيد قوية ويسيطر على الموقف سيطرة تامة ٠

وعلى اثر صدور ذلك المرسوم الذى جاء فى الوقت المناسب ــ على حد تعبير
«جوليتى» ــ استمرت مفاوضات الصلح ولكن على أسس جديدة تستبعد أيــة
فكرة فى الابقاء على سيادة السلطان فى ليبيا مهما كان نوعها ٠ لانه ليس فى
الامكان وضع بلاد تحت سيادتين فى وقت واحد ٠

واضطرت الدول المهتمة بالقضية الليبية للتسليم بسيادة ايطاليا على ليبيا
على أساس الامر الواقع لانه اصبح من المتعذر عليها مطالبتها بالغاء مرسومهــا

الخاص بالسيادة «لا يمكن ان تمر بذهن احد ـ كما يقولجوليتى ـ فكرة تنازل ايطاليا على المرسوم الذى أعلنت بموجبه سيادتها ـ .»

« A nessuno può ormai passare per la mente che si potesse ottenere dall'Italia la rinunzia al decreto con cui la sovranità era stata proclamata.

وتطورت الامور بعد صدور المرسوم الخاص بفرض السيادة الايطالية على ليبيا واصبح موقف ايطاليا دقيقا جدا . اذ ان الدول الاوروبية رغمقبولها للامر الواقع كانت تنظر الى القضية بوجهات نظر فيها الكثير من الاختلاف والتباين وذلك لان كل دولة كانت لها مآرب تريد ان تحققها واوطار ترغب فى قضائها، كما أن لتنافس بين تلك الدول وتعارض مصالحها وتشكك بعضها فى البعض الاخر ، جعلها تتخذ مواقف مختلفة متناقضة، وعلى هذا الاساس كانت الحالة بعد شهر من ابتداء الغزو على ليبيا كما يلى :

١ـ بريطانا تدعى الوقوف على الحياد ولكنها كانت تؤيد ايطاليا خفية لعدة اسباب اهمها :ـ

أ» انها كانت ترغب فى ان يكون بين مصر والمستعمرات الفرنسية فـــى شمال أفريقيا حاجز من دولة اوروبية ثالثة لا تكون قوية بحيث لا تسول لها نفسها التفكير فى التوسع على حساب مصر .

ب » انقضاء على منافسة ايطاليا لها فى الشرق الادنى خصوصا فى العـــراق حيث ان تركيا عرضت عليها ان تمنحها امتيازات واسعة هناك ان هى تخلــت عن ليبيا ..

ج» ان الحرب بين ايطاليا وتركيا ستنهك قوى تركيا وتجعلها اكثر انصياعا لمنح انجلترا ما تريده من امتيازات فى الشرق العربى .

د» ان تاييدها لايطاليا لا يخلو من دوافع اخرى هى انها تريد ان تعرقـــل وتفشل جميع مساعى المانيا المبذولة لصالح تركيا ، لكى لا تحصل الحكومـــة الالمانية على امتيازات اخرى اكثر من السابقة والتى كانت تزاحم المصالـــح البريطانية خصوصا فى العراق وتشكل خطرا عليها .

٢- فرنسا تؤيد ايطاليا فى غزوها لليبيا سرا وعلانية وذلك بدوافع عاطفة الاخوة اللاتينية اولا · ولتسد الطريق امام مطامع بريطانيا فى ليبيا ·

٣- المانيا تؤيد تركيا وتبذل مساعيها لكى تنقذ من هيبتها ومركزها ما يمكن انقاذه وذلك لانها كانت تريد الاحتفاظ بها كحليفة تستغل مواردها الاقتصادية وتستثمر رؤوس الاموال الالمانية فى اراضيها الشاسعة · كما انها كانت ترغب فى الاستفادة منها كمخزن للطاقات البشرية من محاربين وعمال عند اللزوم ··

٤- النمسا - كانت تود ان تستغل النزاع التركى الايطالى فى مساوماتها للحصول على مطالب عديدة فى الامبراطورية العثمانية ، كما انه كان يهمها ان تكسر شوكة تركيا ولكن بشكل لا يؤدى الى انهيارها ، لذلك كانت تؤيد ايطاليا تاييدا مشروطا ··

٥- روسيا - كانت تشجع ايطاليا بالايعاز والايحاء والتحريض لكى تغزو تركيا ايضا لانها كانت تتمنى هزيمتها لكى تسنح لها فرصة حرية التصرف فى المضايق والسيطرة على الملاحة فيها ·

وعلى هذا الاساس وبدوافع سوء النية والغدر · تزعمت روسيا حملة الضغط على تركيا لكى ترغمها على قبول ما تمليه عليها ايطاليا من شروط · مهما كانت ظالمة ومجحفة ··

وقام وزير خارجيتها «سازونوف» بتقديم اقتراح الى الدول الاوروبية الاخرى وهو يتلخص فى النقاط التالية :

١- ان الدول الاوروبية تعترف ان الوصول الى احلال السلام بين ايطاليا وتركيا يعتبر من مصلحة اوروبا باجمعها ·

٢- وللوصول الى تلك الغاية وهى احلال السلام · يجب على الدول الاوروبية ان تقوم بخطوة جماعية لاقناع تركيا بان ضياع ليبيا اصبح امرا مفروغا منه ولارغامها على قبول الهدنة ···

« un passo collettivo per convincere la Turchia che la perdita della Libia era inevitabile, e per indurla ad accettare un armistizio. »

٣ـ وفى خلال مدة الهدنة المقترحة يجب على تركيا ان تسحب قواتهـــا العسكرية من ليبيا ٠

٤ـ على ابطاليا ان تدرس امكانية دفع مبلغ من المال لتركيا على سبيل التعويض

وعلى الرغم من فظاعة ذلك الاقتراح الذى فيه اجحاف كبير بحقوق تركيـا وتدخل صريح فى سياستها ٠ وتعد على سيادتها لانه يهدف الى ارغامها عنـوة على قبول شروط فى غير مصلحتها وتضر بسمعتها وكرامتها ٠ فانه كان موضع دراسة ومناقشات واخذ ورد بين الدول الاوروبية الكبرى ٠

وبادرت فرنسا باعلان قبولها لذلك الاقتراح وتاييدها له تاييدا تامـــا وتبرعت بأن تكون هى التى تتولى تقديمه الى الحكومة التركية باسم جميع الدول الاوروبية ٠٠

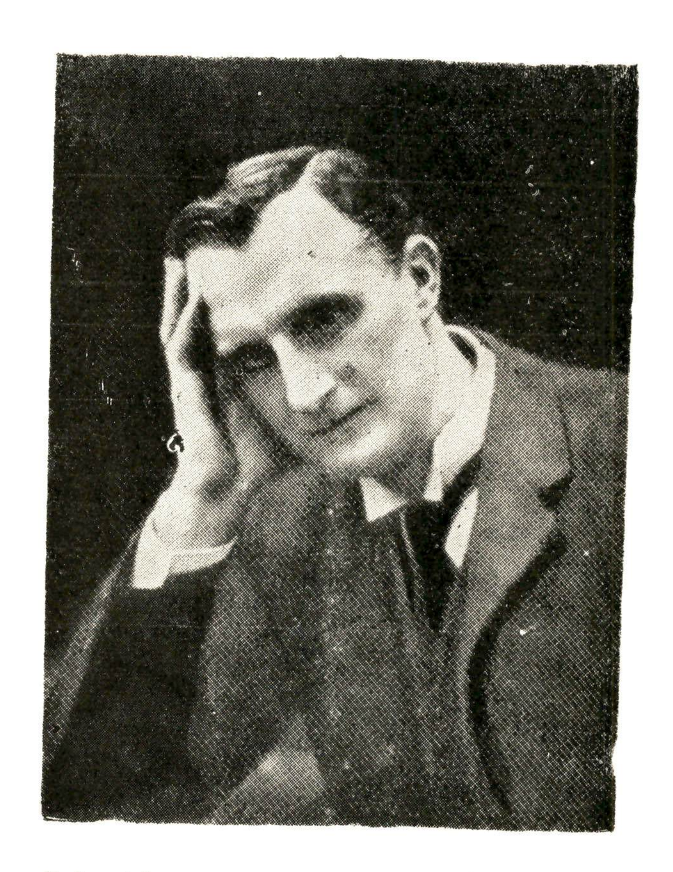
اما بريطانيا فانها اعترضت على ذلك الاقتراح بحجة انها ترى « ان موقف تركيا يبدو سلبيا ونظرا لتلك السلبية ترى بريطانيا ان الالحاح بحرارة مـن قبل الدول الاوروبية ياخذ صبغة الضغط التى لا تتفق مع التزامات الحياد ٠ »

« l'atteggiamento della Turchia gli pareva negativo nel qual caso una insistenza troppo viva dalle Potenze gli pareva avrebbe assunto il carattere di una pressione non in armonia cogli obblighi della neutralità. »

واصرت روسيا على موقفها بوجوب الضغط على تركيا وايدتها فرنسا فـــى ذلك الرأى الى أبعد الحدود ، وعملت الدولتان على اقناع بريطانيا الـتى كان يهمها بالدرجة الاولى وقوفها الى جانبهما ، ولكن وزير خارجية هذه الاخيــرة المستر « قرى » تقدم بحل وسط وهو ان تقوم الدول الاوروبية بخطواتـــها المقترحة فى عاصمتى الدولتين المتنازعتين روما واسطنبول ٠ بحيث لا يـــكون هنالك خروج عن معنى الحياد الصحيح ٠ وهنا تدخل « جوليتى » واعـــرب بواسطة سفير بلاده فى لندن للمستر « قرى » عن اسفه لعدم استطاعته قبول الاقتراح البريطانى لانه يشجع تركيا على الاستمرار فى مقاومتها اليائسة ٠

وبعد مناقشات طويلة بين « جوليتى» رئيس وزراء ايطاليا من جهة والمستر « قرى » وزير خارجية انجلترا من جهة اخرى عن طريق سفرائها • انتهى الامر الى حل وسط يرضى الطرفين وهو يتلخص فى ان تقوم حكومات اوروبا بخطوتها اولا فى روما وبعدئذ تتقدم باقتراحاتها الى اسطنبول •

وتنفيذا لهذا الاتفاق تم اجراء الخطوة الاولى من قبل الدول الاوروبية فى روما وقدمت ايطاليا شروطها للموافقة على عقد الصلح يوم ١٥ ـ٣ـ١٩١٢ م• وتمسكت فيها بسيادتها الكاملة الشاملة على ليبيا بجميع حدودها •



السير ادوارد قري، وزير خارجية بريطانيا العظمى

مدّ وجزر ...

وبقيت الحالة فى ليبيا بين المد والجزر ، والنشاط والركود ، الايطاليون داخل المدن يتحينون الفرصة للانقضاض على الليبيين والاتراك ليبعدوهم ويوسعوا مناطق احتلالهم، والليبيون والاتراك يحاصرون المدن وينتظرون فى لهفة الوقت المناسب لمهاجمة العدو داخل حصونه لطرده من المدن والالـــقاء به الى البحر ليرجع من حيث اتى ..

واشتدت وطأة الحصار على الايطاليين وبدأ القلق يطغى على «جوليتى» انه كان يتوقع ان تحرز قواته انتصارات حاسمة لكثرتها وتفوقها الساحـــق فى كل شىء.

ولما بلغ به اليأس اقصاه استدعى الجنرال « كانيفا» الى روما، وحضر هذا الاخير يوم ١٩١٢/٣/٧ وقابل رئيس الوزراء فى نفس اليوم.

وبعد بحث طويل وتبادل وجهات النظر اتفق المجرمان «جوليتى» و «كانيفا» على ضرورة احراز انتصارات حاسمة تقرب نهاية الحرب، ولتحقيق ذلك الغرض تقررت زيادة القوت العسكرية بنسبة النصف، مع زيادة عدد المدافع والرشاشات، لكى يصبح التغلب على المحاربين الليبيين امرا سهلا ويتم اخماد مقاومتهم فى اقرب وقت ممكن.

وشرح «جوليتى» للجنرال «كانيفا» الظروف السياسية القاسية التى توجد فيها ايطاليا وطلب منه ان يحقق احتلال اكبر رقعة من الارض الليبية فى اقرب وقت ممكن لان ذلك يساعده على كسب انتصارات كبيرة فى الميدان السياسى خصوصا وان مفاوضات الصلح لا تزال تتوقف المرة بعد الاخرى لتعاود السير فى طريق معوج بخطوات قصيرة متعثرة.

واقترح «كانيفا» ان يقوم بهجومات فى جميع الجهات التى احتلها على ان تكون خاطفة عنيفة لا اسر فيها، بل قتل للجميع بدون استثناء لا للجنس ولا للاعمار. وتكون هجومات ابادة وافناء تحطم مقاومة العرب والاتراك وتنزل فى قلوبهم الرعب والهلع وتثبط عزائمهم وتضعف نفوسهم وبالتالى ترغمهم على الاستسلام بدون قيد او شرط بعد ان يتضح لهم عدم جدوى مقاومتهم الانتحارية التى تؤدى بهم الى الموت والخراب والدمار.

ولم ينته مارس ١٩١٢ حتى كانت قوافل السفن الكبيرة تنزل عشرات الالاف من الجنود المدججين بالسلاح الحديث فى المدن الرئيسية على الساحل الليبى تعززها البوارج والمدمرات والطرادات.

ويبدو ان تركيا افاقت لغلطتها بتركها ليبيا بدون سلاح ولا ذخيرة وارسلت باخرة تحمل بعض الاسلحة ـ بنادق وذخيرة ـ ويقول المخبرون الايطاليون انها كانت تتراوح بين خمسة وعشرة الاف بندقية، ووصل معها انور بك الـــذى عين قائدا عاما للمقاومة فى ليبيا.

ولا يعلم حتى الان كيف استطاعت الباخرة التركية الصغيرة اختـــراق الحصار الذى كان يضربه الاسطول الايطالى على تحركات السفن التركية من بحر «ايجه» الى الساحل الليبى ولا شك فى انها كانت معجزة من عناية الخالق عز وجل.

ونظم «كانيفا» قواته التى اصبح عددها يزيد على (١٢٠) الفا، وفى نهاية يونيو ١٩١٢ اخذ يعد العدة للهجومات الحاسمة التى اتفق على القيام بها مـــع «جوليتى».

وفى يوم ١٩١٢/٧/٢ قامت قوات ضخمة تقلها عشرات السفن واتجهت، مخفورة بعدد من السفن الحربية، الى مصراتة، ووصلتها يوم ٤، وبـــادرت المدمرات التى كان يقودها امير البحر «بوريا رتشى» باطلاق نيران مدافعها على شواطىء البلاد واستمر القصف يوما وليلة، وفى ضحى يوم ٥ بدات القوات فى النزول الى الارض دون ان تعترضها اية مقاومة، اللهم الا طلقات متقطعة من آن الى آخر، وبعد الاستيلاء على قرية «قصر احمد» وهى الميناء وعلى الشواطـــئ المجاورة، زحفت قوات المشاة بقيادة الجنرال «كاميرانا» نحو مدينة مصراتـــة نفسها التى تبعد عن الشاطىء عشر كيلو مترات واحتلتها بعد معارك عنيفـــة يوم ١٩١٢/٧/٨.

وفى يوم ١٩١٢/٧/٢١ قام الكولونيل «فارا» (Fara) على رأس قوات ضخمة تعززها الخيالة والمدفعية بغزو غريان، واستطاع احتلالها بعد عدة معارك ضارية.

وفى يوم ٢٥-٧-١٩١٢ اتجهت قوات كبيرة بقيادة الجنرال «قاريوني» تحملها البواخر ونزلت على شاطىء زوارة واحتلتها بعد مقاومة بسيطة ، ثـــم وسعت رقعة احتلالها حتى وصلت الحدود التونسية.

وفى يوم ١٩١٢/٨/١٥ قامت القوات الايطالية المرابطة فى درنه بهجوم عنيف قاده الجنرال «رايسولى» (Reisoli) على المجاهدين الذين يحاصرون البلاد بغية فك الحصار وتوسيع الرقعة المحتلة، ودارت بين الفريقين معركـــة عنيفة استمرت يوما كاملا بدون انقطاع، كانت الغلبة فيها للمجاهدين واضطـر الايطاليون الى التقهقر والانسحاب الى حصونهم بعد ان تكبدوا خسائر فادحة.

وفى يوم ١٩١٢/٨/٢٢ قام الجنرال «كانيفا» نفسه بقيادة حملة قويـة لطرد العرب والاتراك الذين يحاصرون طرابلس واشتبك معهم فى معركة طاحنة عند «جنزور» اضطر بعدها الى الانسحاب.

وارسل «كانيفا» تقارير مفصلة ضافية عن المعارك التى خاضهـــا الى جوليتى وبالغ فى وصف الانتصارات المزعومة ، وسر «جوليتى» بادىء الامر ولكنه لما اطلع على كشوفات الخسائر فى الارواح والاسلحة والذخائر ارتـــاع وارتعدت فرائصه لفداحتها، حتى انه علق عليها فى حديث دار بينه وبين وزير خارجيته بقوله:ـ ان كل حفنة من تراب صحراء ليبيا ستكلف ايطاليا وزنهـا من الدماء البشرية والذهب.

وغضب «جوليتى» واتهم «كانيفا» بالرعونة والتسرع والارتجال وعـدم الخبرة فى الحروب الاستعمارية واستصدر امرا باعفائه من منصبه كقائد عـام للقوات المسلحة فى ليبيا وهكذا فصل «كانيفا» يوم ١٩١٢/٨/٣٠، وقوبل فى ايطاليا مقابلة القائد المهزوم.

وبعد التشاور مع القادة العسكريين قرر «جوليتى» فصل القيادة بيـــن طرابلس وبرقة وعلى هذا الاساس عين الجنرال «رانيى» (Ragni) قائدا عاما للقوات المسلحة فى طرابلس، والجنرال «بريكولا» (Bricola) قائدا عاما فى برقة.

السنوسيون وتوعية الشعب ...

وتتابعت المعارك وتلاحقت مع تتابعها علامات الفشل فى احراز النصر الحاسم بالسرعة التى كان يتوقعها «جوليتى» واعوانه ومنوا بخيبة امل كبيرة رغم تفوقهم على الليبيين والاتراك فى العدد والمعدات تفوقا ساحقا.

وفكر «جوليتى» ان المقاومة العربية ترجع فى اساسها الى عنصرين اساسيين، يجب القضاء عليهما بقوة وبسرعة.

العنصر الاول هو ما يقوم به الزعماء السنوسيون وانصارهم من نشاط ملحوظ فى توعية الشعب وتحريضه على القتال وتشجيعه على مواصلة المقاومة.

والعنصر الثانى هو تسرب بعض الاسلحة من تركيا عن طريق البحر.

وبعد استشارة القواد استقر رأى «جوليتى» على تنفيذ خطة محكمة للقضاء على العنصر الثانى وهو تسرب الاسلحة، الشىء الذى يسهل حتما انهيار المقاومة فى حالة افتقار الزعماء السنوسيين واعوانهم الى السلاح والذخيرة.

وتم الاتفاق بينه وبين وزير البحرية « ليوناردى كاتوليكا » (Leonardi Cattolica)على ان يقوم الاسطول الايطالى بفرض حصار شديد على بحر «ايجه» بحيث لا تتمكن السفن التركية من الاتصال بليبيا.

وصدرت الاوامر فورا الى الاسطول بان يتوجه الى بحر « ايجه » ليرغم الاسطول التركى على خوض معركة معه وليفرض مراقبة دقيقة على جميع الملاحة فى ذلك البحر وبالتالى يضرب حصارا محكما على تركيا.

وفى ١٩١٢/٢/٢٤ هاجم الاسطول الايطالى ميناء بيروت حيث كانت ترسو سفينتان من الاسطول العثمانى، وفاجاهما باطلاق نيران مدافعه عليهما داخل الميناء فغرقتا بعد ساعة من القصف المركز .

واحتجت النمسا على ذلك الاعتداء واتهمت ايطاليا بضرب مدينة مفتوحة وحملتها مسئولية الاضرار التى لحقت برعاياها.

اما فرنسا فقد عاتبت ايطاليا معاتبة رقيقة على تصرفها ذلك ونصحتهـــا بان تختار لها اهدافا تركية اخرى اكثر حساسية.

ولكن امراء البحر اوضحوا «لجوليتى» ان عمليات كهذه ستكون خطيرة جدا وغير مضمونة العواقب لبعد المسافة، واقترحوا احتلال بعض الجزر ولـــو لمدة مؤقتة لتكون مراكز تموين للاسطول.

واقتنع «جوليتى» بوجاهة رايهم، ونظرا لانه كان يريد ان يقرب الحرب من قلب تركيا نفسها ليفتح لها جبهة جديدة تشتت قواها وترعبها وتفكك اوصالها وبالتالى تعجل باستسلامها وتجعل تخليها نهائيا عن ليبيا، امرا محتوما وافق على الفكرة ونصح امراء البحر بان يعدوا له دراسة مفصلة عن الخطـــة ويبينوا له الجزر التى ينوون احتلالها، على ان تكون عملياتهم هذه ضربة قوية لتركيا «تفهمها انها هى ايضا، اذا اصرت على اطالة حرب تقـــررت نهايتها، ستعرض نفسها لاخطار اخرى خطيرة جدا » .

« per farle capire che essa pure, ostinandosi a prolungare la guerra la cui sorte era ormai decisa, si esponeva a nuovi a più gravi rischi. »

اقتراح غير نظيف ...

وتبين «لجوليتى» ان نقل الحرب الى بحر «ايجه» يستلزم استشارة الدول الاوربية لكى يضمن تأييدها ووقوفها الى صفه فى ذلك الاجراء العدوانى، واسفرت الاتصالات التى قام بها سفراؤه عن النتائج التالية :-

النمسا: اعلن «اهرينتال» وزير الخارجية ان حكومة بلاده لا يمكنها السكوت على قيام ايطاليا بعمليات حربية فى تركيا الاوربية لان ذلك يتعارض مع ما نصت عليه المادة السابعة من الحلف الثلاثى.

المانيا: لم تبد رأيها رسميا، ولكن سفيرها فى روما نصح وزير خارجية ايطاليا بصورة شخصية، للصداقة التى تربطهما ببعض، بان يقوم الاسطول الايطالى بتسديد ضربة قوية لتركيا فى «الدردنيل» لانه النقطة الحيوية بالنسبة لها.

فرنسا: ايدت ايطاليا فى فكرتها العدوانية تأييدا تاما واقترحت عليها بان يكون هجوم الاسطول الايطالى بمثابة ضربة قاضية تضطر تركيا على طلب الصلح وهى « جاثية على ركبتيها ».

روسيا: استدعى وزير خارجيتها «سازونوف» سفير ايطاليا «مليقارى» (Melegari) وابلغه موافقة روسيا وتمنياتها الطيبة لايطاليا بالتوفيق فى هجومها على تركيا فى عقر دارها «لكى تضع حدا لهوجها ورعونتها وتحطم غرورها وكبرياءها».

انجلترا: لم تبد اى رأى ووقفت موقفا سلبيا من الموضوع.

وفى الوقت الذى كانت تدور فيه مناقشات حادة -عن طريق السفراء- بين «سان جوليانو» وزير خارجية ايطاليا الكنت « برشتولد (Conte Berchtold»

الذى تولى وزارة خارجية النمسا بعد وفاة « اهرينتال» حول تفسير المـــادة السابعة من الحلف الثلاثى، كان امير البحر «تاهون دى ريفيل» (Tahon di Revel) يعد العدة لغزو بعض الجزر فى بحر «ايجه» ووقع اختياره عـلى جزيرتى «اسطامباليا» (Stampalia) و «ليمنو» (Lemno).

وفى يوم ١٩١٢/٤/٢٣ قام امير البحر «برسببيتيرو» (Presbitero) باحتلال جزيرة «اسطامباليا» بدون خسائر لان حاميتها استسلمت بدون مقاومة فاسرها الايطاليون وسيطروا على الجزيرة.

وفى يوم ١٩١٢/٤/٢٤ احتل امير البحر «كورسى» (Corsi) جـزر «سكاربانتو» (Scarpanto e Cos) و«كوس» واسر جميع افراد حامياتها الذين لم يبدوا اية مقاومة.

وبعد ان استتبت الامور للايطاليين فى الجزر التى احتلوها ولاحـــظ «جوليتى» ان الدولة الوحيدة التى تعارضه هى النمسا، تشجع وامر قواتـــه البحرية بان تحتل جزيرة «رودس» وهى اهم الجزر وبها قوات تركية كبيرة.

واستعد الاسطول الايطالى ونقل قوات هائلة من المشاة «والهدافين»معززة بالمدافع الثقيلة وفى يوم ١٩١٢/٥/٣ قام بهجوم على خليج «كاتيلا» (Catilla) واخذ يقصفه بقنابله مدة يومين وفى فجر اليوم الثالث نزلت القوات الايطاليـة فى جهتين ،جهة تولى قيادتها الجنرال «اميليو» (Ameglio) وجهة تـــولى قيادتها الجنرال «فيالى» (Viale) وتمت عمليات النزول بدون اراقة دماء لان القوات التركية قد انسحبت الى الدواخل، ورحب السكان بالايطاليين الغازين وساعدوهم على تتبع القوات التركية المنسحبة .

وفى يوم ١٩١٢/٥/٢٧ التحمت القوتان التركية، والايطالية فى معركـة عنيفة، دامت بضعة ساعات استسلمت بعدها الحامية التركية لانها وجـــدت نفسها مطوقة من قوات العدو فى «بسيتوس » (Psitos). .

وعلى اثر هذه الانتصارات المتتالية زادت اطماع الايطاليين فى غزو تركيا وكبرت امالهم فى تحطيمها، وقام امير البحر «ميللو» (Millo) مستعينا باحد الخونة الاتراك بمحاولة جريئة وتغلغل فى مضيق «الدردنيل» مسافـــة كبيرة على راس المدمرات وزوارق الطوربيد وظن انه نجح فى مغامرته الطائشة

وانه سيستطيع اغراق قطع الاسطول العثمانى وهى راسية فى قواعدها، ولكنه عندما وصل على مقربة من «شاناق» اطلقت عليه مدافع الحصون نيرانها بصورة قوية وطبقا لخطة مرسومة رسما دقيقا ومحكمة التدبير، فغرقت قطع كثيرة من الزوارق واصيبت المدمرات باضرار فادحة واضطر الى الانسحاب، وعندمـــا خرج من نطاق النيران صب جام غضبه على الخائن التركى واطلق عليه رصاصة فى اذنه اردته قتيلا وهكذا انزلت القدرة الالهية عقابها الصارم بالخائن الدنى.

وبعد تلك العمليات العدوانية بادرت تركيا باغلاق «الدردنيل» فى وجـه الملاحة الدولية، فبادرت روسيا بالاحتجاج عليها واعتبرت اغلاق «الدردنيــــل» خرقا صريحا للاتفاقيات المعقودة فى سنوات ١٨٤١ـ١٨٥٦ـ١٨٧١. وايدتهـا فرنسا فى ذلك الاحتجاج وطالبت من جهتها تركيا بفتح «الدردنيل».

اما بريطانيا فقد اقترح وزير خارجيتها المستر «قرى» ان تقوم الـــدول الاوربية بتقديم مذكرة جماعية تفرض على تركيا فتح الدردنيل وعلى ايطاليا عدم القيام بعمليات حربية فى تلك الجهة ، ورفضت روسيا الاقتراح ووصفته بانه « غير نظيف » واحتجت ايطاليا على بريطانيا وطلبت ان توجه الدول الاوربيـة احتجاجها الى تركيا لانها هى التى خرقت الاتفاقيات الدولية الخاصة بالدردنيل وان ترغمها على الاقلاع عن عادتها فى البحث عن حماية نفسها وراء بعض المصالح الاجنبيـــــة » .

« di lasciare il sistema abituale di cercare la protezione dietro qualche interesse forestiero. »



معركة على شاطئ بنغازي «بريشة مولينارى»



الأدريسي يرفض التوسط ...

ولم يكتف «جوليتي» بالمعارك التي تخوضها قـــواته في بحر « ايجه » وضد الليبيين والاتراك في ليبيا ، واخذ يبحث عن جبهة اخـــرى يمكنه ان يحارب فيها الاتراك ولكن بدون أن يتكبد خسائر في الارواح ، وسنحت الفرصة عندمـــا علـــم بثورة « لادريس » على الاتراك في عسير ، وســارع الى استغلال تلك الفرصة ، ولكنه احتار في الطريقة التي يستطيع بها الاتصال بذلك الثائر ، وتذكر ان له صديقا لا يتأخر في تقديم خدماته لايطاليا ، واتصل فورا بخديوى مصر ، الذى قام بالاتصالات اللازمة «بالادريسى» ونصحه بقبول المساعدة الايطالية ، وعمل على احضار مندوبين عن الثوار الى مصر ثم ارسلهم الى «مصوع» حيث تقابلوا مع مندوبى «جوليتى» ورفض مندوبو «الادريســى» قبول العرض الايطالى الخاص بانزال قوات ايطالية فى بلادهم بحجة مساعدتهم وقالوا انهم ثاروا ليخلصوا بلادهم من الظلم والاستعباد العثمانى ، وليس من المنطق أن يسلموها للاستعمار الايطالى ·

وتوقفت المفاوضات ، وتدخل « الخديوى » مرة أخرى وتوسط بيـــن الطرفين ، وتم الاتفاق بمساعيه وضغطه على أن تزود ايطاليا الثورة الادريسية بالاسلحة وبالخبراء فقط ، واشترط الثوار ان ترسل ايطاليا خبيرا واحدا أو اثنين على الاكثر ، على ان لا يتدخل الخبير أو الخبيران فى أى شىء غير فنى ·

وأصدر «جوليتى» أوامره بحيث يرسل الى عسير الرئيس «تشرينا فيرونى» Cap. (Cerina Ferroni) على أن ينضم اليه الملازم «روبيولو » (Ten. Rubiolo) الذى كان يعمل منذ مدة فى حقل التجسس طبعا وله خبرة واسعة فى تلك المناطق ·

«Tenente Rubiolo, che vi si trovara già da tempo ed aveva grande pratica di quei luoghi.»

وهكذا منحت ايطاليا «الادريسى» مبالغ طائلة من المال وأمدته بعشـــرة الاف بندقية ·

وبعد ذلك زودته بعدة بطاريات من المدفعية مصحوبة بالفنيين فى استعمال المدافع واتقان الرماية ٠

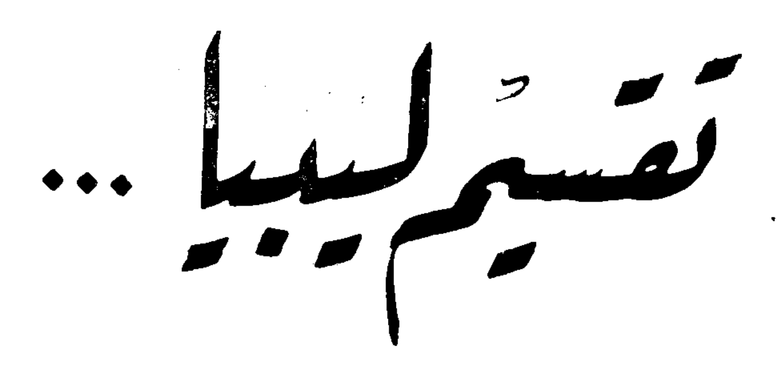
هذا ووضعت ايطاليا مدمرتين قرب ميناء « الحديدة» لتمنع وصول اية امدادات للاتراك عن طريق البحر ٠

ولما لاحظ «جوليتى» ان«الادريسى» أصبح صديقا لايطاليا ـحسب ادعائهـ طلب منه ان يستخدم نفوذه ووساطته على الزعماء السنوسيين بحيث يكفوا عن المقاومة فى ليبيا ويتحالفوا مع الايطاليين ، ووعده انه اذا ما نجح فى تلـــك المهمة سيعمل على مساعدته بالمال والسلاح ، والرجال عند الحاجة ، حتـــى يحتل الاراضى المقدسة ويصبح خليفة المسلمين ، ولكن الادريسى رفض بشمم واباء ذلك العرض المسموم وألقى بوعود «جوليتى» عرض الحائط ، ونشـــأ بينه وبين «الخديوى» سوء تفاهم لان هذا الاخير أراد أن يضغط عليه لتحقيق تلك الغاية الدنيئة السافلة ٠

وغضب «جوليتى» من الموقف الذى وقفه «الادريسى» وهدد بسحب المدفعية والخبراء ولكن تهديده لم يلق أذنا صاغية ، لان « الادريسى » أفهمه عن طريق «الخديوى» أنه قبل المساعدة على أساس انها غير مشروطة ، وأن على ايطـــاليا أن تسحب جنودها وخبراءها متى شاءت ٠

وتردد «جوليتى» فى تنفيذ تهديده لان الحرب فى البحر الاحمر كانـــت تهمه كثيرا ، لانها ستكون الشرارة التى تضرم نار ثورة العرب ضد الاتـــراك فى الجزيرة العربية ، وقرر التريث والانتظار ، ولكن «الادريسى» لم يمهلـــه اذ طرد الضابطين «فيرونى» «وروبيولو» أولا ثم الحقهما بجنود المدفعية ولكن بدون مدافع ولا اسلحـــــــة ٠

ومن هذه المناورة الفاشلة يتضح جليا مدى خوف «جوليتى» من الزعماء السنوسيين حتى انه اراد ان يغريهم بالوعود والاموال عن طريق زعماء البحـــر الاحمر بعد أن فشل فى محاولاته التى قام بها عملاؤه فى مصر والسودان وفى ليبيا نفســــــــهاـ ٠



تقسيم ليبيا ...

كانت ايطاليا تستغل احتجاجات الدول الاوربية الاخرى ، كالاحتجاج على ضرب بيروت بالقنابل ، واحتلال جزر « الدوديكانيز » وغلق «الدردنيــل » فى تأليب تلك الدول على تركيا وفى تحريضها ضدها ، بحجة انه اذا كانت الدول الاوربية ترغب فعلا فى عدم حدوث مضاعفات للقضية الليبية عليها ان تتفادى ذلك بالضغط على تركيا بحيث تقلع عن التفكير فى مقاومة لاطائــل من ورائها ٠

وحيث ان مفاوضات الصلح كانت تفتر مرة لتنشط بعد ذلك من جديد اصبحت الاقتراحات والعروض المختلفة ترد الى ايطاليا من دول عــديدة وبطرق شتى ٠

وفى اوائل يونيو ١٩١٢ ، نقل السفير الالمانى « مارشال » (Marshall) من اسطنبول الى لندن واجتمع بالسفير الايطالى هناك واخبره ان الباب العالى قد فقد الامل تماما من مقاطعة طرابلس ولكنه لايستطيع الاعتراف بذلك رسميا لانه سيكون سببا فى تهشيم هيبة تركيا فى العالم الاســلامى وعرض عليه حلا للقضية الليبية وهو يتلخص فى ان تتخلى تركيا عن جميع مدن السواحل ولكن على شرط ان تبقى الكفرة وفزان مستقلتين بحيث يلجأ اليهما الليبيون الذين لايريدون البقاء تحت السيادة الايطالية ٠

وفى نصف يونيو ١٩١٢ قابل سفير النمسا « بالافيشينى » Palla—vicini وزير خارجية تركيا ، عصيم بك ، ونصحه باسم الحكومــة النمساوية بأن تعمل الحكومة التركية على وضع حد للحرب الليبية فى اقرب وقت ممكن ٠

وبعد تلك المقابلة تقدمت النمسا بحل جديد وهو يتلخص فى ان تمنح تركيا القطر البرقاوى « لخديوى مصر » والقطر الطرابلسى «لباى تونس» على ان يقوم « الخديوى » « والباى » بعد ذلك بتسليمهما لايطاليا

«la Turchia cedesse la Cirenaica al Kedive dell'Egitto e la Tripolitania al Bey di Tunisi che avrebbero poi alla loro volta cedute all'Italia.»

ولكن ايطاليا رفضت هذا الاقتراح ووصفته بانه « غير عملى »

وتقدم « عصيم بك » وزير خارجية تركيا بعرض اخر وهو يتلخص فى ان تعلن تركيا استقلال القطرين تحت عرش « باى » عربى ، وبعد ذلك تنسحب القوات التركية والقوات الايطالية على ان ينشأ فى البلاد حرس وطنى تحت اشراف ايطاليا على ان تمهد الطريق بعد ذلك لايطاليا لتعقد اتفاقية مع الحكومة المحلية تضمن لها وضعا ممتازا كالذى تتمتع به فرنسا فى تونس

« La Turchia avrebbe dichiarate indipendenti le due provincie sotto il regno di un Bey arabo; poi le truppe italiane e le truppe turche verrebbero ritirate e si formerebbe una milizia del paese; e l'Italia infine potrebbe concludere col governo locale un accordo che le assicurasse una posizione simile a quella della Francia in Tunisia.»

ورفض السفير النمساوى ذلك المشروع وقال لوزير الخارجية عصيم بك انه لايستطيع عرضه على ايطاليا لانه بعيد عن الواقع ولايمكن ان يقبل من قبل الحكومة الايطالية .

والحقيقة ان « عصيم بك » كان سياسيا محنكا ، وكان يقصد بتلك المناورات كسب الوقت حتى تتمكن تركيا من تنظيم امورها والقيام بعمليات مضادة لكبح جماح ايطاليا ، ولكن اموال ايطاليا وعملاءها ونفوذ صديقاتهامن الدول الكبرى كلها عوامل تدخلت ونجحت فى اقصائه عن الوزارة وجاءت بالمدعو « نورادوقيان افندى » (Noradoughian Effendi)

الى منصب وزير الخارجية ، وهو مسيحى ارمنى وصديق حميم للعميلين الايطاليين « فولبى » و «نوقارا »

واتصل « فولبى » الذى كان يقيم فى تركيا تحت حماية الحصانة الدبلوماسية بصفته قنصلا فخريا لصربيا ، بوزير الخارجية الجديد « نورادوقيان » وكان جوابه كما يرويه « جوليتى » مايلى :

« لقد لاحظ « نورادوقيان افندى » ان اول خطوة يجب اتخاذها هـى محاولة تهدئة العرب ، الذين لم يفكر حتى ذلك الحين الا فى تحريضهم ، واقترح ان تهىء الفرصة لتركيا بان ترسل الى مقاطعة طرابلس ومقاطعة برقة بعثة تخبرهم بحقيقة الاوضاع وتفهمهم ان تركيا مضطرة لعقد الصلح .

« Noragoughian Effendi, il quale osservando che la prima cosa da farsi era di cercare di calmare gli arabi, mentre allora non si era pensato che ad eccitarli, proponeva che fosse concesso alla Turchia di inviare in Cirenaica ed in Tripolitania una missione che li rendesse edotti della situazione e della necessità per la Turchia di venire alla pace. »

وبعد ذلك تقدمت تركيا باقتراح اخر يتلخص فى ان تقنع ايطاليا بالسيطرة على مقاطعة طرابلس ولكن عليها ان تتنازل عن برقة .

ولكن ايطاليا رفضت الاقتراح وادعت ان ليبيا باجمعها خاضعة للسيادة الايطالية وقالت انه لايمكنها ان تتنازل قيد انملة عن تلك السيادة .

وعلى الرغم من حالة الحرب القائمة بين تركيا وايطاليا كان الجواسيس والعملاء الايطاليون يمرحون فى قلب العاصمة التركية ويقومون باتصالات رسمية بالمسئولين الاتراك والشخصيات الكبيرة ويوجهونهم حسب التعليمات التى تردهم من روما بعد ان يغدقوا عليهم العطايا والهدايا .

وقد ساهم كثيرا فى تلك الاتصالات كل من الكومندتور « فولبى » الذى كانت له شبكة واسعة من المعارف والاتصالات فى الوسط التركى ، والكومندتور « نوقارا » الذى كان يتمتع بحب وتقدير من شخصيات مهمة »

« A mantenere questi rapporti avevano molto contribuito il Comm. Volpi, che aveva una larga rete di conoscenze e relazioni nell'ambiente turco e il Comm. Nogara che godeva di molta considerazione e benevolencia da parte di personaggi importanti. »

اقتراحات وحلول ...

ومما رواه «جوليتى» ان « علجان بك » الذى كان يشغل منصب وزير العدل والذى يعتبر من الرؤوس المفكرة فى « الاتحاد والترقى » قد قال للكومندتور « نوقارا » مايلى :

« ان السياسيين البارزين فى تركيا يتمنون ان يرغموا من الاحداث العسكرية ليعقدوا الصلح ، لان الاحداث الدبلوماسية وحدها لاتكفى » .

« Gli uomini politici turchi più eminenti desideravano di essere forzati dagli avvenimenti a fare la pace, ma gli avvenimenti diplomatici da soli sarebbero stati a ciò insufficienti. »
(Dinary Bey)

وفى ١٥ يونيو ١٩١٢ حضر المهندس « دينارى بك » (Dinary Bey) وهو تركى من ام ايطالية ، الى روما ، وطلب مقابلة رئيس الوزراء ،ولما اذن له بذلك اخبر « جوليتى » انه قادم من قبل رئيس الحكومة التركية يستفسر اذا كان فى الامكان الدخول فى مفاوضات للصلح مع«الكومندتور فولبى ، واجابه « جوليتى » بان «فولبى» على الرغم من انه ليست له صفة رسمية الا انه يستطيع الدخول فى المفاوضات مبدئيا .

وهكذا استطاع « فولبى » ان يقابل وزير الحربية « محمود شوكت بك » ووزير الخارجية «عصيم بك» و « حسين جديد بك» وهو من المع الساسة الاتراك و«هلجان أفندى» نائب اسطنبول ، ونائب رئيس مجلس النواب ، وبحث معهم جميعا القضية الليبية وكيفية الوصول الى حلها .

ثم كتب الى جوليتى نتائج اتصالته هذه وهى تتلخص فيما يلى :

وزير الحربية : قال انه لايتردد فى فرض اى حل مشرف من الناحية العسكرية ـ متى وجد ـ لاجل احلال السلام .

وزير الخارجية : اعترف بخطورة الحالة بالنسبة لتركيا واعرب عن مخاوفها من ضياع جزر « الدوديكانيز » ثم اضاف انه لايؤمن بجدوى طرح

القضية الليبية على بساط البحث في الصعيد الدولي لان ذلك سيزيد في تعقيد الامور ، ووعد بان يدرس حلا يرتكز على منح استقلال اسمي لليبيا وبهذا تنتهي المشكلة بالنسبة لتركيا وعلى ايطاليا بعد ذلك ان تعالج المشكلة من ناحيتها » .

نائب رئيس مجلس النواب : تقدم بمشروع قرار ـ درسه مع « فولبى » يقضي بان تعترف تركيا بضياع ليبيا من حكمها ، على الرغم من ان ايطاليا لم تستول عليها بعد ، وعلى هذا الاساس يجب على تركيا ان تقلع عن اصرارها وعلى ايطاليا فى نفس الوقت ان تقلل من مطالبها وينتهي المشروع بمايلي ـ يعلن تأسيس حكومة او حكومتين فى ليبيا على ان تختص ايطاليا فيها او فيهما بالمركز الممتاز ، تنشأ فى البلاد قوة مسلحة ـ كالحرس الوطنى ـ تكون تحت قيادة ضباط ايطاليين ، مع العلم انللايطاليين الحق فىالاحتفاظ بالمراكز التى احتلوها .

ورفض « جوليتى » جميع هذه الحلول والاقتراحات على اساس انها غير عملية ولاتتمشى مع رغبات ايطاليا ، وسيادتها على ليبيا .

وعلى اثر ذلك بعث « طلعت بك » اقتراحا اخر يقضي بمنح ايطاليا مدينة طرابلس والقرى المحيطة بها ، وهكذا تستطيع ان تحصل على قاعدة حربية ممتازة تحت سيادتها الكاملة الشاملة ، وان تتمتع بامتيازات واسعة فى جميع انحاء ليبيا على ان تترك بقية البلاد مستقلة استقلالا اسميا .

وعلى اثر رفض ايطاليا لجميع تلك العروض اقترحت تركيا ان تبعث وفدا رسميا ليجتمع بوفد رسمي ايطالى الشيء الذى جعل «فولبى »يعتقد ان تركيا اصبحت تجنح الى الصلح بصورة جدية .

ووافق « جوليتى » على ارسال الوفد واقترح الاتراك ان يتم اللقاء فى «فيينا» ولكن «جوليتى» اصر على ان يكون الاجتماع فى سويسرا ، ووافق الاتراك وحددوا اللقاء فى « لوشرين » واعترض «جوليتى» مرة أخرى واقترح ان يكون فى « لوزان » ووافق الجانب التركى .

وكان يبدو من تصرفات « جوليتى » واقتراحاته المضادة للاقتراحات التركية انه يهدف الى اذلال الاتراك ومعاملتهم معاملة المنتصر للمهزوم .

وعينت الحكومة التركية اعضاء وفدها واصدرت اليهم تعليماتها التى يجب ا نتكون اساسا للمفاوضات وهى تتلخص فى منح الحكم الذاتى لليبيا وتركها تلاقى مصيرها امام القوات الايطالية الغازية .

هذا وقد وافق على تعيين اعضاء الوفد وعلى الاساس الذى يجب ان تدور حول محوره المفاوضات ، كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية وشخصيات لامعة فى عالم السياسة التركية مثل « حلمى باشا » وجميل باشا » ولكن الحكومة استقالت قبل ان تبدأ المفاوضات ·

وورد بعد ذلك اقتراح اخر لايطاليا يقضى بان تحتفظ ايطاليا بالشواطىء فقط وتترك الدواخل حرة ، ثم عدل ذلك الاقتراح بأن تستولى ايطاليا على ليبيا باجمعها مقابل تنازلها لتركيا عن افريقيا الشرقية

وفى يوم ٢-٧-١٩١٢ عينت الحكومة التركية وفدها برئاسة « سعيد حليم باشا » رئيس مجلس الدولة ونائب رئيس حزب الاتحاد والترقى وهو من اصل عربى ·

وعينت الحكومة الايطالية وفدها برئاسة النائب « برتولينى » (Bertolini)

وتقابل الوفدان فى « لوزان » بفندق « جيبون » يوم ١٠-٧-١٩١٢وفى يوم ١٢ من الشهر نفسه تم اول اجتماع رسمى بين الوفدين ·

هذا وكتب سفير ايطاليا فى سويسرا « كوكى بواسى » (Cucchi Boassi)

فى وصف سعيد حليم مايلى : « ان صاحب السمو سعيد حليم باشا ، رجل نحيف قصير القامة يبلغ من العمر ٥٥ سنة تقريبا ، شعره يكاد يكون كله ابيض ، اما « شنبه لا يزال اسود الشىء الذى يدل على أنه يعمل برأسه اكثر من لسانه ··· انه شخصية لطيفة دقيق فى معاملته مجامل الى اقصى الحدود مما يدل على انه سيد اصيل يتكلم الفرنسية بطلاقة ويدخن « سجائر » فاخرة صنعت خصيصا له وحده من مصنع التبغ الحكومى · انه يصر على ان يسمى بصاحب السمو لانه قريب « خديوى » مصر انه عضو فى مجلس الشيوخ ورئيس بمجلس الدولة وهو بذلك عضو - بحكم المنصب - فى مجلس الوزراء ، كان من انصار العهد البائد ، ولكنه تحول فورا الى العهد الجديد ·

اننى اعتقد انه اختير لهذه المهمة لانه قادم كعادته الى قضاء الصيف فى « ايفيان » حيث يستأجر فيلا فاخرة ، لان صديقنا وعدونا فى نفس الوقت غنى بافراط » ·

وختم « كوكى بواسى » وصفه بقوله : « على الرغم من ان صاحب السمو يمثل الحكومة التركية لكننى اعتقد انه لايمثل افكارها ولا وجهات نظرها واظن انه « طبل اجوف » لا يستطيع انجاز شىء »



منظر لاحد شوارع طرابلس الغرب سنة ١٩١١

مفاوضات الصلح المخزية ...

وبدأت المفاوضات فى جو غامض تطغى عليه الكآبة والبؤس لان الاتراك كانوا يشعرون بالذلة واقترح سعيد حليم باشا انه يرى ان تبدا المفاوضات على الاسس التالية : اعتبار طرابلس وبرقة مستقلتين تحت سيادة السلطان الاسمية ، على ان تكون السواحل تحت السلطة الايطالية ، وهكذا تستطيع ايطاليا — على حد تعبير سعيد حليم باشا — ان تضمن لها امتيازات واسعة فى ليبيا .

وحاول الجانب الايطالى اقناع سعيد حليم باشا بحيث يبحث عن اسس اخرى تكون اكثر واقعية وتتلاءم مع الاوضاع الحقيقية ولكنه رفض اية مناقشة على غير ذلك الاساس وكأنه لم يكن فى جعبته غير « الاستقلال الذاتى » الذى يريد ان يركز عليه المفاوضات كما قال « برتولينى »

وامتعض المفاوضون الايطاليون لاصرار سعيد حليم على موقفه وعدم تزحزحه عن مبدأ الاستقلال الذاتى ، وكان موقفه خيبة امل بالنسبة لهم اذ انهم كانوا ينتظرون منه التساهل واخبروا « جوليتى » بان رئيس الوفد التركى الذى كانوا يظنون ان يكون اكثر تفاهما وانصياعا فوجئوا منه باصرار غير متوقع ، وامر « جوليتى » بتأجيل المفاوضات وذلك لكى يتخذ تدابير اخرى .

واتصل « جوليتى » بخديوى مصر يطلب منه ان يضغط على سعيد حليم باشا ابن عمه ، لكى يكون لينا فى المفاوضات ويراعى المصلحة الايطالية ولمح له بأن ايطاليا ستعرف كيف تكافئه على ذلك الصنيع .

هذا وقد علق رئيس الوفد الايطالى على موقف الاتراك فى المفاوضات بما يلى :

١ — ان الاتراك يريدون فعلا عقد الصلح ، وقد اعرب سعيد حليم باشا عن تلك الرغبة بامانة والحاح .

٢ ــ ان الذى يمنع الاتراك من السير فى طريقنا يتلخص فيما يلى:

أ ــ الخوف من رد الفعل الذى سيحدث فى العالم الاسلامى فى حالة تخلى تركيا عن ليبيا ٠

ب ــ صعوبة او استحالة اقناع مجلس النواب بحيث يبتلع « قرصا كبيرا » وهو التنازل عن ليبيا على حد تعبير « برتولينى »

ج ــ سيكون من الصعب جدا الوصول الى حل مع سعيد حليم باشا لانه احمق يتمسك بارائه الخيالية الى ابعد الحدود ٠

د ــ ان فكرة منح الاستقلال لليبيا يمكن اعتبارها كسبا سياسيا بالنسبة لايطاليا لانها تعنى صراحة تنازل تركيا عن سيادتها على ليبيا ٠

وتعددت العروض وازدادت الاقتراحات ، وعرض « برتولينى » على « جوليتى » حلا جديدا يرضى الطرفين على حد تعبير الاتراك وهو يتلخص فى عقد اتفاقية لمدة ثلاثين سنة تقضى بان تبقى الدواخل تحت سيادة السلطان الاسمية على ان يعين له فيها ممثلا دينيا فقط يدفع له راتبه من حاصلات الاوقاف ٠

كما عرضت عليه فكرة اخرى وهى ان تترك ايطاليا منطقة فزان فى وضع مائع ولاتحتلها ولاتفرض عليها سيادتها ، لكى يلجأ اليها الليبيون الذين لايريدون العيش تحت السيادة الايطالية ٠

ورفض « جوليتى » جميع الاقتراحات التى لاترتكز على اسس الاعتراف بالسيادة الايطالية على جميع الاراضى الليبية ٠

وبرر « جوليتى » رفضه لهذه الاقتراحات بقوله ان ايطاليا لايمكنها ان تتراجع عن مرسومها الخاص بفرض السيادة الايطالية على جميع ليبيا ،وفى حالة الابقاء على اية بقعة منها بدون احتلال ربما يقوم سكانها بغزو تونس او مصر وهكذا تكون الحكومة الايطالية مسئولة عن تلك التصرفات بحكم القانون الدولى ٠

ورجع الوفدان الى مائدة التفاوض مرة اخرى ، وعمد الجانب الايطالى على

لعب ورقة « جزر الدوديكانيز » وافهم الجانب التركى ان ايطاليا لاتفكر فى التنازل عليها مادامت تركيا لاتريد وضع حد لحرب لاتجديها شيئا .

وعلق سعيد حليم باشا على ذلك الموقف بقـوله :

« اننى استطيع ان افهم الاسباب التاريخية والمبررات السياسية التـــى دفعتكم الى احتلال ليبيا ، ولكن الذى لاافهمه هو موقفكم من الجزر التـــى احتللتموها مؤقتا ومتى انتهت الحرب يجب ان تتركوها لترجـــــع تحت السيادة التركية . ان اثارتكم المشكلة الجزر تعقد الامـــور وتدل عـــلى انكم لم تحضروا الى المفاوضات متسلحين بحسن النية »

وبينما كانت المفاوضات تتعثر كان « جوليتى » يعمل من وراء الســـتار وارسل « نوقارا » الذى كان ضمن الوفدالايطالى الىالمفاوضات ، الىاسطنبول ليعمل على اقصاء سعيد حلمى باشا عن رئاسة الوفد التركى ، لانه غير كفؤ للوصول بها الى النتيجة المرجوة .

ولكن فى ذلك الوقت نفسه اى اواخر شهر يوليو ١٩١٢ سقطت الحكومة التركية وتوقفت المفاوضات مرة اخرى .

وقد تولى الحكومة الجديدة شخصيات م نالعهد البائد « من الذين تعودو على التضحية بمصالح تركيا » كما يقول جوليتى :

« abituati ai sacrifizi degli interessi della Turchia. »

وكان من اعضاء الحكومة الجديدة حلمى باشا وهو من اصدقاء ايطاليـا وجميل باشا الذى يكن لايطاليا العطف والمودة ، ومن رأى الاثنين انه لا أمل فى مواصلة القتال فى ليبيا ، كما ان وزير الخارجية فيها « نورادوجيان» المسيحى كان من اعز اصدقاء «نولبى» و « نوقارا .

هذا وتختلف الاراء فى تفسير اختيار « نورادوجيان » المسيحى لـوزارة الخارجية بالذات ، فهنالك من يقول انه جئ به بسبب تدخل الاصابـــع الايطالية التى كانت تلعب فى الخفاء .

وهنالك من يقول انه جئ به ليكون ، بحكم الاخوة فى الدين ، اكثـــر تفاهما وانسجاما مع ايطاليا .

اما وكيل وزارة خارجية المانيا « زيمرمان » فقد فسر ذلك الاختيار بقوله انه يعتقد ان جميل باشا وضع مسيحيا فى وزارة الخارجية ليحمله وزر مسئولية الصلح وضياع ليبيا ويجعل منه ـ كبش الفداء ـ امام الرأى العام التركى .

وفى يوم ٢٨ـ٧ـ١٩١٢ انسحب سعيد حليم باشا من رئاسة الوفد وتوقفت المفاوضات الى اجل غير مسمى .

واتصل « نوقارا » بصديقه « نورادوجيان » وزير الخارجية التركية والح عليه فى العمل على استئناف المفاوضات ، ووعد هذا الاخير بتقديم اسماء الوفد الجديد الى مجلس الوزراء للموافقة عليها وتعهد بانه سيصدر الى اعضاء الوفد الجدد تعليمات دقيقة تساعد على الوصول الى نتيجة مرضية .

هذا وطلب وزير خارجية تركيا من « نوقارا » ان يقنع حكومته بحيث تقابل التسهيلات التى يقدمها لها بايقاف العمليات الحربية فى بحر «ايجه »

وتنفيذا لهذا الاتفاق السرى امر « جوليتى » بايقاف جميع العمليات الحربية فى بحر « ايجه » الا انه امر بمضاعفة الجهود فى ليبيا خصوصا فى برقة .

وبر « نورادوجيان » بوعده هو الاخر ، واختار شخصين من السلك الدبلوماسى يمتازان باللباقة والدهاء وفوق هذا وذاك يتسمان بروح التساهل نحو ايطاليا وتربطهما بها علاقات متينة ، وهما « نبى بك » الذى كان وزيرا مفوضا فى « صوفيا »و « وفرح الدين بك » وهو قنصل لتركيا فى « بودابست » وكان قبل ذلك من اعضاء السفارة التركية بروما .

ووصف « نوقارا » العضوين التركيين الجديدين بقوله :

« انهما يمتازان بالامانة ، ويعتمدان على الصدق فى كل شىء ولهما رغبة قوية اكيدة فى الوصول الى الصلح مع ايطاليا التى يحبانها ويقدرانها . انهما يميلان الى الغرب ويحبانه ويكرهان الشرق والشرقيين . »

وقبل ان تبدأ المفاوضات مرة اخرى طلبت تركيا بواسطة سفير المانيا ان يكون اجتماع المفاوضين للصلح فى اسطنبول ليتسنى لهم الوصول الى نتائج طيبة بسرعة ولكن « جوليتى » لم يلب طلبها .



الجنرال تاسوني



تركيا تخضع للأمر الواقع ...

ولم تمض الا بضعة ايام على تعيين اعضاء الوفد التـــركى ، حتى ظهـر سفير المانيا فى اسطنـــبول « واقنهـايم» (Wagghenheim) الـذى خلف مارشال على تركيا وايطاليا باقتراح جديد يرمى الى حل القضية الليبية وهو يقضى بان تحتل ايطاليا كامل مقاطعة طرابلس ، على ان يعين فى برقـــة « خديويا » وتكون لايطاليا فى برقة نفس السلطات والامتيازات التى تتمتع بها انجلترا فى مصر ·

ووافقت تركيا على هذا الاقتراح وثار « جوليتى » ورفضه رفضـــا باتا واحتج على المانيا احتجاجا رسميا وطلب منها ان تعمل على لفت نظر سفيرها بحيث لا يعود الى ـ بذر الفتنة ـ بالاقتراحات الارتجالية التى يتفتق عليـــها فكره السياسى « غير الناضج » وفى الوقت نفسه ارسلت ايطاليا مذكـــرة شديدة اللهجة الى تركيا تعلمها فيها بانها لن تقبل الدخول فى المفاوضـــات مرة اخرى الا على اساس الاعتراف بسيادتهاالكاملة الشاملة على ليبيا ·

ودارت المناورات السياسية مرة اخرى ولعب سفير المانيا « واقنهـايم » دورا رئيسيا فيها ، ونتيجة لذلك ابلغ « زيمرمان » وكيل وزارة خارجيـــة المانيا سفير ايطاليا ان تركيا قد قررت ان تعرض على ايطاليا حلين لاثالث لهما

الاول : ان تقنع ايطاليا بالسيطرة على مقاطعة طرابلس فقط اما مقاطعة برقة فتتركها لتركيا تتصرف فيها كما شاءت ·

الثانى : ان توقف ايطاليا الحرب وبذلك تقتصر سيادتها على المناطق التى احتلتها فقط وان تقوم تركيا بمنح بقية الاراضى الليبية الاستقلال ·

ونظرا لان ذلك الاقتراح لم يكن من تركيا نفسها ولا يعبر عن افكارها ، بل كان من اختراعات « واقنهايم » فانها لم تتمسك به واهملته ·

وقابل « نوقارا » رئيس الوزراء او الصدر الاعظم ، وبحث معه اجـراءات الصلح واقترح رئيس الوزراء ان تعقد هدنة لمدة معينة ليتمكن خلالها مـن ايجاد حل لهذه المشكلة العويصة .

وبعد ايام قليلة اعلن رئيس وزراء تركيا ، عن طريق السفير الالمانى ـانه مستعد للتنازل لايطاليا عن شريط يمتد على طول الساحل الليبى من تونس الى مصر ، وان يمنح العرب فى الدواخل استقلالا صوريا ، الشيء الـذى يجعل من السهل على ايطاليا التفاهم معهم وفرض سيطرتها عليهم اختيارا ام قســرا .

ولكن ايطاليا رفضت جميع هذه العروض بحجة انها غير حرية بالاهتمام لانها اخلت بالشرط الاساسى وهو السيادة الايطالية الشاملة .

وبعد أن فشلت جميع محاولات تركيا فى الوصول الى حل يبقى عليـها شيئا من هيبتها ويحفظ لها ماء وجهها ، خضعت للامر الواقع وارسـلت مفاوضيها الى « لوزان » حيث وصلوها يوم ١٢ـ٨ـ١٩١٢ ولكن ايطاليـا اقترحت ان يتم الاجتماع فى مدينة « كو » (Caux) القريبة مـن لـوزان .

وارسل « جوليتى » اعضاء وفد حكومته واوصاهم بأن يضعوا جميـع الصعوبات فى وجه المفاوضين الاتراك ، وان يتعرضوا الى موضوع جـزر « الدوديكانيز » بقصد الارهاب ، وان يقولوا ان ايطاليا قررت ان تحـل مشكلة تلك الجزر عن طريق الاستفتاء .

وفى الوقت نفسه اصدر « جوليتى » تعليمات الى القواد العسكريين فـى ليبيا يأمرهم بمواصلة هجوماتهم على العرب لكى يحققوا اكبر عدد مـن الانتصارات ويوسعوا رقعة الاحتلال الى اقصى حد ممكن .

اربع سنوات عوضه ليبيا ...

وفى يوم ١٣ـ٨ـ١٩١٢ بدأت المفاوضات فى « كو » وتقدم الجانب التركى بثلاث اقتراحات هى :

الاول : ان تلغى ايطاليا مرسوم وضع ليبيا تحت سيادتها وان تقوم باحتلالها بعد ان تمنحها تركيا الاستقلال .

الثانى : ان تحتفظ ايطاليا بالمواقع التى احتلتها على ان يعلن استقلال الاراضى الباقية .

الثالث : ان يعين فى ليبيا « باى » وان تمارس ايطاليا سلطاتها فى البلاد كما تمارسها فرنسا فى تونس .

هذا وقال المندوب التركى « فرح الدين بك » ان هذه الفكرة اى تنصيب « باى » صورى ماهى الا مناورة لذر الرماد فى عيون العرب .

ورفض الجانب الايطالى جميع هذه الاقتراحات على اساس انها عرضت من قبل ورفضت لتعارضها مع مفهوم السيادة الايطالية .

وركدت المفاوضات عند هذا الحد ، وكادت تنتهى بالفشل لولا اجتهاد العضوين التركيين اللذين كانا يصران على حكومتهما بان تتقدم بحلول منطقية يمكن ان تقبلها ايطاليا .

وفى يوم ٢٧ـ٨ـ١٩١٢ تقدم الجانب التركى بعرضين اخرين وهما :
١ ـ أن يمنح الاستقلال لليبيا على أن يحتفظ لايطاليا بمدينتين كبيرتين على الشاطىء .

وقال المندوبان التركيان فى تفسير هذا العرض بانه فى صالح ايطاليا لانها ستكون قادرة بعد انسحاب القوات التركية على اخماد اية حركةمقاومة

في البلاد وهكذا يتم لها ما تريد ، على أن تنسحب تركيا من ذلك المأزق بشكل مشرف نوعا ما ٠

٢ ـ ان تمنح برقة الاستقلال وان تحتل ايطاليا طرابلس ٠

ورفض الجانب الايطالى الاقتراحين وهدد بمقاطعة المفاوضات اذا لم تتقدم تركيا بعروض عملية يمكن تطبيقها ٠

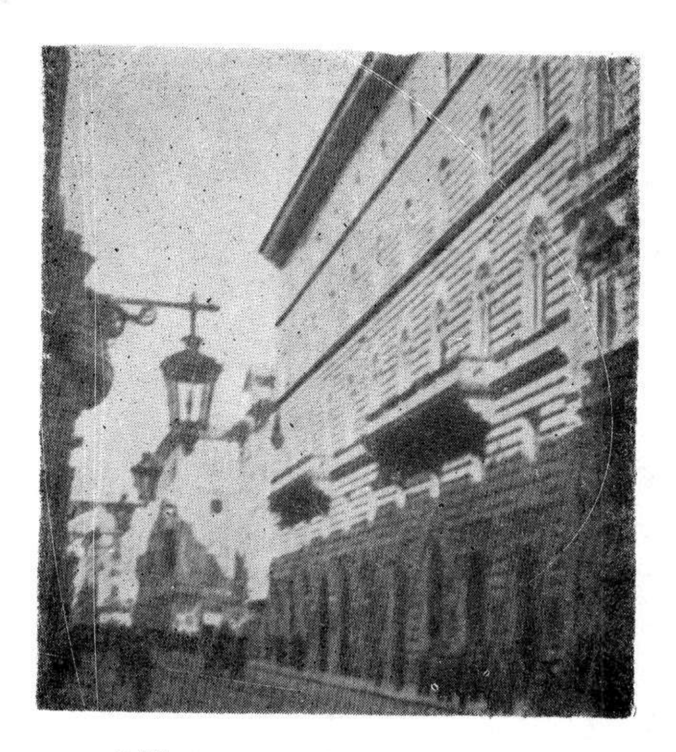
وبعد ايام تقدم الجانب التركى بعرض اخر وهو يتلخص فى ان تتنازل تركيا لايطاليا عن ليبيا ، على شرط ان تتنازل ايطاليا لتركيا مقابل ذلك عن مستعمرتها (اريتريا) ٠

ورفضت الحكومة الايطالية هذا العرض الذى وصفته بانه من نسج الخيال الخصب ٠

ورجعت تركيا الى اتباع اساليب الترضية والخضوع ، خوفا على مصير جزر « الدوديكانيز » وفكرت فى التضحية بليبيا على امل ان تضمن اعادة تلك الجزر اليها ، وتقدمت ـ مدفوعة بهذه العوامل ـ الى ايطاليا بعرض اخر اكثر تساهلا ،ويكاد يكون تسليما وهو يتلخص فى ان تعين تركيا « بايا » صوريا لليبيا ثم تنسحب منها وبعد مدة تخلعه ايطاليا وينتهى الامر ، وقد روى « جوليتى » ذلك العرض بقوله :

« الاتراك » يقترحون تعيين « باى » الذى سيكون ـ كما يقولون هم صراحة شبحا من القش ، وفى حالة عدم مناسبته لنا ،نستطيع التخلص منه بعد شهر او شهرين على ان تحتج تركيا علينا وهكذا ينتهى كل شىء ٠

« I Turchi proponevano di nominare un Bey che non sarebbe stato — e lo dicevano espressamente — che un uomo di paglia del quale, se ci fosse riuscito incomodo — avremmo potuto sbarazzarci un mese o due dopo; la Turchia avrebbe protestato presso noi e tutto sarebbe finito ».



اول مقر لوزارة المستعمرات الايطالية

ليبيا تساوي سفينتين...

هذا واتصل المسيو « ريفوال » (Revoil) وهو فرنسي من كبار رجال الاعمال في تركيا « بجوليتي » وابلغه ان تركيا تريد ان تعرف مدى قبول ايطاليا لوساطة بريطانيا ، ولكن « جوليتي » اصر على مبدأ السيادة الكاملة وقال انه يرفض اية وساطة او مفاوضات لايكون اساسها هذا المبدأ

وبعد ذلك عرضت تركيا على ايطاليا ان تعمل على توسيط الولايات المتحدة الامريكية ولكن حتى هذا العرض قوبل من قبل ايطاليا بالفتور وعدم الاهتمام

ولما فشلت تركيا في جميع محاولاتها وتيقنت من ضياع ليبيا من يديها ارادت ان تحقق لنفسها كسبا ماديا على حساب تلك البلاد المنكوبة وهكذا تقدمت بعرض كان ابشع عروضها واكثرها دناءة وانحطاطا وهو يتلخص في ان تتنازل تركيا عن ليبيا لصالح ايطاليا على شرط أن تعطيها هذه الاخيرة سفينتين من احسن سفن اسطولها ، ولكن « جوليتي » رفض هذا الاقتراح لكي لايكون الاسطول التركي متفوقا على الاسطول اليوناني وفي هذا الصدد يقول « جوليتي » :

« لقد طلبوا منا اذا كانت ايطاليا مستعدة للتنازل لصالح تركيا كتعويض لها عن ضياع ليبيا ، على سفينتين من احسن سفن اسطولها ، واهمية ذلك الاقتراح ظاهرة واضحة حيث انه كانت تحوم في الافق علامات الحرب البلقانية ، ونتيجة لتنازلنا ذلك ستكسب تركيا التفوق على الاسطول اليوناني » .

« ci si chiese se l'Italia sarebbe stata disposta a cedere alla Turchia, come indennità per la perdita della Libia, due delle migliori navi della sua flotta, proposta di cui si comprende l'importanza quando si consideri che c'erano già nell'aria i primi indizi della guerra balcanica e che con quella nostra cessione la Turchia avrebbe guadagnato di colpo la supremazia sulla flotta greca. »

هذا ويبدو جليا من العروض المتتابعة والاقتراحات المتلاحقة التى كانت تعرضها وتتقدم بها تركيا ان حكومتها ـ المؤلفة من عناصر العصر البائد ـ كما وصفتهم الصحف فى ذلك الوقت ـ كانت تريد ان تصل الى حل المشكلة الليبية باى ثمن ، لكى تتخلص منها فى اقرب وقت ممكن وتلقى بمسئولية ضياع المقاطعات الافريقية على الحكومة السابقة ·

هذا وبذل « جميل بك » جهودا جبارة بصفته رئيس كتلة « الحرية » لاقناع حزب الاتحاد والترقى على توقيع اتفاقية يعترف فيها الطرفان « الحرية» و«الاتحاد والترقى» بان الصلح أصبح من مصلحة الدولة،ويتعهدان بأن لا يقوما بمعارضة الجهود المبذولة فى ذلك السبيل ، ولا بالتشهير بها واستغلالها فى الانتخابات ·

واخيرا قررت تركيا ارسال بعثات تركية عن طريق تونس لتهدىء العرب وتمهد لقبول الصلح ، ولكن حدثت مضاعفات اجبرت الحكومة على العدول عن تلك الفكرة ، وذلك لان قواد الحاميات التركية فى ليبيا ابرقوا اليها بانهم سيواصلون القتال حتى ولو وقعت تركيا الصلح ، كما ان اللجنة العربية فى اسطنبول قد احتجت على الحكومة واعلمتها انها ستعتبر التنازل عن ليبيا حجة كافية لاعلان سقوط الخلافة »·

ووجدت الحكومة التركية نفسها تدور وتلف فى حلقة مفرغة ، وهداها تفكيرها الى ارسال «رشيد باشا» وزير الزراعة ، الذى كان سفيرا لتركيا فى روما ، ليقابل «جوليتى» ويبحث معه الموضوع ، على ان تتم مهمته فىسرية تامة

ولكن «جوليتى» كلف «نوقارا» بان يبلغ الحكومة التركية انه يوافق على قدوم «رشيد باشا» على شرط أن يكون الغرض من زيارته جديا ولا يقصد به ضياع الوقت ، وأكد أنه سوف لن يقبل الدخول فى أية مفاوضات معه ما لم تكن مرتكزة على أسس الاعتراف الصريح بسيادة ايطاليا على ليبيا ·

ورغم قسوة شروط «جوليتى» سافر «رشيد باشا» ووصل الى «فيينا» وبقى فيها فى انتظار تحديد موعد له لمقابلة «جوليتى» ولكن هذا الاخير ماطل فى تحديد الموعد ، ومرت الايام واضطر «رشيد باشا» أن يزور وفد بلاده فى المفاوضات ، التى انتقلت من مدينة « كو » الى مدينة « اوشى» وأعلن هناك ـ

محاولا استرداد اعتباره ــ انه اصبح غير مستعد لزيارة «جوليتى» فى أيـــة بلدة ايطالية على أنه يوافق على مقابلته خارج ايطاليا اينما أراد ٠

وعلى أثر ذلك التصريح فكر«جوليتى» ان «رشيد باشا» ربما سيعمل على عرقلة المفاوضات لكسب الوقت ٠

وعمل احد اعضاء الوفد الايطالى وهو « فوسينـــاتو» (Fusinato) الذى تربطه «برشيد باشا» صداقة عائلية عندما كان سفيرا فى ايطاليا ، وأغراء حتى علم منه حقيقةالمهمة التى جاء من أجلها وهى تتلخص فى «انه ليست لهمهمة أخرى سوى التوسل «لجوليتى» باسم المصالح العليا للامبراطورية العثمانية» ٠

« Reschid pascia non aveva altra missione se non implorare Giolitti a nome dei supremi interessi dell'Impero Ottomano. »

وفكرت ايطاليا فى استعمال الضغط على تركيا عن طريق التهديد والوعيد ووجهت اليها مذكرة سلمت الى وفدها فى «اوشى» وجاء فى المذكرة ما معنـــاه كما جاء على لسان «جوليتى» :ــ

« ان صبرناوانتظارنا لهما حد ، واننا غير مستعدين لنكـــون اداة لألاعيبهم الىأجل غير مسمى »٠

وتقول المذكرة انه فى حالة عدم توقيع الاتفاق السرى خلال ثمانية ايام ، أى قبل يوم ١٠ــ١٠ــ١٩١٢ ، فان ايطاليا ستقطع المفاوضات وتحتفظ لنفسها بحرية التصرف» ٠

هذا وهددت ايطاليا فى مذكرتها انها ستستأنف عملياتها الحربية ضـــد تركيا بقوة وعنف وضراوة ، ليس فى ليبيا فحسب بل فى كل مكان حيـــوى بالنسبة للامبراطورية العثمانية ٠

وكان للمذكرة الايطالية اثر عميق فى الاوساط التركية ، حتى أن رئيس وزراء تركيا ابرق الى وزير الزراعة رشيد باشا يأمره بان يعمل على مقابـــلة «جوليتى» اين ومتى أراد ٠

وصرح رشيد باشا للوفد الايطالى ان حكومته ترغب صادقة فى الوصول الى عقد الصلح وانها ربما انتهت من ذلك منذ مدة لولا ان شيخ الاسلام يعارض

معارضة شديدة فى ذلك ويختلف فى الرأى مع رئيس الوزراء جميل باشا فى هذا الصدد ، بل انه يتهمه بالجبن والتخاذل والخيانة ·

والحقيقة التى لا يمكن انكارها ان الجبن والتخاذل والاستخذاء كانت كلها من صفات المسئولين الاتراك فى المفاوضات ، كما ان موقفهم لا يخلو من الشوائب التى تثير الشكوك والريب فى ان هنالك عدم اخلاص للقضية الليبية مما يبعث على الاعتقاد ان التواطؤ مع العدو والخيانة قد لعبت دورا كبيرا فى تسيير السياسة التركية فى طريق معوجة ملتوية تنتهى الى خدمة مصلحة ايطاليا بصورة مباشرة او غير مباشرة وبقصد او بغير قصد ·

أما الاتفاق السرى الذى تشير اليه المذكرة فهو الحل الذى املاه الوفد الايطالى على الوفد التركى وهو يتلخص فى النقاط التالية :ـ

١ـ أن يوقع السلطان على «فرمان» يمنح الاستقلال التام لليبيا ، ولكن من ناحية واحدة ، أى ان تركيا هى التى تعترف بذلك الاستقلال فقط ، وان يعين له ممثلا دينيا فيها وهو « شمس الدين بك» ·

٢ـ ان تصدر ايطاليا مرسوما بتأكيد سيادتها على ليبيا وتعلن فيه العفو العام على جميع المحاربين العرب ·

٣ـ أن يصدر السلطان ارادة من الباب العالى تقضى باجراء اصلاحات جذرية لنظام الحكم فى جزر الدوديكانيز المحتلة من ايطاليا ·

٤ـ يجب أن يتم انسحاب جميع القوات التركية من ليبيا قبل أن تنسحب القوات الايطالية من جزر الدوديكانيز ·

٥ـ يمنع على تركيا منعا باتا ارسال اسلحة او مساعدات الى العرب فى ليبيا

توقيع معاهدة الصلح ...

وفي يوم ٨-١٠-١٩١٢ اجتمع مجلس الوزراء التركي ليقر معاهدة الصلح مع ايطاليا ، ولكن مظاهرة كبيرة قامت أمام الباب العالي وهتف المتظاهرون فيها بوجوب استمرار الحرب لتخليص ليبيا من الاستعمار الايطالي ، كما هتفوا ايضا بسقوط الحكومة التي ركعت أمام العدو وتريد أن تصالحه على حساب كرامة تركيا وشرف جيشها .

وكتب «نوقارا» الى «جوليتي» يخبره أن الحكومة التركية رغبت وترغب وستظل ترغب في الصلح ، ولكن صعوبات جمة تعترض طريقها ، ويطلب منه امهال تركيا يوما أو يومين بعد انتهاء المدة المحددة لاستئناف العمليات الحربية ضدها .

وفي يوم ١١-١٠-١٩١٢ وافقت الحكومة التركية على الاتفاق بعد أن اجرت عليه بعض التعديلات الطفيفة وهي :-

١- ان يتم انسحاب القوات التركية بعد المصادقة على اتفاقية الصلح من قبل مجلس النواب .

٢- استبعاد الشرط الخامس وهو منع ارسال الاسلحة والمساعدات الى العرب في ليبيا .

وأبرق «جوليتي» الى وفده بان يرفض رفضا باتا تلك التعديلات وأن لا يقبل ولا مجرد بحثها .

وطلب الوفد التركي امهاله مدة مقبولة ليبذل جهوده لاقناع حكومته بالموافقة على الاتفاق بنصه الاصلي ، ووافق «جوليتي» على تمديد مدة انذاره الى يوم ١٥-١٠-١٩١٢ ، ولكنه في الوقت نفسه اصدر اوامره الى أمير البحر «اميريو داستي» (Amerio d'Aste) وأمير البحر «فيالي» (Viale)

بأن يتحركا باسطولهما ويقتربا من الاراضى التركية ، الاول قرب «ازمير» والثانى تجاه «سالونيك»

وفى ليلة ١٤ـ١٠ـ١٩١٢ وردت تعليمات الى الوفد التركى من الباب العالى بان يوقع الصلح ٠

وهكذا تم التوقيع على الاتفاق المبدئى للصلح يوم ١٥ـ١٠ـ١٩١٢ عند الساعة السادسة مساء ٠ وفى نفس تلك الليلة أصدر « جوليتى » أمره الى جيوشه بأن توقف العمليات الحربية٠

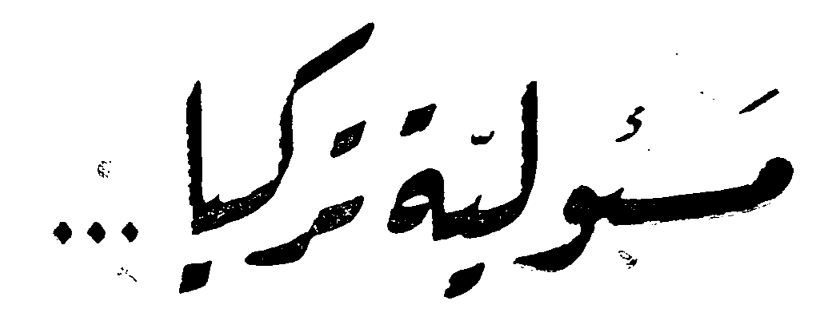
وفى يوم ١٨ـ١٠ـ١٩١٢ وقعت وثيقة الصلح فى مدينة «اوشى» رسميا، وفى نفس ذلك اليوم استصدر «جوليتى» مرسوما بانشاء وزارة للمستعمرات وعين «برتولينى» وزيرا لها ٠

وعلى اثر توقيع معاهدة الصلح اعترفت الدول الاوربية بسيادة ايطاليا على ليبيا بصورة رسمية ، وكانت أول الدول المعترفة بذلك روسيا اذ اعترفت يوم ١٦ـ١٠ـ١٩١٢ ، وتلتها النمسا والمانيا وتلتهما فرنسا يوم ٢٠ من الشهر نفسه ٠

وفى يوم ٢٢ـ١٠ـ١٩١٢ ارسل الجنرال تاسونى (Tassoni) الرئيس كاميرا (Capitano Camera) الىمعسكر الاتراك فى الزاوية الغربية لتجريد القوات التركية من اسلحتها وقد تم ذلك بدون أدنى مقاومة ٠



بيترو بيرتوليني اول وزير ايطالي للمستعمرات



هل تركيا تعتبر مسئولة عن المأساة التى حدثت فى ليبيا ؟

لقد وقفت علامة استفهام هذا التساؤل فى رأس المفكرين والمتتبعين لمجرى الحوادث ، تدور بهم فى دوامة تنتهى بهم غالبا الى نقطة البداية ويضيع منهم التفكير وترتسم امامهم علامة الاستفهام مرة اخرى بشكل اكبر واكثر الحاحا بحثاً عن الحقيقة وانتظارا للحل ·

يقول المحابون لتركيا انها كانت معذورة فى تخليها عن ليبيا لانها تعرضت لضغط الدول الاوربية الكبرى التى تفكر فى اقتسام امبراطوريتها ، وكان عليها ان تضحى بقسم لتستطيع المحافظة على القسم الاخر ، كما يجدون لها مبررا اخر فى المشاكل الداخلية والخارجية التى تعرضت لها ·

ولكن الاعذار التى يلتمسها المحابون لتركيا والمبررات التى يبررون بها موقفها من القضية الليبية لا تكفى لتبرئتها من المسئولية فى ضياع ليبيا ووقوعها فريسة تحت وحش الاستعمار الايطالى ·

ان الاحداث التاريخية تشير الى دمغ تركيا بالمسئولية المباشرة وغير المباشرة فى المأساة الليبية ، وذلك للاسباب التالية :

١- لم تعامل تركيا ليبيا معاملة الأيالات العثمانية الاخرى التى كانت تتمتع بامتيازات خاصة تجعلها صاحبة حكومة محلية واستقلال داخلى كما كانت الحال فى الجزائر وتونس ومصر ، بل كانت تعتبرها مستعمرة بمعنى الكلمة ·

٢ـ كانت الحكومة العثمانية تدير ليبيا بواسطة ولاة قســـاة لا هم لهم الا جباية الضرائب ولو عن طريق القوة والعنف والقسوة والظلم والعدوان.

٣ـ لم تهتم تركيا أبدا بانشاء جيش محلى من الليبيين كما انها لم تفكر قط بتوفير وسائل الدفاع عن البلاد.

كانت ليبيا بالنسبة لتركيا مستعمرة بمعنى الكلمة وبقرة حلوبا تأخذ منها أكثر مما تعطيها ويستغلها ولاتها أبشع استغلال ، وكانت تستعملها منفى للسياسيين المغضوب عليهم والخطرين على أمن الدولة او المشكوك فى ولائـهم للســـــــلطان .

ونتيجة لتلك السياسة العقيمة بقيت ليبيا متأخرة بكل ما فى هذه الكلمة من معانى ، وبقى سكانها يعانون من الظلم والاستبداد وفساد الحكم أكثر مما كانوا يعانون من الفقر وشظف العيش.

هذه مسئوليات تركيا قبل بداية الكارثة أما مسئوليـــاتها الاخرى فى الميدانين السياسى والعسكرى فهى ظاهرة جلية لا تحتاج الى ايضاح اذ انها :

١ـ ضعفت وتخاذلت أمام نوايا ايطــــاليا الاستعمارية وخضعت لارادتها العدوانية الشيء الذى شجعها على الاستمرار فى تنفيذ مشروعها الاجرامى فى جرأة وتصميم .

٢ـ كانت تسعى بكل الوسائل لتستجدى عطف ايطاليا وتتوسل اليها بحيث لا تعلن عليها الحرب وتعدها مقابل ذلك بتلبية جميع رغباتها بصورة ودية.

٣ـ كانت تنوى التضحية بليبيا لاسترضاء ايطاليا والدول الاوربية الاخـرى حرصا منها على صيانة امبراطوريتها من الانهيار والاضمحلال .

٤ـ كانت تتبع سياسة الخضوع والاستخذاء فى سبيل الوصول الى التسوية السلمية مهما كانت مجحفة بحقوقها ومهينة لشرفها وماسة بكرامتها .

٥ـ كانت تساوم على القضية الليبية لتحقق لنفسها مكاسب سياسية أو مادية.

٦ـ رضيت على نفسها ان تركع وتطلب الصلح خاضعة خانعة بعد يومين فقط من اعلان الحرب وقبل بداية الغزو مما كان له أثر سيء على المقاومة .

هذه عموميات مجردة ولكنها اذا فصلت تفصـــــيلا دقيقا أشارت قائلة بصراحة أن مسئولية احتلال ليبـــــيا من قبل الايطاليين الغزاة تقع بكاملها على تركيـــــــا .

فهرس محتويات الكتاب

صفحه رقم

حسن أبو يوسف الكوني

حسن أبو يوسف الهوني



خليفة عبد المجيد المنتصر

- تاريخ الميلاد ٥-١ - ١٩١٩ طرابلس
- تعلم في المدارس الابتدائية العربية والثانوية المختلطة
- درس ثلاث سنوات بجامعة نابولي .
- دبلوم معلم - دبلوم مترجم خبير .
- عمل معلما ومترجما - ومحررا في اذاعة طرابلس الغرب في عهد الاستعمار .
- اعتقل في المعتقل الحربي ٣٠٣ لاسباب سياسية في عهد الادارة البريطانية .
- عمل سكرتيرا عاما لقيادة البوليس في المنطقة الشرقية في عهد الادارة البريطانية .

في عهد الاستقلال .

- عمل ضابط اتصال في المصالح المشتركة الليبية الامريكية للشئون الثقافية ووسائل التعليم السمعي البصري .
- عمل في ادارة شئون الموظفين ثم سكرتيرا للجنة الخدمة المدنية
- سكرتيرا لوزير الدفاع .
- عمل في مصلحة الجمارك كبير ضباط لشئون التنمية .
- عمل سكرتيرا بالسفارات الليبية بالقاهرة وجدة وفورت لامي .
- عمل مستشارا بوزارة الخارجية لشئون العلاقات الثقافية والانتدابات
- حاليا يعمل مستشارا بسفارة المملكة الليبية بالقاهرة .

طبع مصلحة المطابع ـ طرابلس